

الفيصل
Alfaisal
مجلة ثقافية شهرية - السنة ٣٨ - رجب - شعبان ١٤٣٥هـ/ مايو- يونيو ٢٠١٤م
العلاقة بين أدب
الأطفال وتربية الطفل
سينما
جنوب إفريقية
أهمية العملة
الخليجية الموحّدة
ALFAISAL Mag


www.alfisalmag.com

داووا مرضاكم بالصدقة

ساهم في مساعدة مرضى السرطان

الجمعية السعودية الخيرية لمكافحة السرطان

SAUDI CANCER SOCIETY



حسابات التبرع العام

بنك الراجحي	sa 1180000114608010005117
بنك سامبا	sa 1540000000007007009697
البنك الأهلي	sa 7110000024653949000106
البنك الهولندي	sa 2250000000010042264005
بنك الرياض	sa 8620000002120077499940
بنك الإنماء	sa 5505000068200067502000
بنك ساب	sa 2845000000004322111001
بنك البلاد	sa 6115000999300000170009

أرسل رسالة نصية فارغة إلى الرقم **5070** قيمة الرسالة الواحدة ١٠ ريالات



ضوابط النشر

السعر الإفرادي

الموزعون

www.alfisalmag.com

السنة ٣٩ - رجب - شعبان ١٤٣٥هـ / مايو - يونيو ٢٠١٤م

مجلة ثقافية شهرية، أصدرها صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل ضمن إصدارات دار الفيصل الثقافية، وصدر العدد الأول منها في شهر رجب سنة ١٣٩٧هـ / يونيو (حزيران) ١٩٧٧م.

الإعلانات هاتف: ٤٦٥٣٣٥٥. ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

ردمد ٠٤١١-٨٥٢٠

رقم الإيداع مكتبة الملك فهد الوطنية ٠٢٤٥٠/٤١

الناشر دار الفيصل الثقافية

مراسلات التحرير والإدارة ص ب (٣) الرياض ١١٤١١ المملكة العربية السعودية هاتف: ٤٦٥٣٠٢٧، ٤٦٥٣٣٥٥ ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

الاشتراك السنوي ١٥٠ ريالاً سعودياً للأفراد، ٢٥٠ ريالاً سعودياً للمؤسسات، أو ما يعادلهما بالدولار الأمريكي خارج المملكة العربية السعودية.

contact@alfaisalmag.com - alfaisalmagazine@yahoo.com

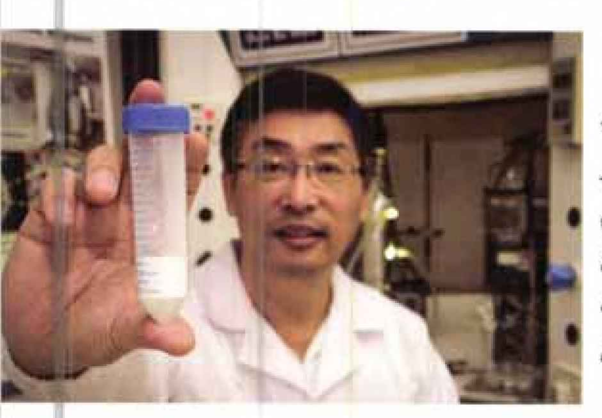
أطفال تنزانيا
يعطون الأمل في القضاء على الملاريا

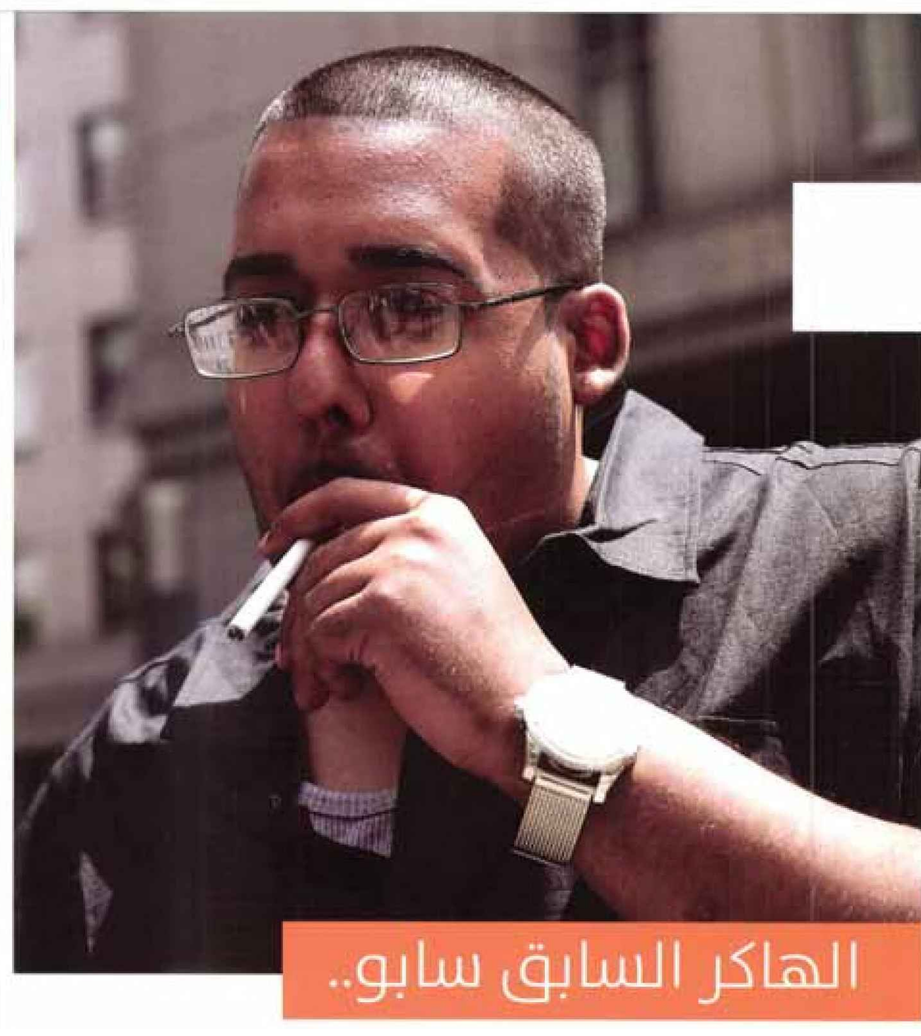
تسبَّب البعوض في عام ٢٠١٢م في إصابة ٢٠٠ مليون إنسان بالملاريا، ووفاة ٦٢٧ ألفاً منهم. وهناك ثلاث طرائق مستخدمة لتفادي هذا المرض، هي: العقاقير المضادة للملاريا لمنع الأوبئة، ومحاربة البعوض ومنع تفشّيه، والتطعيم ضد المرض. ومن الإجراءات التي يُوصى بها لتفادي لسعات البعوض: وضع المناخل على جميع النوافذ لإبقاء البعوض خارج المبنى، والنوم بوجود ناموسية تغطّي جميع أرجاء السرير من دون ثقوب فيها، واستخدام الناموسيات المعالجة بمبيدات البعوض التي تطردها في أثناء الليل، كما أن رشّ الجدران الداخلية للمنزل بالمبيدات الحشرية يعمل على منع البعوض، إلى جانب أن الاستخدام المنتظم للمبيدات الحشرية المحتوية على مواد كيميائية، مثل ديت DEET، يمنع البعوض من اللسع.

وتوصّل العلماء بعد تجارب مضنية الى ابتكار لقاح ضد (البلازمود)، وهو كائن طفيلي أحاديّ الخلية يدخل دم الإنسان نتيجة لسعة أنثى البعوض الناقلة مرض الملاريا، وينتقل هذا الطفيلي بعد ذلك إلى الكبد، فيتكاثر، ثم يعود إلى الدم ثانيةً، فيصيب الكريات الحمراء، وبعدها تظهر أعراض الإصابة بالمرض، وهي: الحمى، والقشعريرة، وآلام المفاصل، والصداع، والتقيّؤ، وفقر الدم. ويخفض هذا اللقاح الجديد المتضمن الأجسام المضادة PfSEA-1 مستوى تركيز الطفيلي في جسم الأطفال والكبار في مناطق انتشار المرض، وقد اختبر على الفئران المخبرية، وكانت النتائج إيجابية. وكان الباحثون قد توصّلوا على الأقلّ إلى ٤٠ مولداً للمضادات التي تفيد في محاربة الطفيل، إلا أن مراحل الحياة المتعددة له تُعطي بُعداً آخر لبحوث اللقاح لمعرفة أيّ المراحل يجب أن يستهدف اللقاح؟. وجاء هذا اللقاح الجديد من خلال دراسة حالات أطفال من تنزانيا لديهم مناعة ضد الملاريا.

هلام النانو
يشفي الحروق أسرع من أيّ مستحضر

تمكّن فريق علمي من معهد الهندسة البيولوجية وتكنولوجيا النانو التابع للهيئة الفيدرالية للعلوم والتكنولوجيا في سنغافورة من ابتكار هلام النانو، الذي يتمّ الحصول عليه بطريقة التجميع الجزيئي الذاتي للببتيدات، التي تشكّل عند إضافة الماء هلاماً ليفياً. وهذا الهلام يمثّل هيكلاً مساعداً لنمو خلايا الجلد بسرعة؛ لذلك يمكن وضعه على مكان الحروق، ويرى علماء أنه يعجّل بشفاء الحروق أسرع من أيّ مستحضر متوافر حالياً؛ إذ أوضحت الاختبارات التي قام العلماء بإجرائها على الحيوانات أن الحروق تشفى خلال ٢-١٠ أسابيع، بينما المستحضرات المتوافرة حالياً تشفي خلال هذه المدة ٦٣٪ من درجة الحروق فقط.





الهاكر السابق سابو..

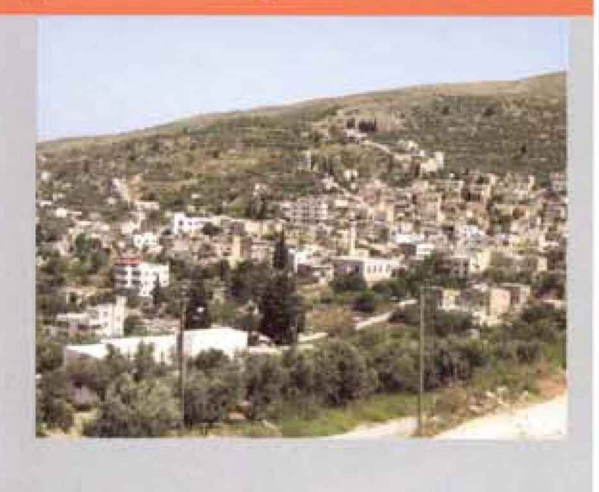
هل يغفر له إحباطه ٣٠٠ هجوم إلكتروني؟!

أحبط الهاكر الشهير سابو أكثر من ٣٠٠ هجوم إلكتروني استهدف الجيش الأمريكي، ووكالة ناسا، ووسائل إعلام أمريكية منذ انقلابه قبل ثلاث سنوات على رفقائه الهاكرز في كبرى جماعات القرصنة الإلكترونية التي ارتبطت هجماتها بمواقف سياسية. وينتظر هيكتور مونسيغور -حسب CNN- الحكم عليه في قضايا سرقة هويات وتزوير بطاقات ائتمانية، وفي حال إدانته قد يواجه السجن مدة ٢٦ عاماً، ويسعى الادّعاء إلى عقوبة مخفّفة؛ لتعاونه مع مكتب التحقيقات الفيدرالي في إحباط هجمات إلكترونية. واشتهر مونسيغور إلكترونيا بلقب (سابو مونكير) خلال عضويته في مجموعتي الهاكرز الأشهر: أنونيموس، ولولزسك، وسطع نجم المجموعتين في عام ٢٠١١م بعد سلسلة هجمات إلكترونية شلّت الحكومة الأمريكية ومواقع إلكترونية لشركات خاصة. ولُقّبت مجموعتا الهاكرز بـالهاكتيفيست (hacktivists -اختصار هاكرز ونشطاء بالإنجليزية- بسبب آرائهم السياسية المرتبطة بهجماتهم الإلكترونية.

وقرّر سابو التعاون مع مكتب التحقيقات الفيدرالي عقب اعتقاله في يونيو ٢٠١١م، وساعد على إيقاع عدد من أشهر المطلوبين في جرائم الهجمات الإلكترونية لدى الجهاز الأمني. ويرى محققون أن قرار سابو السريع بالتعاون كان محورياً في اعتقال عدد من هاكرز لولزسك؛ بسبب البروتوكول الوقائي الذي تتبنّاه المجموعة؛ إذ تعمل على تدمير الأدلة الإلكترونية كافة بمجرد اختفاء أحد أفرادها أو تعرّضه للاعتقال. واكتُشف أمر سابو بكتابته تعليقا على الإنترنت في انتهاك لشروط التعاون مع مكتب التحقيقات، وردّت أنونيموس بتعليق موجّه إليه عبر اختراقها موقع إلكتروني لجهاز أمني. واضطر مكتب التحقيقات الفيدرالية إلى نقله هو وعائلته إلى مكان آمن بعد تلقّيه تهديدات بالقتل حسبما تشير وثائق قضائية.

قـرية بتيـر الفلسـطينية

على لائحة التراث العالمي



أدرجت منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (يونسكو) في دورتها الـ٣٨ بالعاصمة القطرية الدوحة قرية بتير الفلسطينية ذات المدرجات المائية الأثرية على لائحة التراث العالمي. وقالت المنظمة: إنه تمّ إدراج القرية بشكل عاجل في ضوء «بناء جدار عازل قد يفصل بين المزارعين وحقولهم التي يزرعونها منذ قرون». وأوضحت لجنة التراث العالمي التابعة لليونسكو أن الوديان المزروعة في القرية الموجودة بالضفة الغربية قرب القدس تتميّز بمصاطب حجرية خلابة تواجه خطر التعرّض «لأضرار لا يمكن إصلاحها في حالة تشييد الجدار».

وأشادت رولا معايعة -وزيرة السياحة والآثار في الحكومة الفلسطينية- بالقرار، وقالت: إن إسرائيل كانت تريد تدمير الموقع ببناء الجدار العازل، مضيفةً أن المشكلة الآن أصبحت مع منظمة اليونسكو. وبذل أهالي القرية جهوداً كبيرة على مدى سنوات لتسجيلها في قائمة التراث العالمي، وإجبار إسرائيل على تعديل مسار جدارها العازل بمنطقتهم. ويقول الخبراء: إن مدرجات بتير تتعرض لخطر عاجل بسبب خطط إسرائيل لبناء قسم من جدارها الأمني بالضفة الغربية يمرّ عبر الوادي مباشرةً بموازاة خط السكك الحديدية.

وكان الجيش الإسرائيلي قد أعلن عام ٢٠٠٧م عن مخطّط الجدار فوق أراضي القرية، وتقدّم المحامي غياث ناصر -باسم الأهالي- بالتماس إلى المحكمة الإسرائيلية العليا التي أصدرت في مايو الماضي أمراً احترازياً يمنع العمل في الجدار بمساره الحالي، وطالبت الجيش بطرح مسارات بديلة. وتتميّز القرية الواقعة في جبال الضفة بتدفّق المياه عبر نظام ريّ من الحقبة الرومانية إلى وادٍ عميق يوجد به طريق للسكك الحديدية، وهو جزء من سكك حديد يافا-القدس التي شُيّدت أيام العثمانيين.



الفن يتحدى الحرب في سورية

على الرغم من ظروف الحرب الدائرة في سورية أنتجت المؤسسة العامة للإنتاج التلفزيوني والإذاعي مسلسلين، هما: (القربان)، تأليف: رامي كوسا، وإخراج: علاء الدين كوكش، و(الحب كلّه)، ويتألف من خماسيات لستّة كتاب ومخرجين. يحاول المسلسل الأول البحث في أسباب الأزمة السورية، ويسلّط الثاني الضوء على انعكاساتها الاجتماعية والإنسانية على السوريين في قصص تتناول (تحديات الحب في زمن الحرب).

وتفرض الأزمة السورية نفسها في مسلسلين اجتماعيين آخرين، هما: (نساء من هذا الزمان)، تأليف: بثينة عوض، وإخراج: أحمد إبراهيم أحمد، و(قلم حمرة)، تأليف: يم مشهدي، وإخراج: حاتم علي، وهو العمل الوحيد الذي تمّ تصويره خارج سورية في لبنان. كما يتم تناول الأزمة ضمن إطار من الكوميديا السوداء في مسلسل (الحقائب/ ضبّوا الشناتي)، وهو من تأليف: ممدوح حمادة، وإخراج: الليث حجّو، وعبر معظم لوحات عاشر أجزاء السلسلة الانتقادية الشهيرة (بقعة ضوء)، التي يخرجها عامر فهد عن نصوص لعدة كتّاب.

لكن كواليس الحرب السورية ستكون حاضرةً بشكلٍ أكثر وضوحاً في أحداث المسلسل العربي (حلاوة الروح)، من إخراج: شوقي الماجري، عن نصّ لرافي وهبي، يتناول فيه «مجمل الأحداث التي عاشتها المنطقة خلال السنوات الأخيرة؛ انطلاقاً من قصة حبٍّ تجمع بين شاب وفتاة سوريين، يخوضان مغامرةً خطيرةً لتصوير فلم وثائقي في سورية في أثناء الأزمة، وتتداخل القصة مع كثير من المحطات لتسلّط الضوء على الحدث العربي عامةً، والسوريّ خاصةً، خصوصاً من زاوية تعاطي الإعلام معه».

وقد واجه صنّاع الدراما السورية أخطاراً حقيقيةً بسبب تردّي الأوضاع الأمنية، وقدّم رامز تكريتي -المسؤول الإعلامي في شركة (سما الفن)- لـ CNN بالعربية أمثلةً على تلك المخاطر مما حدث في كواليس تصوير أعمال الشركة، يقول رامز عن ذلك: «لا شكّ أننا مررنا بمصاعب كبيرة، لكننا نجحنا في تجاوزها، ومنها أننا نملك استوديو خاصاً بالشركة جنوب دمشق، وبعد تجهيز الديكور تقريباً لمسلسل (بواب الريح) استولى عليه مسلّحون، فاضطررنا إلى استئجار مكان بديل في منطقة أكثر أماناً، وبناء مدينة إنتاج كاملة من الصفر في وقت قياسي، وكذلك حدث تفجير على بعد أمتار قليلة من أحد مواقع تصوير (بقعة ضوء) بحي (مشروع دمّر)، وسقطت قذيفة بمحيط موقع التصوير الأساسي لمسلسل (الحقائب/ ضبّوا الشناتي)، تسبّبت إحدى شظاياها في احتراق الشادر الذي كان يغطّي سقف الموقع، وفي كلتا الحالتين لم يُصَبْ أيّ من العاملين بأذًى، وهناك صعوبات أخرى، مثل ازدحام الطرقات الكبير في العاصمة، وما فرض علينا ضرورة ترتيب المواعيد قبل مدة طويلة نسبياً من التصوير».

وقبل أيام قليلة من شهر رمضان أودت شظايا قذيفة هاون سقطت على دمشق القديمة بحياة الممثلة السورية الشابة سوزان سلمان، كما سقطت قذيفة أخرى في اليوم ذاته على سطح أحد البيوت الدمشقية في مكان مجاور كان يصّور فيه مشاهد من الجزء السابع لـ(باب الحارة) من دون أن يُصاب أيّ من فريق التصوير بأذًى.

عبدالله الطيب وجريزلدا

يعيدان قصة «جميل وبثينة»



أصدر البروفيسور عبدالقادر محمود عبدالله -أستاذ الدراسات السودانية والمصرية القديمة بجامعة النيلين- أخيراً كتاب (عبدالله الطيب وجريزلدا: العثور على الذات الأخرى)، وتزامن تدشين الكتاب مع الذكرى الحادية عشرة لوفاة البروفيسور عبدالله الطيب أحد أبرز وجوه الثقافة السودانية والعربية في القرن العشرين، والحاصل على جائزة الملك فيصل العالمية في الأدب العربي عام ٢٠٠٠م.

يذهب البروفيسور عبدالقادر محمود -حسب الجزيرة- في رواية قصة عبدالله الطيب وزوجته جريزلدا إلى أن أول ما فُتنت به من عبدالله الطيب كان عروبته، وأنها رأت فيه أسطورة الشرق وسحره وحكايات (ألف ليلة وليلة). ويضيف محمود: ما أعجب الطيب فيها هو ذكاؤها وانفتاحها كفتاة بريطانية لم تتلوّث بنظرة مجتمعها في ذلك الوقت للغريب. ويروي المؤلف أن زواج عبدالله وجريزلدا وجد كثيراً من الصعاب من أسرتها، التي اعترضت على هذه الزيجة، وطالبت بترحيل عبدالله الطيب من بريطانيا. ويشبّه عبدالقادر اللقاء الأول بين عبدالله وجريزلدا بلقاء أسطورة الحب العربي (جميل وبثينة)، وما نشأ من خلاف بينهما، تحوّل بعد ذلك إلى حبّ جارف؛ إذ اتّهم عبدالله في ذلك اللقاء جريزلدا وقومها بالاستعلاء والنظرة الاستعمارية. ويذهب البروفيسور محمود إلى أن جريزلدا هيأت لزوجها كلّ سبل الراحة من أجل التأليف والكتابة، وأشارت إليه بضرورة دراسة اللغة الفرنسية.

ويذكر الدكتور صديق عمر صديق -مدير معهد عبدالله الطيب للغة العربية- أن جريزلدا هي التي أشارت على عبدالله الطيب بأن يتولى عميد الأدب العربي طه حسين كتابة مقدمة (المرشد لفهم أشعار العرب وصناعتها)، بجانب أنها تولّت تصميم مؤلّفيْه: كتاب الأحاجي السودانية، ونافذة القطار، ومسرحياته، وهذا الأمر جزء من شراكتها وإحساسها بقيمة عبدالله الطيب، وهي الآن أكبر راعٍ لمؤلّفاته، وتعدّ هذا مشروع حياتها.

ويقول مؤلف الكتاب: إن لعبدالله الطيب تأثيراً كبيراً في زوجته في توسيع معرفتها باللغة العربية والثقافة السودانية، وهو ما قادها إلى الإسلام عام ١٩٧٦م، وأطلق عليها عبدالله الطيب اسم (جوهرة الطيب). كما سعت إلى الحصول على الماجستير من جامعة الخرطوم في الأزياء السودانية، وظلّت مساهمةً في الحركة الثقافية السودانية عبر التشكيل والمحاضرة وحضور الفعاليات المختلفة، ولا تزال مقيمةً بالسودان حتى بعد رحيل البروفيسور عبدالله الطيب عام ٢٠٠٣م.

أديب عـــراقي

يرثي نفسه حياً

رثى أديب عراقي نفسه وهو حيّ بعد أن تمكّن من جسده مرض السرطان، وعلم من أطبائه أن أيامه باتت معدودةً، وأن علاجه يحتاج إلى أموال تفوق طاقته وطاقة أهله وأصدقائه، وقد نشر رسالته الوداعية في موقعي التواصل الاجتماعي: فيسبوك، وتويتر. يقول القاصّ والروائي والإعلامي كاظم الجماسي في رثائيته:

«الصديقات، الأصدقاء، وداعاً.

أيام ليس إلا، وسأكون هناك.

سأفتقد الأمر الذي ينشرني وجعاً منذ الآن: الشمس، والهواء، والنهر، والشجر، ومرأى الأقمار والنجوم، وكلّ عطفة حُسن من عطفات هذه الورقاء المعطاء المسماة (الحياة).

نعم، ولكن سأفتقد حضوركم أكثر، صديقاتي أصدقائي، في البيت والمحلة والعمل والمكتبة والشارع، ليس في العراق وحده، بل عبر العالم أيضاً، وليس الآن فقط، بل عبر الزمن كذلك.

سأفتقد أيضاً، وهو أمر بالغ الشدة عليّ، أحلامي. ياه!! أيّة قلاع شاهقة شديدة التماسك عديدة الطوابق والغرف، آه، هناك حيث غفوتُ ولهوتُ، وضحكتُ وبكيتُ، كيما أعدّ العدة لأقطر ذلك كله في (كتاب) حياتي، الذي غدا اليوم دعابةً غايةً في السماجة، حيث سيبدو فصلاً ساخراً، إلباس ثوب الأيام القشيب هذه الرؤى العملاقة.

الصديقات، الأصدقاء:

أجمع أمس أهل الحلّ والعقد من معشر الأطباء أن لا بقاء للجماسي صديقكم في هذه (الدنيا الفانية) سوى أيام معدودات؛ فالشقّ عريض، والرقعة متصاغرة، مرضي عضال (سرطان رأس البنكرياس المتقدم)، الذي كشف عنه الرنين المغناطيسي بنحو واضح، ويمتاز تداخله الجراحي بتعقيد من الدرجة الأولى، ولا يتناسب ومقدراتنا الطبية المحلية، وبالتالي ليس من سبيل سوى طبّ الخارج المتقدّم، وليس من سبيل إليه سوى المال، المال الذي فوق طاقة ظهري بكثير على احتماله.

على أيّة حال، أجد أنني عبَرْتُ -كما أفراد جيلي- عشرات الميتات بسلام، وأنا اليوم ألعب في المستقطع لا الوقت الضائع، شعوري اللحظة سلام عميق.

ها، لا أكتمكم، هو سلام مداف بأسى الوداع المرير».

وأثارت الرسالة الحزينة ردود أفعال قوية تجاه المؤسسة الرسمية، وأكّد كثيرون أن الجماسي لن يكون الأخير.

النقد يزيّن عروض مهرجان الدمام المسرحي

ضمن فعاليات مهرجان الدمام المسرحي العاشر للعروض القصيرة، قدّمت فرقة شباب للفنون بالرياض العرض المسرحي (رصيف ٧) على مسرح إثراء في موقع برنامج أرامكو السعودية للإثراء المعرفي. العرض من تأليف: صالح زمانان، وإخراج: خالد النويس، وتمثيل: بندر عبدالفتاح، وعبدالرحيم محمد، ويحيى هروبي، وآخرين.

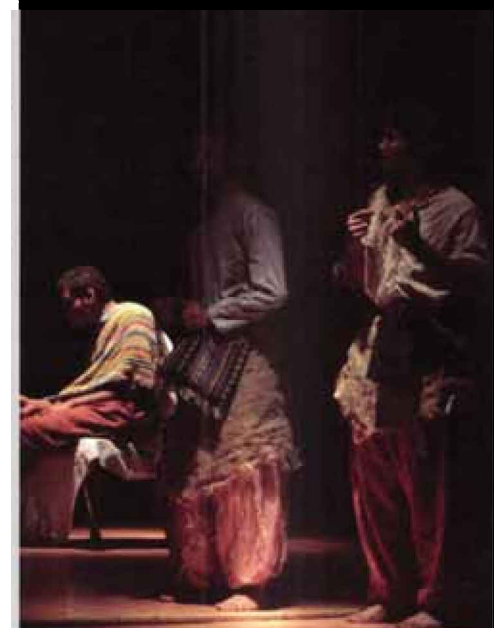
وشارك في الندوة التي تلت العرض بقاعة عبدالله الشيخ، وأدارها المسرحي بسام الهلالي، المخرج عبدالله السعداوي، ومخرج مسرحية (رصيف ٧) خالد النويس. وتحدث السعداوي -حسب ميدل إيست أونلاين- عن النصّ فقال: إنه يستنطق الرصيف والعلاقة مع البشر، والرصيف والحجر الذي له لغته الخاصة كما هي للبشر، لكن نحن لا نسمع لغته، وعمل المخرج على استرجاع الذاكرة، وهي بداية الحضور في طرح قضايا اجتماعية متعددة من أحلام وموت وأحلام تذهب في مهبّ الريح يتركها البشر في مهبّ الأرصفة.

ووصف الناقد يوسف الشغري العرض بأنه كان بطيئاً ورتيباً من البداية إلى النهاية، بينما فضّل الفنان فاضل المصطفى الانتقاد في أداء الشخصيات، أو (الكركترات). وقال الفنان سليمان فلاح: الحوارات غير واضحة، وأداء الممثّل معاوية لدور السكران ليس بالضرورة أن يكون بهذه الدرجة من أداء دور السكران، والممثّل صاحب الدور الرئيس كان ثقيلاً على خشبة المسرح، والتعبير الحركي يحتاج الى اشتغال أكثر. وقال مخرج المسرحية خالد النويس: إن مشكلة الصوت كانت بسبب الميكروفونات أو المايكات؛ لأن عددها كان أقلّ من عدد الممثلين، وثقتي كبيرة بفريق العمل ومقدراتهم في الأداء والحركة الجسدية داخل المسرح، وأنا كمخرج وزملائي الممثّلون نجتهد ونقدّم كلّ ما نملك، وتبقى الملاحظات والانتقادات بعد العرض وجهة نظر، وبكلّ تأكيد سنستفيد من كلّ ما سمعنا في العروض المقبلة.

وقدّمت فرقة نادي المسرح بجامعة جازان مسرحيتها (طلاسم)، من تأليف: شادي عاشور، وإخراج: سالم باحميش، وتمثيل أيمن مطهر عزيزي بحيص، وأحمد كاملي، وإشراف: د. محمد حبيبي. وعقدت الجلسة النقدية في صالة عبدالله الشيخ بالجمعية، وأدارها الفنان فاضل المصطفى، وتحدث فيها الفنان عبدالله السعداوي قائلاً: أقدّم الشكر والإعجاب بالجهد الرائع والنيات الطيبة للمخرج والممثّلين، خصوصاً أن المحور كان القضية الرئيسة للعرب (فلسطين)، التي أصبحت مغيّبةً. النصّ -كما هي عادة المؤلف شادي عاشور- لغة شاعرية، ولربما كان للغة في بعض الأحيان انكسار لدى الممثّل في تجسيد بعض اللوحات على خشبة المسرح، وكان واضحاً من فريق العمل حبّهم النصّ وخشبة المسرح. وقال الناقد يوسف شغري في مداخلته: إن أول شرط لنجاح أيّ عمل فني مسرحي هو المتعة، وأعتقد أننا كمشاهدين حصلنا على المتعة، وهذا يعني نجاح الممثلين في تقديم عرض متكامل ورائع، وفي اعتقادي أنني استمتعتُ الليلة بأفضل عرض منذ بداية المسابقة. وقال الممثّل والموسيقي منتظر الزاير: النصّ يوضّح ويتحدث عن بعض الأمكنة والحياة الغيبية، وللأسف لم يكن هناك اهتمام باقتناء الموسيقا المناسبة للمكان واللوحات والمشاهد المسرحية، خصوصاً أن بعض المشاهد واللوحات كانت تحاكي الحياة الغيبية، وهي بحاجة إلى موسيقا غير تقليدية ومكرّرة، وهو ما يقطع الترابط بين اللوحة والمشاهد.

وعلّق المخرج صالح الزمانان قائلاً: كان خروج الممثلين كثيراً من على خشبة المسرح، وكم كنتُ أتمنى أن يخون المخرج المؤلف، لكن كان هناك التزام شديد، لدرجة تشعر بأن النصّ كُتب على المسرح، والمنولوجات مكرّرة، أما الإضاءة فلم تكن موفّقة، ولم تُوظّف بشكل مناسب للعرض. ويرى الممثّل رامي الزاير أن من السلبيات الواضحة في العمل خروج الممثّل جهة الجماهير أكثر من مرة، وكان ذلك من أبرز سلبيات العرض، كما أن الموسيقا تكرّرت كثيراً في العروض الماضية، ولعلّ الإضاءة هي أجمل ما كان في العرض، وقد وظّفت بشكل رائع جداً. وردّ مخرج العمل سالم باحميش على بعض الأسئلة والملاحظات على العرض المسرحي والنصّ، وبيّن أنه تمرّد على النص الأصلي، وقام بتفكيك الطلاسم عنه.

وقدّمت فرقة (رتاج) من الأحساء مسرحية (الحبل) على مسرح الجمعية، من تأليف وإخراج: خالد الخميس، وتمثيل: عبدالله المهيني، وسليمان العبدالعظيم، وراشد الدوسري، وفارس الخميس، وإضاءة وأزياء: محمد العقار، ومسؤول الصوت: محمد النوة. وتتمحور فكرة المسرحية حول قرية تقع في الجانب الآخر من البحر، قرية يسكنها أهلها منذ مئات السنين، كانت ومازالت تعتمد في دخلها على الصناعات والحرف اليدوية القديمة. وهي قرية من وحي الخيال، تسمع بين جنباتها صوت النهام مستعداً لبدء رحلة جديدة ومغامرة في عرض البحر؛ غوصاً في أعماقه، وبحثاً عن كنوزه.





تراث يوسف وهبي

في مكتبة الإسكندرية

أهدت أسرة الفنان يوسف وهبي، متمثِّلةً في ابن أخيه المهندس محمد يوسف إسماعيل وهبي، مكتبة الإسكندرية مقتنياته، وذلك في إطار جهود المكتبة في الحفاظ على تاريخ مصر الحديث والمعاصر. وتشمل هذه المقتنيات مذكّراته الشخصية التي كتبها بخط يده، وهي تتضمن تفاصيل حياته، إضافةً إلى سيناريوهات الأفلام والمسرحيات. ويبلغ عدد السيناريوهات ٣٦٤ سيناريو، من بينها رواية السينما، والجزائر، والحاجة زينب، والأسورة، والكافر، والافتتاحية، والجوهرة والدجالة، وغرام الأعمى، وانقلاب الأوضاع، ومستشفى المجاذيب، وغيرها.

وتضم المقتنيات أيضاً مجموعةً كبيرةً من الأسطوانات ودفاتر يوميات فرقته المسرحية، ودفتر يومية حسابات مكتب يوسف وهبي لأعمال السينما والمسرح في عام ١٩٥٧م، ودفتر نمرة ٢ الخاص بمسرح رمسيس بتاريخ ٣ فبراير عام ١٩٣٢م، ومجموعة من الوثائق الخاصة بلجنة الفنون التشكيلية، ولجنة الإرشاد الثقافي، والمجلس القومي للثقافة والفنون والآداب والإعلام، ووثائق اجتماعات لجنة التمثيل العربي والغناء المسرحي، ونسخة من اللائحة الأساسية للائحة فنّ التمثيل العربي، وبرنامج رحلة فرقة يوسف وهبي، كما تضم تلك المجموعة القيمة مكتبته الشخصية، التي تضم كثيراً من الروايات والمسرحيات العالمية، والجوائز والإهداءات وشهادات التقدير التي حصل عليها.

يُذكر أن يوسف وهبي وُلد في مدينة الفيوم على شاطئ بحر يوسف، وكان والده عبدالله باشا وهبي يعمل مفتشاً للريّ بالفيوم، وكان يقطن منزلاً يقع على شاطئ بحر يوسف، وبدأ تعليمه في كتّاب العسيلي بمدينة الفيوم، ولم يزل تراث والده موجوداً في الفيوم؛ إذ إنه هو الذي قام بحفر (ترعة عبدالله وهبي) بالفيوم، التي حوّلت آلاف الأفدنة من الأراضي الصحراوية إلى أراضي زراعية، كما أنشأ المسجد المعروف باسم (مسجد عبدالله بك) المطلّ على كوبري مرزبان بمدينة الفيوم، وكان أكبر مسجد بالفيوم إلى وقت قريب.

وتلقّى وهبي تعليمه في المدرسة السعيدية، ثم في المدرسة الزراعية بمشتهر، وشغف بالتمثيل أول مرة في حياته عندما شاهد فرقة الفنان اللبناني سليم القرداحي في سوهاج، وبدأ هوايته بإلقاء المونولوج وأداء التمثيليات في النادي الأهلي والمدرسة، وعمل مصارعا في سيرك الحاج سليمان، فتدرّب على يد بطل الشرق في المصارعة آنذاك المصارع عبدالحليم المصري.

وسافر إلى إيطاليا بعد الحرب العالمية الأولى بإغراء من صديقه القديم محمد كريم، وتتلمذ على يد الممثّل الإيطالي كيانتوني، وعاد إلى مصر عام ١٩٢١م بعد وفاة والده، فحصل على ميراثه، وكوّن به فرقة رمسيس، وحصل على لقب (البكوية) عقب حضور الملك فاروق أول عرض لفيلم (غرام وانتقام) في سينما ريفولي بالقاهرة. وتوفّي يوسف وهبي في ١٧ أكتوبر عام ١٩٨٢م عن عمر ناهز ٨٤ عاماً.

طبقة جليدية

لحماية محطة فوكوشـيما النووية



عثر علماء في اليابان على اليود المشعّ ١٣١ في الماء على عمق ١٥ متراً تحت محطة فوكوشيما النووية التي تضرّرت بسبب زلزال ١١ مارس ٢٠١٤م، وهذا اليود المشعّ أعلى بـ٤٣٨٥ مرة من المستوى الطبيعي، ولمواجهة الخطورة التي يمثّلها قرّر الخبراء إنشاء طبقة جليدية اصطناعية سمكها ١,٥كم تحت المحطة؛ لمنع تسرّب المياه المشعة خارج حدود المحطة.

وتنوي الحكومة اليابانية تخصيص مبلغ ٣١٣,٧ مليون دولار لتنفيذ هذا المشروع، وقد اضطرّت الشركة المشرفة على أعمال الصيانة في المحطة إلى تسريب كمية قليلة من المياه الملوثة إلى المحيط الهادي؛ لتقليل كميتها في الخزانات الموجودة تحت المحطة.

خاليد فؤاد طحطح | المغرب



البيوغرافي يعطي حياةً جديدةً للآخرين الموتى، إنها عملية إحياء من جديد؛ لذلك فالكتابة البيوغرافية مغامرة حقيقية، إنها عالم خيالي أدبي جديد

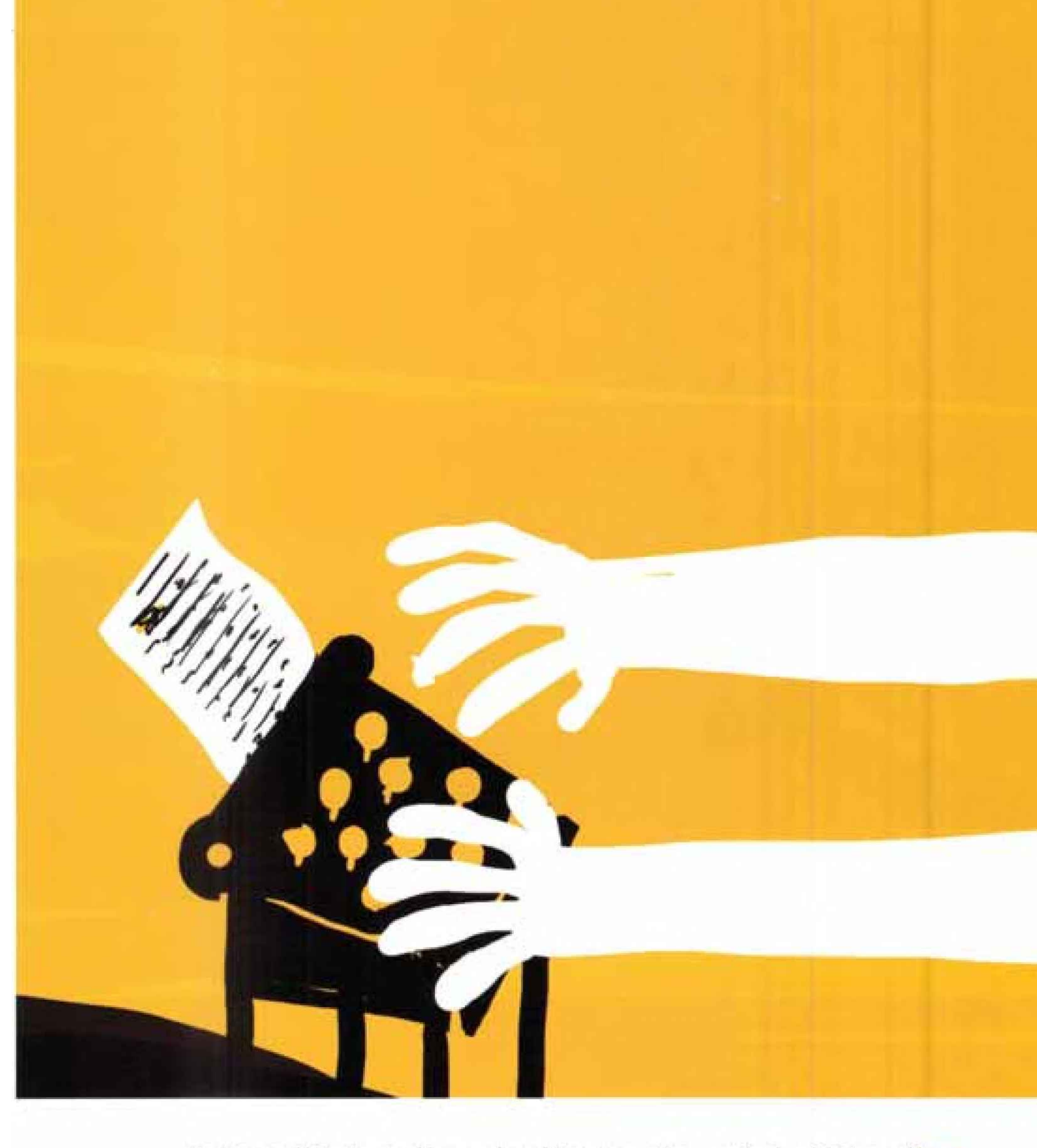
خصائص البيوغرافيات التاريخية الجديدة

بعد أن فقدت الكتابة البيوغرافية بريقها خلال النصف الثاني من القرن العشرين الميلادي لمصلحة تاريخ أكثر انفتاحاً على الاقتصاد والمجتمع والحضارة، هاهي ذي تعود من جديد لتفرض نفسها على الاتجاهات التاريخية والأنثربولوجية والنفسية والأدبية؛ ففي الكتابات التاريخية المعاصرة، خصوصاً في أوربا والولايات المتحدة الأمريكية، هناك عودة قوية للبيوغرافيات التاريخية الجديدة التي اقتحمت دور النشر، وتصدّرت واجهات المكاتب؛ فقد استطاعت في وقت وجيز أن تحقّق لنفسها أكبر المبيعات، خصوصاً البيوغرافيات الرومانسية التي تحظى بجمهور عريض من القراء.

الكتابة البيوغرافية الجديدة تواجه المؤرخ الحالي بمشكلات كثيرة ناتجة عن طبيعة الإكراهات التي يفرضها هذا النوع؛ لأنها تختصّ بمميزات أدبية وذاتية؛ فالبيوغرافيا هجينة تتموقع بين تخصّصات متنوعة، بين مهنة المؤرخ، والأديب، والأنثربولوجي، والسوسيولوجي، والصحفي، والسياسي، وعالم النفس. ولأنها تختصّ بمميزات أدبية وذاتية فإن مسألة خوض غمار كتابتها تعدّ نوعاً من الورطة؛ كما عبّر عن ذلك المؤرخ الفرنسي دوس: فالبيوغرافيا جنس متعدد، وخليط بين المعرفة المعمقة، والإبداع الأدبي، والحدس السيكولوجي. وانخراط البيوغرافي في موضوعه يتطلب معه استثمار كلّ هذا التركيب المعقد.

«البيوغرافيا مُعاقة التاريخ»: لأنها تتضمن أخطارا متعددة؛ فالخصائص غير الخالصة التي تميّز هذا النوع من الكتابات جعلت من مهنة البيوغرافي أسوأ مهنة في ميدان التاريخ. بل تمّ تشبيه البيوغرافي بـ«الحلاق في عهد الفراعنة»؛ فالطابع الهجين لهذا النوع، وتعدد العوائق الملازمة له، جعلا منه عملاً صعب التناول؛ فهناك خلط واضح بين الخيال والحدث، بين الحياة الخاصة والحياة العامة، بين ذاتية الكاتب وموضوعه.

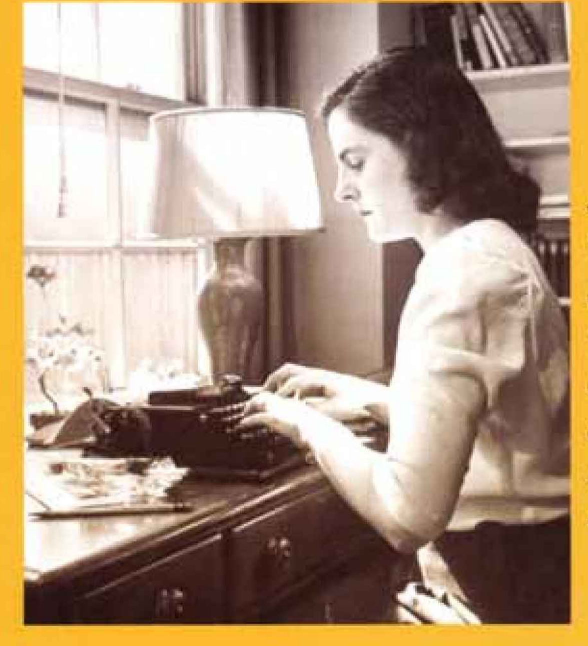
في الماضي، كان الحذر من هذا النوع المحفوف بالمخاطر، والمحكوم بقدر كبير من الخيال لطبيعة الكتابة الأدبية التي تميّزه، السبب الرئيس في حصول القطيعة بين التاريخ والبيوغرافيا؛ فالتوتر الموجود محدّة بين التاريخ والخيال، الكامن في هذا النوع المختلط والهجين من الكتابة، ساهم -إضافة إلى عوامل أخرى- في ترسيخ هذه القطيعة؛ لذلك تخلّى المؤرخون عن هذا النوع لمصلحة الروائيين؛ لأنه يأخذ من الكتابة الأدبية أكثر مما يأخذ من الكتابة التاريخية؛ فالاستنجاد بالخيال في العمل البيوغرافي أمر لا مفرّ منه لملء الفراغات الظرفية. ومن العوائق الأخرى التي تواجه البيوغرافيا في علاقتها بالتاريخ صعوبة تناول الحياة الخاصة بسبب قلة المصادر؛ فإذا كانت المقاربة التاريخية تسعى إلى الحفاظ على الفرق بين الحياة الخاصة والعامة فإن البيوغرافيا تقتحم المجالين معاً، ومن هنا تأتي الخطورة؛



البيوغرافيا جنس متعدد، وخليط بين المعرفة المعمقة، والإبداع الأدبي، والحدس السيكولوجي، وانخراط البيوغرافي في موضوعه يتطلب منه استثمار كلّ هذا التركيب المعقد

علاقة خاصة جدا

إضافةً إلى التوتر، الذي يظلّ على أشدّه بين الرغبة في قول الحقيقة والرواية التي تمرّ عبر الخيال، هناك الخوف من السقوط في المحظور: «الأفراد صنّاع التاريخ». لا بد -إذاً- من القيام بقراءة جديدة بعيدة من القراءات الروتينية، أو التأبينات ذات الخطاب التمجيدي الموجّه. وتُطرح أيضاً مشكلة الذاتية والموضوعية؛ فاختيار البيوغرافي ليس اختياراً عشوائياً؛ فهناك تأثير الموضوع، وهو أمر أكيد؛ فقد نجد تطابقاً أو علاقةً بين الشخصية وميولاتنا واختياراتنا؛ فلا أحد كتب سيرة حياة شخص بهدف علمي صرف ينحصر في المعرفة فقط، بل تختفي أسباب أخرى وراء هذا القناع، وهو ما نلمسه -مثلاً- في البيوغرافيات التي ينجزها السياسيون عن أنفسهم، أو تُنجز عنهم؛ فالمسافة بين الكاتب وموضوع البيوغرافيا قد تنتقل إلى علاقة خاصة جداً؛ لذلك كثيراً ما نجد تطابقاً بين الشخصية وميولات الكتاب؛ فالبيوغرافيا هي عمل على الذات بقدر ما هي عمل على الآخر؛ فعلاقة الذات بالآخر تؤثر في العلاقة بالموضوع.







لا يكفي التقاط شظايا متفرّقة من قراطيس الماضي لتوليف زمان حياة شخصيات تاريخية ما لم يتّسق هذا الالتقاط مع التحكم في العناصر الفاصلة بين الحقيقة والخيال

فبخلاف الروائي، الذي يطلق العنان للخيال بوصفه أقلّ ارتباطاً بالوثيقة، على البيوغرافي أن يكون أكثر قرباً من الحياة الحقيقية للأشخاص؛ فالكاتب الذي يطمح إلى تسليط الضوء على كلّ الأحداث في ظلّ النقص الوثائقي قد ينتهي به الأمر بسبب ذلك إلى الإخفاق.

ولئن عرفتْ أجناس كتابة السير حالياً تغيرات كثيرة بفعل ظهور أنماط أخرى انضافت إلى صنف البيوغرافيات التقليدية إنها ما زالت في حاجة إلى دراسات تبيّن مدى قيمة هذا النوع الجديد من السير، وهو ما يطرح مشروعية السؤال عن أهم خصائص هذا النوع من الكتابات البيوغرافية الجديدة.

البيوغرافيا بين الحقيقة والخيال

ستظلّ كتابة السيرة على الدوام مسألةً صعبة التناول؛ فهناك الأحلام والمخاوف، وستظلّ الرغبة تراوح دائماً بين مستوى الوصول إلى الحقيقة والخوف من الانسياق وراء الانحراف الخيالي؛ فهناك توتر قائم ودائم في الوقت نفسه بين الحقيقة والرغبة في السرد الذي يمرّ عبر الخيال[٣]؛ فالكتابة البيوغرافية مغامرة ومخاطرة بين العلم والخيال، إنه التوتر الدائم بين الحقيقة والرغبة في بناء العالم المفقود وفقاً للحدس والقدرات الإبداعية للبيوغرافي؛ فالعاطفة الذاتية ميّزت هذا النوع من الكتابات. وعلى الرغم من تنوّع المصادر التي يعتمد عليها البيوغرافي إلا أنه لابد من الاعتماد على الخيال؛ فالبيوغرافي مُلزم وضع الفرضيات والابتكار على الرغم من وجود مصادر مقرّبة؛ فحينما نكتب قصة حياة الآخرين نتدخل بشكل أو بآخر في هذه الكتابة، ونلقي بأنفسنا في هذه السيرة بشكل أو بآخر؛ فكتابة السيرة تساهم في بناء الأنا عن طريق المواجهة، إنها ليست توجّهاً ثقافياً وأكاديمياً، وإنما توجّه عاطفي أيضاً. إنها كتابة واقعية تعتمد على الخيال، لكن أيّ خيال؟.

غالباً ما يكون الكاتب مملوكاً للموضوع في أثناء البحث عن المصادر، وعن الشخص، يعيش في ذلك الجو، وكلما تعمّق في الموضوع اندمج أكثر في عالمه؛ فالبيوغرافي يعطي حياةً جديدةً للآخرين الموتى، إنها عملية إحياء من جديد؛ لذلك فالكتابة البيوغرافية مغامرة حقيقية، إنها عالم خيالي أدبي جديد متقاطع وبكر، يمتزج فيه الخيال البيوغرافي بالنقد الأدبي وموقف الكاتب. ونلمس التوتر بين التاريخ والخيال أكثر عندما يتعلق الأمر بسدّ النقص في ثغرات الوثائق، فهل هذا يعني أن كتابة السير غير محايدة؟ وما حدود العلاقة بين العلم والخيال في الكتابات البيوغرافية؟

قواعد محترمة

هناك علاقة تلقائية بين البيوغرافي وموضوعه، وهذا أمر لا شك فيه، لكن الفنّ البيوغرافي يفرض ضرورة احترام مجموعة من القواعد، منها:

- احترام الترتيب الكرونولوجي والتسلسل الزمني للأحداث لتشويق القارئ.
- اختيار ما يناسب الموضوع؛ فليس الهدف هو

الإكثار من المعلومات غير المفيدة. إنه عمل فني يركّز في إعطاء قيمة للأحداث الدالة، التي قد تبدو في الظاهر هامشية: فالتفاصيل الصغيرة جداً دائماً تكون هي الأهم[1]: فعن تاريخ حركة الهبري يذكر المودن في أطروحته السابقة أن المؤرخ عبدالرحمن بن زيدان ذكر أن بوعزة الهبري ثار في أحواز وجدة خلال عهد السلطان محمد بن عبدالرحمن سنة ١٢٨١هـ/ ١٨٦٤م، وأن جموعه سُرعان ما تشتّت، وخبا أمره، قبل أن يظهر مجدداً عند تولّي السلطان الحسن الأول الحكم عام ١٨٧٤م. لقد شكّك الباحث في أن تكون دعوة الهبري قد خمدت كلّ هذه المدة: أي: عشر سنوات، فاستند إلى إشارات غامضة وهامشية من كتاب «مطالع الحسن واتباع السنن بطلوع راية مولانا الحسن» لعلي بن محمد السوسي السملالي، ومن خلال إحدى المراسلات بين السلطان وأحد قوّاده؛ ليؤكّد أن ثمة احتمالاً كبيراً وقوياً يرجّح أن بوعزة الهبري قد أعاد كرّة ثورته عام ١٨٦٩م: أي: بعد مرور خمس سنوات فقط من ثورته الأولى، فوضح بذلك أن حركة الهبري لم تكن تلك الفورة الفجائية والسريعة الانطفاء كما أوحى الناصري.

- القدرة على التمييز بين الخصائص الفردية: فكلّ بيوغرافيا هي قصة مختلفة وفريدة لا تُقارن بغيرها: فالهوية البيوغرافية تجد نفسها في مواجهة الزمن، وتخضع في مسارها لتغيّرات كثيرة: فهي هوية متعددة جماعية متكاثرة على شاكلة الجذمور: فكل واحد - حسب تعبير غاتاري ودولوز - متعدّد[..]، وهذا الأمر هو جوهر الفرق عن السير التقليدية: فبلوتارك عندما يتناول تفاصيل شخصياته يسقط في التشابه والصور النمطية.
- البيوغرافيا لا يجب أن تستند فقط إلى خيال الكاتب، بل لا بد من مصادر مكتوبة، وشهادات شفوية، ووثائق أصلية (صحف، ورسائل، وحوارات، وغيرها). والبيوغرافي مهمّته أن يصنع العسل من هذه الوثائق جميعاً عبر مواجهة المعلومات ومقابلتها لكي يقترب ما أمكن إلى الحقيقة: فالكاتب يرتمي في الخيال من أجل الاقتراب أكثر إلى الحقيقة.

بخلاف الروائي، الذي يطلق العنان للخيال بوصفه أقلّ ارتباطاً بالوثيقة، على البيوغرافي أن يكون أكثر قرباً من الحياة الحقيقية للأشخاص

الذاتية حاضرة

جعلت دور النشر الكبرى في فرنسا من كُتّاب سير مشهورين، أمثال: أندريه كاستيلو André Castelot، وآلان دوكو Alain Decaux، قاطرةً لمبيعاتها: فقد حقّق كتاب الأخير عن فيكتور هوجو مبيعات تجاوزت ١٠٠ ألف نسخة. حتى في مُدد الاختفاء بقيت هناك كتابات حقّقت ضالة محبي أسرار البيوت، وقصص المحاربين المخيفين، وتسجّل في مدة الكسوف البيوغرافي نجاحات ذائعة الصيت لماكس كالو Max Gallo؛ فشهرته مزدوجة بوصفه مؤرخاً وكاتب سير شعبية، وقد استطاع نتيجة الطفرة التي حقّقتها البيوغرافيا أن يسوّق ٨٠٠ ألف نسخة من أعماله عن نابليون بونابرت. لقد صرّح ماكس كالو أن «بداخله روائياً خفياً هو الذي جعله يكتب البيوغرافيا»، وأول بيوغرافيا حقيقية نشرها كانت عام ١٩٦٨م عن روبيسبيير، الذي عيّنته البرجوازية أول رئيس للجمهورية بعد الثورة الفرنسية من دون أن يعلن عن مصادره. لقد استعمل ماكس كالو أسلوباً أقرب إلى الآداب منه إلى التاريخ، واعترف بأن بيوغرافياته هي روايات يتبنّى فيها موقف الشخصيات موضوع الرواية، يقول: «أرى الواقع بعيون الشخصيات المدروسة، وفي الوقت نفسه أتناول الناحية النفسية للشخصية». وفيما يخصّ النقص في التوثيق، والثغرات الأرشيفية، يجيب: «على البيوغرافي أن يستخدم حدسه وخياله لملء الفراغات؛ حتى تكتمل الرواية، وتصبح تامة ومنسجمة»[1]. وقد تمادى ماكس كالو في كتابه عن مارتن كراي Martin Gray، المنشور عام ١٩٧١م، فقال: «لقد أحسستُ بنفسي ملتصقاً بهذه الشخصية شيئاً فشيئاً، دخلت في جلد ليس لي، كنتُ مكان الطفل الذي يسكن الغيتو». لقد تجلّت الذاتية القصوى في أعمال كالو من دون استثناء، ومن كثرة الذاتية نجده في بيوغرافيته عن القديس كليرفو قد تقمّص شخصية غيره إلى أبعد حدود، إنه يتحدث عن الآخر بضمير المتكلم على صيغة السيرة الذاتية؛ فهو الراوي والشخصية في الوقت نفسه. لقد تمّ انتقاد أعماله؛ لأنها تحمل بصمات أسطورية بتركيزها في الشخصية الاستثنائية، فكانت بيوغرافياته شبيهةً -إلى حدٍّ كبير- بسيرة الأبطال العظام. إنها بيوغرافيات كلاسيكية تعايشت وصمدت بسبب حب الجمهور إياها فقط، وهذا النوع لن يعيش إلى الأبد.

البيوغرافيا نوع صعب بسبب موقعها بين الرغبة في إعادة إنتاج حياة حقيقية وضرورة الاستنجاد بالخيال: فالمؤلف حين يقوم بتأليف قصة حياة فهو ليس مؤلفها بالنسبة إلى الوجود الحقيقي، لكنه يقوم بدور المشارك في التأليف بالنسبة إلى المعنى، إنه مؤلفها الثاني؛ أي: شريك مؤلفها[2]. إن الأمر يبدو أشبه ما يكون بالخليط غير المستتر بين النسيج الخيالي والتجربة الحية: فبسبب الطابع الهروبي للحياة الحقيقية نحتاج إلى معونة القصة الخيالية كي تنظّم هذه الحياة بطريقة استعادية[3]، وعلى حدّ تعبير بول ريكور: «ستظلّ العلاقة بين الواقع والخيال مسألةً مؤرّقةً دائماً»[4].

(١) عن بيوغرافيات ماكس كالو وخصائصها انظر: 20-François dosse Le Pari biographique Écrire une vie, op.Cit, pp17

(٢) بول ريكور، الذات عينها كآخر، ترجمة وتقديم وتعليق: جورج زيناتي، لبنان: المنظمة العربية للترجمة، ٢٠٠٥م، ص٣٢٥، ٣٢٨.

(٣) المرجع نفسه، ص٣٢٩.

(٤) بول ريكور، الذاكرة، التاريخ، النسيان، ترجمة وتقديم وتعليق: جورج زيناتي، لبنان: الكتاب الجديد، ٢٠٠٩م، ص٢٤٨.

البيوغرافيا بين الحياة الخاصة والحياة العامة

لإلقاء الضوء على هذه القضية نشير إلى أن البيوغرافيات الإنجليزية في القرن التاسع عشر الميلادي، المسماة (البيوغرافيات الفيكتورية)، تم انتقادها وتجاوزها في إنجلترا مع البيوغرافيين الجدد. وكان من أهم مميزات بيوغرافيات برجوازيي العصر الفيكتوري، التي حرّرها غالباً الأقارب، تركيزها في الأشياء الإيجابية (المناقب)، فظلّت إلى حدٍّ ما أشبه بالهجيوغرافيات التقليدية. وغاب عنها البعد النقدي تماماً، وهو ما يضع القارئ في علاقة مقدسة مع الشخصيات المدروسة.

كما تميّزت هذه البيوغرافيات أيضاً بالتركيز في الحياة العامة فقط. أما الحياة الخاصة فقد خضعت للرقابة والتقييد، وحُرّم الكلام والتفكير فيها بشكل نهائي. وغدت خطوطاً حمراء يُمنع الاقتراب منها. وهذا الأمر يفسّر الهجوم الشديد على فرويد عندما كتب سيرة كارليل؛ فقد اتُّهم بانعدام الذوق، والخروج عن التقاليد؛ لأن سيرته تكشف دخائل الحياة الخاصة، وتعلن أسراراً ينبغي أن تظلّ طيّ الكتمان. وكارليل نفسه يعدّ نموذجاً لكتّاب العصر الفيكتوري في فنّ السيرة. وكتابه (الأبطال وعبادة الأبطال) تتّضح فيه العاطفة الدينية، والتسليم الميتافيزيقي.

لقد كسر البيوغرافيون الجدد؛ أمثال: ليتون ستراتشي، وفيرجينيا وولف، الحاجز الذي كان يحوم حول الحياة الخاصة للأشخاص، وتخلصوا نهائياً من القيد الأخلاقي والاحتشام الظاهري للحقبة الفيكتورية. لقد كان لنظريات فرويد أكبر الأثر في اتجاه الكتّاب إلى دراسة النواحي النفسية، ومعالجة الأمور المتعلقة بالحياة الجنسية، خصوصاً دراسة شخصيات لها نصيب من الشذوذ، وقد ألّف فرويد في هذا المجال سيراً كثيرة ، ومثّلت صراحته ونظرياته التي طبّقها على فنّ السيرة ضربةً قاضيةً للتراجم والسير الفيكتورية. وتشييداً لنمط جديد مختلف تماماً عن أيّ سيرة سابقة.

منذ بداية القرن العشرين الميلادي، أصبحت الطريقة التي يُنجز بها الأنجلوساكسون بيوغرافياتهم لا تفرّق بين الحياة العامة والحياة الخاصة للشخصيات المدروسة. بينما ظلّت الأشياء الخاصة في حياة أبطال السيرة طابوهات مخفية عن أنظار العوام في فرنسا، وإن كانت الأمور بدأت تتغير في الأونة الأخيرة. وتشكّل هذه القضية بالنسبة إلى البيوغرافي صعوبة كبرى؛ لأنه يصطدم بقلة المصادر التي تتناول الحياة الخاصة؛ فالبيوغرافي مقيّد، بخلاف الروائي الذي يكون حرا في إطلاق العنان لخياله من خلال شخصياته.

البيوغرافيا جنس متعدّد بين التاريخ والتخصّصات الأخرى

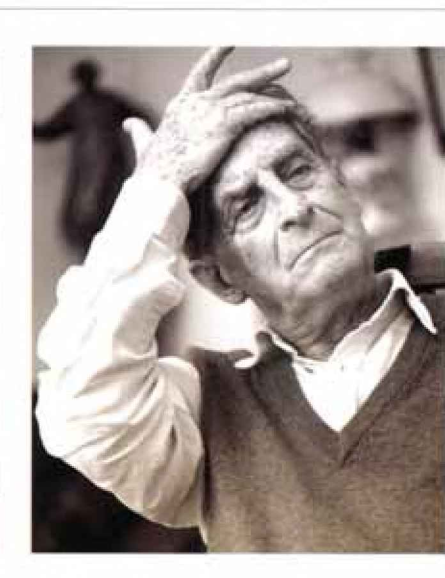
تعرّضت كتابة السير لانتكاسة كبرى، وكسوف طويل، امتد على طول مرحلة سيطرة البنيوية ومدرسة الحوليات على ميادين العلوم الإنسانية والأكاديمية، ثم فجأة ظهرت بيوغرافيات جديدة مُحتفى بها. فما الأشياء التي تغيّرت جذرياً في هذه الكتابات؟.

لم تأخذ البيوغرافيا الجديدة من تركة سير الحياة التقليدية إلا الزمن؛ فإذا أخذنا بتقسيم دانييل ماديلينا سنميّز بين مرحلة كتابة السير التي تتموقع بين العصر القديم إلى حدود القرن الثامن عشر الميلادي والمرحلة الرومانطيقية من القرن الثامن عشر إلى بداية القرن العشرين الميلادي، التي ركّزت في قضايا العلاقات الحميمية داخل الأسر، وفي العواطف والخيال في التعبير، وأخيراً البيوغرافيات الجديدة التي أُغنيت بعلوم التحليل النفسي والسوسيولوجيا .

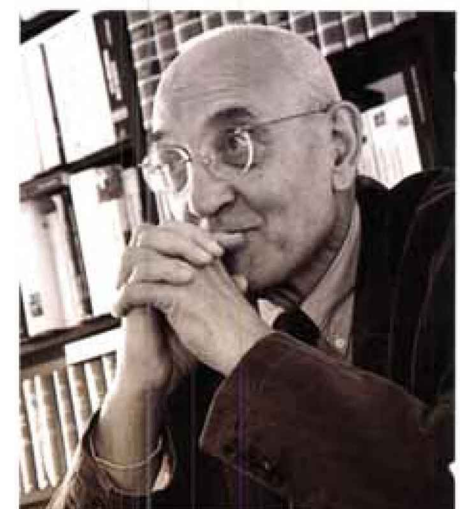
أرسلت البيوغرافيات الجديدة السير بالمفهوم الكلاسيكي إلى دائرة النسيان، وعدّتها لعبةً قديمةً، وشبّهتها بالرجل العجوز المحكوم عليه بالتقاعد والموت. لقد اختفى مصطلح السير، وانقرض من واجهة المكاتب، ومن أغلفة الكتب بين الحربين . لقد انتقلنا -إذ- من مرحلة كتابة السير إلى مرحلة كتابة البيوغرافيا.

أصبحت البيوغرافيات الجديدة جنساً تتداخل فيه أقطاب متعددة؛ فهو خليط بين: التاريخ، والأدب، والفكر، وعلم النفس، والاجتماع، والأنثربولوجيا. وانخراط البيوغرافي في موضوع دراسته يتطلب منه استثمار هذا التركيب المعقد. لا بد للبيوغرافي أن يخترق الفرد، ويغوص في أعماقه، من دون السقوط في فخّ الخلط بين هذا الشخص وذاك كما تقدّم؛ فالتحليل النفسي يؤكد أنه على الرغم من

كان لنظريات فرويد أثر كبير في اتجاه الكتّاب إلى دراسة النواحي النفسية ومعالجة الأمور المتعلقة بالحياة الجنسية، خصوصاً دراسة شخصيات لها نصيب من الشذوذ



جين لاكتور



ماكس كالو

هذا التوتر ليس خاصاً بالبيوغرافيا، بل نجده أيضاً في التاريخ، لكنه موجود في النوع البيوغرافي بحدة أكثر؛ فاستدعاء الخيال لملء الفراغات في ظلّ وجود نقص وثائقي من صبغة البيوغرافيا؛ فالثغرات الزمنية الظرفية تحتاج إلى مجهود كبير لملئها بوصف الحياة نسيجاً ثابتاً من الذاكرة والنسيان؛ فمثلاً: عندما قام عبدالرحمن المودن في رسالته لأطروحة السلك الثالث (البوادي المغربية قبل الاستعمار) بإنجاز جدول كرونولوجي للحَرْكات المخزنية في إيناون خلال القرن التاسع عشر لاحظ وجود ثغرة كبيرة بين عامي ١٨٤٨ و١٨٦٧م، وأرجع ذلك إلى النقص في المصادر، وليس إلى توقّف ظاهرة الحَرْكة في إيناون[1]. ولاحظ أيضاً عبدالله نجمي أن هناك فجوةً تغطّي نحو قرنين من الزمان تسكت خلالها المصادر السنية سكوتاً يكاد يكون تاماً عن أخبار الطائفة اليوسفية، وأكد أن ظاهرة تعاقب مُدد تراكم الأخبار في شأن الطوائف البدعية، والمُدد التي تتضاءل فيها هذه الأخبار أو تنعدم، مسألة ثابتة في كلّ المجتمعات[2]. ولا ننسى أن عبدالله نجمي في رسالته لأطروحة السلك الثالث عن (التصوف والبدعة بالمغرب) أعاد بناء كتابة سيرة أحمد بن يوسف بخلاف الطريقة المعهودة؛ انطلاقاً من مقابلة ما جاء في المصادر المتقدمة والمراجع المتأخرة، المغربية والأجنبية منها، خصوصاً المراحل الأولى من حياته قبل الشهرة، وهذه المرحلة هي التي غالباً ما تسكت عنها المصادر المبكرة، فتكون محطّ اهتمام المتأخرين من خاصة المحبين وعامتهم، الذين يعملون على ابتداع المناقب، ونسج القصص والحوادث، ونسبتها إلى المراحل المعتمة من حياة هؤلاء الأعلام، فتصبح فيما بعد جزءاً لا يتجزأ من تراجمهم، وقسماً لا ينفصل من سيرهم[3]؛ لذلك فقد كان إنجاز سيرة كاملة للشيخ أحمد بن يوسف صالحاً وعارفاً وبدعياً -حسب المؤلف- ضرورة منهجية استهدفت تبديد الغموض الذي اكتنف هذه الطائفة في الأسطغرافيا التي اهتمّت بها، وحوّلتها إلى أغرب أسطورة في تاريخ التصوّف المغربي[4]. وقد مزج عبدالله نجمي في أطروحته لكتابة تاريخ الطريقة اليوسفية بين الأسلوب الروائي الأدبي والتاريخي الأكاديمي، وهو ما أعطى عمله قيمةً جماليةً فنيةً وأدبيةً وتاريخيةً؛ لذلك فإن الرغبة في الوصول إلى الحقيقة، التي يمليها المنهج العلمي، وكذا الطابع الحقيقي لشخوص البيوغرافيا، لا تمنع -بأيّ حال من الأحوال- البعد الجمالي الذي يعطي العمل قيمته الفنية الراقية؛ فالبيوغرافي مثله مثل رسام بورتريه: كلما كان خياله أوسع اقترب أكثر إلى الحقيقة.

استعمل ماكس كالو أسلوباً أقرب إلى الآداب منه إلى التاريخ، واعترف بأن بيوغرافياته هي روايات يتبنّى فيها موقف الشخصيات موضوع الرواية

جان برنارد بونطاليس

(١) عبدالرحمن المودن، البوادي المغربية قبل الاستعمار: قبائل إيناون والمخزن بين القرن السادس عشر والتاسع عشر، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة: رسائل وأطروحات، رقم ٢٥، الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، ص٣٢١-٣٢٤.

(٢) عبدالله نجمي، التصوّف والبدعة بالمغرب: طائفة العكاكزة ق١٦-١٧م، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة: رسائل وأطروحات، رقم ٤٧، الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، ص٤٢، ٤٣.

(٣) المرجع السابق، ص٥٤.

(٤) خصّص عبدالله نجمي القسم الأول بأبوابه الثلاثة لإعادة كتابة سيرة أحمد بن يوسف، راجع: المرجع السابق، ص٥٣-٢٧٩.

العمل الطويل على الذات لن تتوصل إلى الحقيقة والجوهر؛ فدائما تبقى هناك أسئلة مفتوحة على المستقبل، وهذا الشيء يفسّر لنا لماذا يمكننا كتابة عدد لانهائي من البيوغرافيات الجديدة عن الشخصيات نفسها؛ فالبيوغرافي ليس أول من تتبّع آثار الشخصية، بل لابد أن هناك أسئلة جديدةً دفعته إلى إعادة الاهتمام والبحث.

تخضع الهوية البيوغرافية في مسارها لتغيّرات كثيرة، وهي هوية متعددة جماعية متكاثرة على شاكلة الجذمور؛ فكلّ واحد -حسب تعبير غاتاري ودولوز- متعدد، هناك -إذاً- رؤى متعددة، وليست قراءة واحدة لشخصية تاريخية معينة. ليست هناك قراءة علمية للهوية الشخصية، بل تتعدّد زوايا النظر ووجهاته حول الشخصيات التاريخية. وعلى البيوغرافي أن يستحضر في ذهنه المكانة الخاصة التي يوليها التحليل النفسي للإنسان بوصفه حالة فردية نفسية معقدة. ويتدخل التحليل النفسي أيضا على الخط الموازي ليؤكد أن البيوغرافي نفسه ينساق خلف الموضوع. ويتدخل على أساس إما النفور وإما الانسجام والتوافق مع الشخصية المدروسة؛ ففرويد قام بإنجاز بيوغرافيا عن الرئيس ويلسون من وضعية نفور، والأمر نفسه بالنسبة إلى آيان كرشاو Ian Kershaw عن الزعيم النازي أدولف هتلر[٥]. علّمنا التحليل النفسي أن الإنسان يبقى هو نفسه. ليست هناك شفافية كاملة للموضوع. عموماً، البيوغرافي مضطرّ إلى أن يستعرض الحوافز التي دفعته إلى مصاحبة حياة الشخص الذي يعيد رسم مسار حياته من جديد.

تتموقع بين التاريخ والآداب، والخيال والحقيقة، مجموعة أخرى من البيوغرافيات، أطلق عليها أصحابها سلسلة (الأنا والآخر L'un et l'autre)، وتعدّ (بيوغرافيات ضد البيوغرافيا)؛ فهناك خلط واضح بين الخيال والحدث، بين الكاتب والموضوع. وتشتمل هذه البيوغرافيات على دراسات متنوعة، لكنها تشترك جميعاً في خاصية العلاقة التي تجمع الكاتب بموضوعه، وهي علاقة خاصة جداً، وتُرجمت بوصفها تجربةً فريدةً وطريقةً في الكتابة هي أقرب إلى الأدب منها إلى التاريخ. وتعود هذه التجربة



كان مـن أهم مميـزات بيوغرافيـات برجوازيـي العصـر الفيكتـوري، التي حرّرها غالباً الأقارب، تركيزها في الأشياء الإيجابية (المناقب)، فظلّت إلى حدّ ما أشبه بالهجيوغرافيـات التقليديـة

بين الحقيقة والخيال

تعدّ البيوغرافيا جنساً صعباً؛ بسبب طموحها أن تكون أكثر قرباً إلى الحياة الحقيقية للأشخاص؛ لذا يُطلب من البيوغرافي التزام القواعد العلمية، وفي الوقت نفسه جودة العمل من الناحية الفنية، ومراعاة القارئ العادي الذي يسعى إلى أن يعيش في الخيال أكثر من الانغماس في المراجع الثقيلة. وتجعل الصفة الهجينة للبيوغرافيا من الصعوبة أن نموقعها؛ فهذا التعدد والتناقض في الجنس البيوغرافي جعله جنساً هجيناً غير خالص، وهذه الخاصية هي التي أدّت بفرجينيا وولف إلى وصف هذا النوع البيوغرافي بأنه نوع ممتد، ونتاج لزواج غير شرعي بين الخيال والعلم. ونجاح المناولة البيوغرافية أو إخفاقها -حسب فرجينيا وولف- يتجلّى دائماً في قدرة البيوغرافي على المزاوجة الجيدة بين الجانب الخيالي والجانب الحقيقي؛ لذلك فإنها عندما علّقت على الأعمال البيوغرافية الشهيرة لستراتشي ميّزت بين نجاحه الباهر في كتابه عن الملكة فيكتوريا وإخفاقه الكامل في بيوغرافيته عن الملكة إليزابيث بقولها: «استطاع ستراتشي بحصوله على ملف مملوء بالوثائق عن الملكة فيكتوريا توليف الأبعاد الموضوعية مع الخيالية بتوفيق كبير، بينما شحّ المعلومات المتعلقة بالملكة إليزابيث أدى به إلى الانغماس في السجلّ الخيالي المحض». ولقد رجع جابرييل جارسيا ماركيز -مثلاً- إلى مئات الوثائق التي استقطرها لتوليف زمان شخصية سيمون بوليفار الملقّب بـ(بجورج واشنطن أمريكا اللاتينية) في رواية (الجنرال في متاهته)[1]، وأنتج منها صورةً مغايرةً لشخصية محرّر أمريكا اللاتينية، حتى ليُقال: إن التواريخ الحقيقية للحوادث رسمت زمناً تخيّلياً لحياة رجل غير حقيقي. إن رواية (الجنرال في متاهته) ليست رواية بطل من ذلك الزمان، إنما هي رواية بطل في هذا الزمان، وبذلك يصدق القول: إن سيمون بوليفار هو ماركيز نفسه، بالصدق الذي قيل فيه: إن مدام بوفاري هي فلوبير[2].

تتركّب البيوغرافيا -كما سبق القول- من التوليف والربط بين مستويي الخيال وحقيقة الأحداث، وعلى البيوغرافي أن ينجح في التوفيق بين المستويين المتناقضين؛ فلا يكفي التقاط شظايا متفرّقة من قراطيس الماضي لتوليف زمان حياة شخصيات تاريخية ما لم يتّسق هذا الالتقاط مع التحكم في العناصر الفاصلة بين الحقيقة والخيال؛ فتواريخ الحياة تختلف عن القصص الأدبية.

إن التحول الكبير الذي خضع له جنس البيوغرافيا -كما أوضحنا- يتموقع على مستوى نظام الحقيقة؛ ففي الوقت الحاضر يؤكد فرانسوا دوس أن الجميع يتّفق في قبول الجانب من الخيال الذي تبنّته البيوغرافيات الجديدة، إنه خيال من الواقع المعيش. ■

(١) جابرييل جارسيا ماركيز، سيمون بوليفار أو الجنرال في المتاهة، ترجمة: محمد عبدالمنعم جلال، القاهرة: الهيئة العامة المصرية للكتاب، ١٩٩٦م.

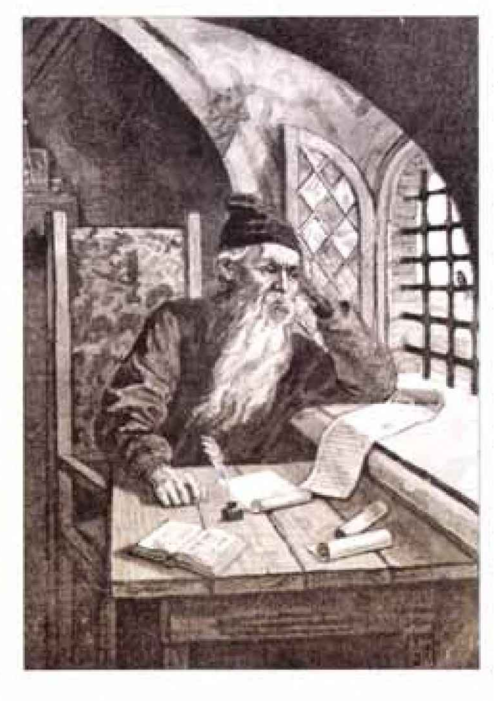
(٢) محمد خضير، السرد والكتاب، كتاب دبي الثقافية، الإصدار ٣٦، دار الصدى، مايو ٢٠١٠م، ص٣٦، ٣٧.

الطريقة إلى الكاتب الفرنسي جان برنارد بونطاليس Jean-Bernard Pontalis الآتي من علم النفس، الذي اتّخذ من البيوغرافيا مجالاً لممارسة نوع من التجديد الأدبي؛ فقد اقترح على مؤسسة جاليمار Gallimard الشهيرة للنشر تبنّي مشروع سلسلة بيوغرافية تشويقية جديدة تعرض على عدد من مؤلّفي السير تدوين ارتساماتهم الشخصية حول طبيعة العلاقة التي ربطتهم بالشخوص التي كتبوا عنها، وتقديم ما رسخ في ذهنهم ووعيهم من ذكريات ذاتية وحميمية، والكشف عن مدى حدود تأثّر الكاتب في مساره بسيرة الآخر الذي أنجز عنه دراسةً بيوغرافيةً سابقةً. إنها طريقة مستوحاة من أسلوب التحليل النفسي. كانت التجربة مغامرةً استهدفت الكشف عن مدى حضور الذات لدى الحديث عن الآخر، والعكس. سلسلة (الأنا والآخر) تجربة مثيرة ومغايرة لقيت نجاحاً منقطع النظير.

اعتمدت طريقة برنارد بونطاليس على اختيار الكتّاب المُعجبين بأعمالهم، وترك حرية اختيار موضوعاتهم لهم. وكان من بين أشهر ما أنجز في إطار هذه السلسلة كتاب (الأسفل جداً) لكريستيان بوبان[١٤]، الذي اختار لصياغة ارتساماته ضمن سلسلة (الأنا والآخر) شخصية القديس فرانسوا داسيز Saint François d'Assise، وهو راهب إيطالي المنشأ، كاثوليكي المذهب، عاش بين عامي ١١٨٢ و١٢٢٦م، واشتهر بتأسيسه رابطة الإخوان الصغار الفرنسيسكان. وكان هذا النصّ نصاً فارقاً صدر عام ١٩٩٢م، ولقي إقبالاً كبيراً من الجمهور القارئ، وبيع منه أكثر من ١٦٠ ألف نسخة. كما نشر بوبان عملاً آخر مهماً نشرته السلسلة نفسها، وحمل عنوان: (السيدة البيضاء)[١٥].

يعترف فرانسوا دوس ويقرّ بأن الذاتية موجودة في الأعمال البيوغرافيا، لكنه يؤكّد -في المقابل- أنها موجودة في الأعمال التاريخية أيضاً؛ فالذاتية رافقت على الدوام الأبحاث التاريخية؛ فالمؤرخ يكشف عن ذاته من خلال أعماله؛ إذ ليس هناك تاريخ من دون ذاتية المؤرخ التي تصبح جزءاً من العمل التاريخي. وفي العمق: التاريخ هو تاريخ المؤرخين الذين يكتبونه؛ فالمؤرخ الذي عايش الأحداث، وشارك فيها ذاتاً فاعلةً، وكتب عنها، تختلف نظرته عن الذي يكتب عن الحدث اليوم، إنه يكتب تاريخاً مختلفاً بمنظور وقراءة جديدين. ومع ذلك، فعلى البيوغرافي أن يترك مسافةً بينه وبين الموضوع الذي يشتغل عليه، ليس على المستوى الفكري فقط، لكن أيضاً على المستوى العاطفي، وإلا سقط في (الوهم البيوغرافي)[١٦].

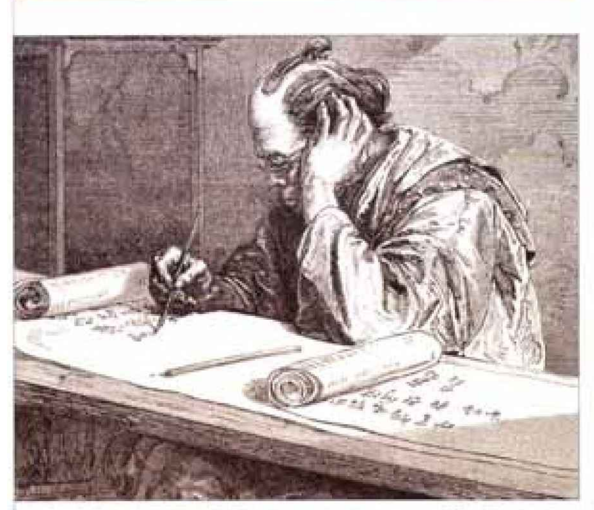
من سمات البيوغرافيا التاريخية الجديدة

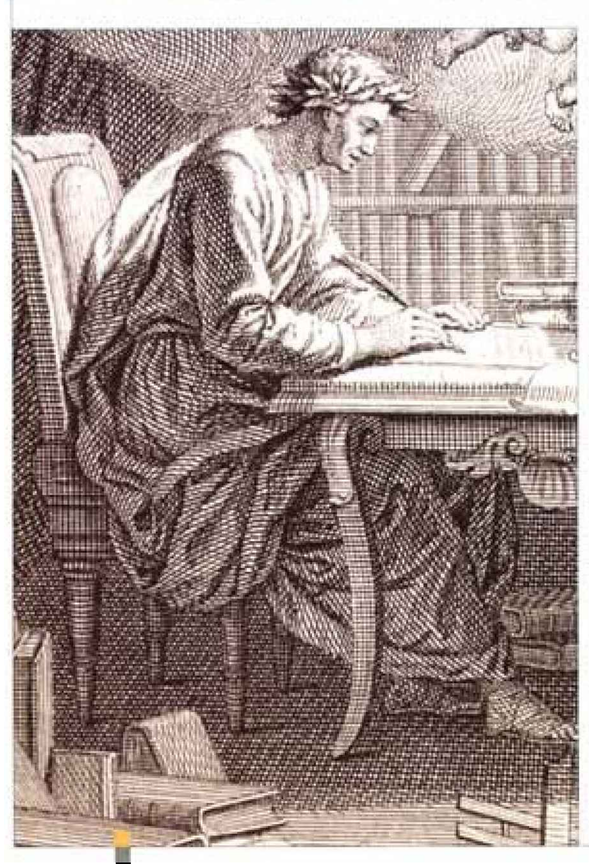


ترك المجال مفتوحاً للفرضيات بين الحقيقة والخيال، والصحافة والتاريخ، والحياة الخاصة والحياة العامة، والفكر والحياة. وستظلّ البيوغرافيا إلى الأبد -بوصفها عملاً يقوم على تتبّع صيرورة الوجود الإنساني- حقلاً خصباً يحصد من خلاله البيوغرافي منتوجاً متنوعاً يوظّفه في حلّ ألغاز معنى الحياة. إن البيوغرافي يعقد علاقةً مع الموت إلى أبعد حدود، إنه يبدو دائماً كمحنّط وحفّار للقبور؛ فأموات اليوم هم أحياء الأمس[١٧]؛ لذلك فعندما سُئل بيير شون عن البيوغرافي الناجح أجاب: «البيوغرافيا هي النوع الصعب؛ فأن تأخذ شخصاً، وتموقعه من جديد في زمانه، هو عمل يحتاج إلى تفرّغ، وأطلب من الله أن يمدّ في عمري لأتمكّن من إنجاز هذا النوع».

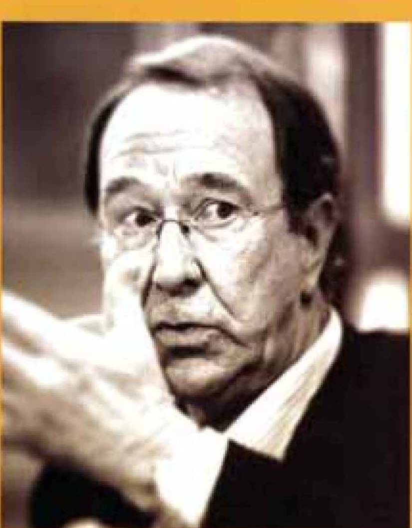
مغامرة وورطة

كتابة السيرة نوع من المخاطرة والمغامرة، إنها رهان صعب، بل مقامرة وورطة؛ لأن البيوغرافي لا يمكنه أن يمتلك مفتاح الشخصية؛ لذلك نجد بيوغرافيات متعددة عن الأشخاص أنفسهم، ليس لأن الأمر يتعلق باكتشاف أرشيفات أخرى، وإنما لأن هناك أسئلةً جديدةً تُطرح؛ فالفرضيات والنتائج التي يتوصّل إليها البيوغرافي تبقى مفتوحةً أمام دراسات جديدة، ومن المستحيل الوصول إلى حقيقة الشخصية؛ لذلك فإن من يلعب الرهان البيوغرافي يقامر دائماً؛ لأن كسب الرهان أمر صعب، إن لم نقُلْ: مستحيل؛ لأنه في نهاية المطاف قد يكون رهاناً خاسراً.

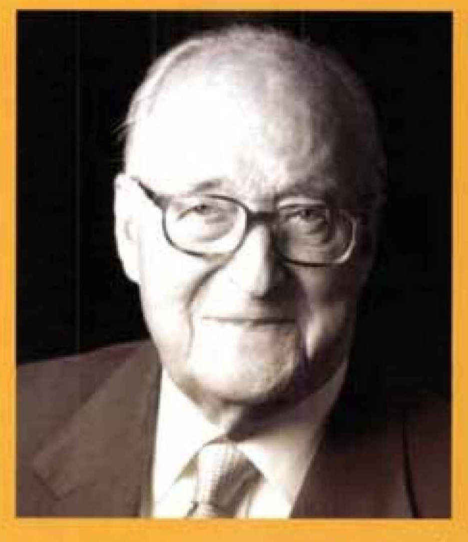




من سمات البيوغرافيا التاريخية الجديدة ترك المجال مفتوحاً للفرضيات بين الحقيقة والخيال، والصحافة والتاريخ، والحياة الخاصة والحياة العامة، والفكر والحياة



آيان كرشاو



آلان دوكو

الهوامش والمراجع

(1) Marc Ferro, «La biographie, cette handicapée de l'histoire», Le Magazine littéraire, avril 1989

(2) François dosse. Le Pari biographique. Écrire une vie.op.cit. p7.

(3) François dosse Le Pari biographique. Écrire une vie, Paris. La découverte. 2005. p 58.

(٤) رأى عبدالرحمن المودن أن المصادر التقليدية لا تسلّط الأضواء إلا على مرحلة التوهّج، وبذلك فسّر غياب ذكر هذه المصادر ثورة الهبري في تازة عام ١٨٦٩م. للمزيد راجع: عبدالرحمن المودن، البوادي المغربية قبل الاستعمار، مرجع سابق، ص٤٠٢-٤١٥.

(٥) نشير هنا إلى قولهما: «لقد كتبنا ضد أوديب معاً، وبما أن كلّ واحد منا كان متكوثراً (متعدداً) فإن العدد

الصحافة في خدمة البيواغرافيا

لماذا نكتب البيوغرافيا؟ سؤال يطرح نفسه بقوة. من دون شكّ، كتابة سيرة حياة شخص آخر لا تكون دائماً بهدف صرف ينحصر بالضرورة في المعرفة؛ فأحياناً تختفي وراء المعرفة أسس أيديولوجية للكاتب، وهنا نشير إلى البيوغرافيات التي كتبها سياسيون؛ فآلان جوبي -الوزير وعمدة بوردو السابق- كتب بيوغرافيا عن مونتسكيو أراد أن يربط من خلالها اسمه باسم هذه الشخصية المشهورة في الإقليم[1]، كما أن كثيراً من السياسيين بمجرد انتهاء مهامهم السياسية يتّجهون إلى كتابة سيرهم، ومراجعة مشوارهم السياسي، أو يصبحون موضوعات للبيوغرافيا التاريخية؛ فقسم منهم يمسك بالقلم لكتابة مذكراته وهو لا يزال يتحمّل المسؤولية للبوح غالباً بالإنجازات، وأحياناً بالتعثرات والإخفاقات، وقسم آخر يلجأ إلى الكتابة بعد أن يعتزل الأضواء، فيكشف عن أشياء كانت تتوارى في الظلّ سابقاً بسبب ظروف المرحلة. وتثير هذه المذكرات اهتمام القارئ، الذي يتطلع إليها بصبر وأناة، خصوصاً إذا كانت الشخصية رفيعة المستوى، أو مثار جدل، أو ارتبطت بقضية ساخنة؛ إذ غالباً ما يُنتظر منه كشف المستور، وتسليط الضوء على ما خفي من الأمور. وهذه الكتابات أيضاً جنس بيوغرافي مميّز قريب - إلى حدٍّ كبير - من السيرة الذاتية التاريخية بحكم استنادها إلى عناصر البوح، والكشف، والتشويق، والمفاجأة. ثم هناك جنس آخر مشابه يأتي في قالب حوار أو مقابلة، يصدر على شكل كتاب أو قصة حياة، يتكفّل بإنجازه - إلى جانب الشخصية - كاتب أو صحفي مشهور يملك موهبةً أدبيةً، وأسلوباً فنياً، وهذه الأنواع ترعاها - بسخاء - دور النشر الكبرى، وأقطاب الإعلام؛ بهدف كسب الربح المادي، وجلب أكبر عدد من القراء. وقد صدر كتاب ليونيل جوسبان -السكرتير الأول للحزب الاشتراكي الفرنسي، والوزير الأول السابق في عهد ميتران- وهو بعنوان مثير (ليونيل يحكي جوسبان)[2]، يروي فيه مسار حياته الشخصية والسياسية، معتمداً في ذلك على خبرة صحفيين اثنين يُشهد لهما بالكفاءة والمهنية العالية (باتريك روتمان، وبيار فافييه)، وقد احتلّ الكتاب أسابيع بعد صدوره الرتبة الثالثة في قائمة مبيعات الكتب بفرنسا. كما أصدرت الصحفية السياسية الشهيرة آنا كابانا كتاباً عن دوفيلبان، ركّزت فيه في مساره السياسي، وخلفية صراعه مع الرئيس الفرنسي نيكولا ساركوزي[3].

تتموقع البيوغرافيا أيضاً -بوصفها جنساً هجيناً- بين مهنة الصحفي والمؤرّخ، وقد أصبحت مشهورةً بهذه الازدواجية في الهوية؛ فتظهر في كتابات جان لاكوتير Jean Lacouture -على سبيل المثال- توترات الهجانة بين الصحافة والتاريخ؛ فهذا الصحفي ربح رهانات مؤرّخ بازدواجيته، ويعدّ حالياً بيوغرافياً متخصّصاً أخرج هذا النوع من العار، وأوصله إلى قمة النجاح[4]، وجعل انتماؤه المزدوج إلى الصحافة والتاريخ أعماله تتّسم بالغنى والكثرة؛ فقد كتب بيوغرافيا لخمسة زعماء من العالم الثالث[5]، وأعطت كتاباته النوع البيوغرافي أبعاداً واسعةً أدبياً وفنياً، كما شارك أيضاً في إنجاز بيوغرافيا لأهم الشخصيات الفرنسية والمغربية قبيل استقلال المغرب[6].

الكتابة البيوغرافية مغامرة ومخاطرة بين العلم والخيال، إنه التوتر الدائم بين الحقيقة والرغبة في بناء العالم المفقود

(١) François dosse, Le Pari biographique. Op.cit.103.

(٢) Pierre Favier et Patrick Rotman. Lionel raconte Jospin Editeur: Seuil (7 janvier 2010).

(٣) Anna Cabana. Villepin: La. verticale du fou Editeur: Flammarion (26 janvier 2010)

(٤) أصدر كتاباً في هذا المجال، انظر: Jean Lacouture. Profession biographe, Hachette 2003.

(٥) هؤلاء الزعماء الخمسة هم: الملك محمد الخامس، والرئيس بورقيبة، وفرحات حشاد، وهو شي منه، وسيكو طوري.

(٦) أنجز إلى جانب Simonne Lacouture وصفاً بيوغرافيا لأهم الشخصيات الفرنسية والمغربية في الحقبة التي أدّت أحداثها إلى استقلال المغرب. انظر: ديل إيكلمان، السلطة والمعرفة، ص٢٣. وللمزيد انظر: jean Lacoutur Le Maroc à l›épreuve, en collaboration avec Simonne Lacouture, Le Seuil 1958.

أصبح كبيراً. للمزيد انظر: Gille Deleuze Felix Guattari, Capitalisme et schizophrenie, Mille plateaux, les editions de Minuit, 1980, p9. ترجمة: عز الدين الخطابي، ص٩-٣٧، مأخوذ من مجلة (رؤى تربوية)، العدد ٢١، ص٨٧.

(6) François dosse. Le Pari biographique. Op.cit. p.64

(٧) ماهر حسن فهمي، السيرة تاريخ وفن، القاهرة مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٠م، ص٨.

(٨) الحقبة الفكتورية: هي المدة الزمنية التي حكمت خلالها الملكة فيكتوريا مملكة إنجلترا بين عامي ١٨٣٧ و١٩٠١م، واتّسمت بالإفراط في الاحتشام، وادّعاء الطهر الخلقي؛ فقد طال المنع والتحريم الحياة الجنسية؛ إذ نُفي هذا الموضوع بشكل نهائي إلى غرف النوم المظلمة، وحُرِّم الكلام والكتابة عنه. يُراجع في ذلك: ميشيل فوكو، تاريخ الجنسانية إرادة العرفان، الجزء الأول، ترجمة: محمد هشام، إفريقيا الشرق، ٢٠٠٤م.

(٩) إحسان عباس، فن السيرة، بيروت: دار صادر، عمان: دار الشروق، ١٩٩٦م، ص٤٦.

(١٠) ماهر حسن فهمي، السيرة تاريخ وفن، مرجع سابق، ص٨-٩.

(11) François dosse. Le Pari biographique. Op.cit. p.9-10

(12) Martine Boyer Weinmann. La relation biographique. Enjeux contemporains. Editions Champ Vallon septembre 2005 p.5

(١٣) بيار كرشاو، هتلر، فلاماريون، فرنسا

(١٤) انظر Christian Bobin, Le Très Bas, éditions Gallimard, Collection «L›Un et l›autre» 1992

(١٥) انظر Christian BobinEd. La dame blanche Ed. Gallimard, Collection. «L›Un et l›Autre» 2007

(16) Pierre BOURDIEU, "L'illusion biographique", Actes de la Recherche en Sciences sociales, n° 62/63, juin 1986, p. 69-72.

(١٧) نحن لا نتعامل في التاريخ إلا مع أموات الزمن العابر، وعملية كتابة التاريخ مثل طقوس الدفن. ويعدّ ميشيل دو سيرتو الممثّل الأفصح لتحويل الموت في التاريخ إلى مدفن عن طريق المؤرّخ. راجع في هذا الخصوص: بول ريكور، الذاكرة، التاريخ، والنسيان، فقرة الموت والتاريخ، ص٥٢٢-٥٢٩.



الروائية البريطانية الحائزة على جائزة نوبل للآداب.. دوريس ليسينغ:

حوار: ألكسيس ليبرت

ما تكتبه يعبّر عن حقيقتك

في سنّ الثامنة والثمانين تجد دوريس ليسينغ -الروائية البريطانية الحائزة على جائزة نوبل للآداب عام ٢٠٠٧م- نفسها متعبة من سوء التفاهم الذي تكون في الأغلب هي مصدره، عن طريقة عملها، وقناعاتها السياسية، تتحدث صاحبة الدفتر الذهبي.

● هل غيّرت جائزة نوبل شيئاً في حياتك؟

لا، لا شيء. أولاً، لم أعمل منذ حصلت على هذه الجائزة في نوفمبر عام ٢٠٠٧م، ولم أستطع أن أذهب إلى ستوكهولم لتسلّمها بسبب مشكلات صحية، فبعثتُ ابني وأحفادي ليتسلّموها بدلاً مني، وأنا بقيت هنا، ومنذ ذلك الحين لم أفعل شيئاً، تأخذ الصحافة صوراً لي، وأجيب عن الأسئلة، وأهتم بمنزلي وابني، وحالياً إن وجدت ساعة فراغ في الأسبوع أحسّ بالسعادة.

● كيف تعملين عادةً؟

في حياتي مراحل كثيرة: فقد كنتُ في بعض الأحيان أعمل كلّ اليوم، أكتب من الثامنة صباحاً إلى منتصف النهار، ثم أستأنف العمل بعد الظهر حتى المساء، لكن كان هذا منذ زمن بعيد.

● هل تعتقدين أن هذه الجائزة ستغيّر شيئاً ما في طريقة كتابتك؟ هل تحسّين نفسك مختلفة منذ أن حصلت عليها؟ هل تشعرين بأنها قلّدتك نوعاً من المسؤولية؟

لا، في سني لا أستطيع أن أتغيّر.

● يقال: إنك بدأت الكتابة في سنّ الثامنة؟

تقريباً، بل في سنّ السابعة، وبطبيعة الحال كان شيئاً بسيطاً، نصاً صغيراً يتحدث عن غروب الشمس، لكنه مع ذلك نُشر، ليس في صحيفة عالمية، لكن في صحيفة صغيرة The Rhodesia Herald. كان ذلك نصاً صغيراً لطفلة، ولم يكن نصاً أدبياً كبيراً، ومنذ ذلك الحين وأنا أكتب كلما تسنّى لي ذلك.

● متى قرّرتِ أن تصبحي كاتبة؟

حدث ذلك على مراحل؛ فحين كنت أبلغ من العمر ٢٥ سنة كتبتُ أول قصة لي، وكانت بعنوان (الحشيش يغني)، وقد تُرجمت وقتها إلى اللغة الفرنسية.

● في سنّ الرابعة والعشرين غادرتِ روديسيا تاركةً أولادك لزوجك، لماذا هذا القرار؟ هل كان مرتبطاً بحاجتك إلى الحرية من أجل أن تكتبي؟

لا، ليس كذلك، كنا في حالة حرب، والتقيتُ أول مرة أناساً أحسستُ أني قريبة منهم، كانوا لاجئين شيوعيين إلى إفريقية هربوا من هتلر، كانوا مثيرين للاهتمام لديّ؛ لأنهم قرؤوا كلّ ما قرأت، وكانوا يشاطرونني الرأي عندما كنت أقول: إن هذه الوضعية لا يجب أن تستمر، أعني: وضعية روديسيا؛ لأن البيض كانوا يسيطرون على السود، وكانت المرة الأولى التي ألتقي فيها أناساً يفكرون مثلي، وكان ذلك بديهياً بالنسبة إليهم، مجراني أولادي لم يكن بالأمر الهين، لكن الأمر لم يكن يتعلّق بالتجربة، أو بشيء من هذا القبيل، تذكّر أن جان جاك روسو عندما هجر أولاده كان يعتقد أن هذا الهجر سيكون جيداً جداً بالنسبة إليهم، كانت تلك الفكرة سخيفةً، لكنني كنت مؤمنةً بها آنذاك، ورجعتُ إلى إنجلترا بصحبة ابني الصغير، الآن بالطبع أعتقد أنها كانت فكرةً سخيفة.

● كيف تأتيك فكرة كتاب: بشكل عفوي أم عليك أن تبحثي عنها؟

لا ليس عليّ أن أبحث عنها، كنتُ دائماً أعرف ما سأكتبه لاحقاً، عندما أنتهي من كتابة كتاب أعرف ما سأكتب بعده، لكني لا أباشر العمل فوراً، لستُ من الكتّاب الذين يفرغون من كتاب يوم الثلاثاء، ويشرعون في كتاب آخر يوم الأربعاء، أحبّ أن يمرّ وقت بين كتابين، وأحتاج إلى وقت لأفكر بهدوء في الكتاب المقبل.

● كيف تكتبين؟ هل تضعين خطة ثم تشرعين في الكتابة؟

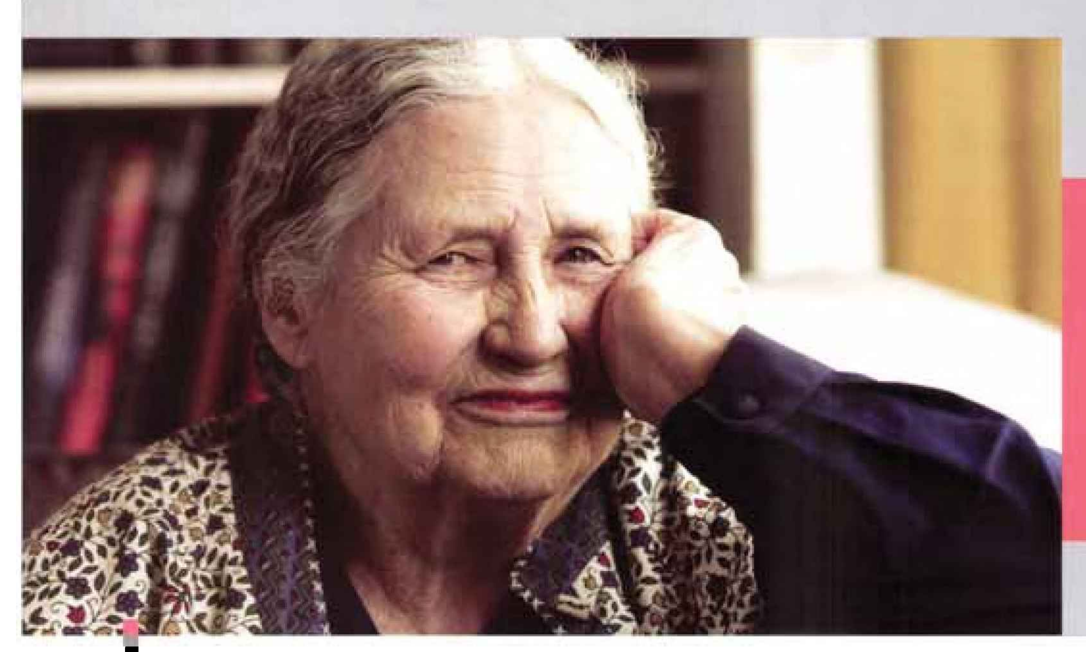
أكتب مسوّدةً أولى تكون دائماً قصيرةً جداً، ثم أكتب أخرى دائماً أطول من الأولى، ثم أبعث هذه النسخة إلى شخص يكتبها بالآلة الكاتبة؛ لأني لا أجيد فعل ذلك، إذاً، عليّ في كل مرة أن أكتب ثلاث نسخ قبل أن أصل إلى النصّ النهائي.

● في كتابك الأخير (ألفريد وإيملي) تعيدين كتابة التاريخ، لماذا هذا الخيار؟

أردتُ أن أكتب قصةً تعبّر عما كانت ستكون عليه حياة والدي لو لم يعانيا الحرب العالمية الأولى؛ فعمدت -بكلّ بساطة- إلى محو هذه

■ رفضت من الملكة لقب «الليدي»؛ لأني وجدتُ من الغريب أن أصبح سيدة إمبراطورية لم تعُد موجودة

■ بعد ٣٠ عاماً من الكفاح النسوي، المرأة الأكثر سخافةً يمكن أن تسيء معاملة الرجل الأكثر لباقة



الحرب التي كبّدتنا كثيراً من الخسائر، تخيّل أنه لم يكن هناك اتحاد سوفييتي، ولا إمبراطورية سوفييتية، ولا هتلر، ولا المحرقة، ولا الحرب العالمية الثانية، كلّ ذلك نتيجة حرب عام ١٩١٤م.

استعملتِ تقريباً كلّ الأشكال الأدبية من الخيال العلمي إلى الشعر مروراً بالمسرح، هل الرواية كانت تبدو لك جنساً أدبياً مقيّداً؟

الأمر أبسط من ذلك؛ فعندما تكون لديّ فكرة عليّ أن أجد أحسن وسيط لأعبّر عنها؛ فما يصلح لقصيدة لا يصلح لقصة. أنا لا أقول: الآن سأكتب قصة خيال علمي، أو ديوان شعر، أحاول فقط أن أجد الشكل الأكثر مناسبةً لما سأقوله. إذا كانت كتاباتي مختلفة فهذا لأنه لديّ أشياء مختلفة أودّ قولها؛ فعلى سبيل المثال: إذا أردت أن تكتب قصة تمتد ملايين السنين فإنك لا تستطيع أن تبدأ بقولك: «جلس فريدي في المطبخ، وشرب قدحاً من الشاي الثقيل»، هذا الأمر غير مناسب، عليك أن تجد بدايةً مختلفةً.

يجزم بعض الكتّاب بأن شخصيات كتبهم تفرّ منهم، وتأخذ حريتها، هل سبق أن حدث معك ذلك؟

مرةً واحدةً في حياتي، كتبتُ (الجنرال دان)، وكانت هناك شخصية لم أكُنْ أنتظرها، ظهرت وفرضت نفسها عليّ، ولأني كنتُ أسأل: ماذا أفعل بها؟ فعلتُ ما يفعله كثير من الكتّاب، حلمتُ بها، حلمتُ أن دان الشخصية الأساسية قد وجد كلباً، وذهب إلى نجدته، وأطلقت على الكلب اسم (الكلب الثلج)، فأصبح شخصيةً مهمةً في كتابي، كان هذا هو العنصر الناقص في القصة، وبفضله وصل الكتاب إلى شكله النهائي، لم أتوقّع مثل هذا الأمر، لكنه حصل.

هل تظنّين أن الكاتب يجب أن يشرع في العمل في كلّ كتاب كما لو أنه الكتاب الأول؟

على كلّ حال، هذا ما يحدث معي عامةً، خصوصاً أنني كتبتُ كثيراً من الكتب في أجناس يختلف بعضها عن بعض؛ ففي كلّ مرّة يكون الكتاب الذي أكتبه كأنه أوّل كتاب.

كيف تعرّفين نفسك بوصفك كاتبةً: هل أنت كاتبة رواية وقصص، أو كاتبة ملتزمة كما نسمّي ذلك في فرنسا؟

لست كاتبةً ملتزمةً، وهذا واضح؛ فأنا شخص يروي حكايات، بالطبع، ما تكتبه يعبّر عن حقيقتك، لكن ليس عليك أن ترسل برسائل. أنا من الجيل الذي سمع ستالين يقول: الكتّاب هم مهندسو الروح البشرية، وهو ما جعل الكتّاب ينتجون بعضاً من أسوأ الكتب التي كُتبت في تاريخ البشرية. أنا أظنّ أنه يجب أن يُعطى لقاح ضد هذا النوع من الاعتقادات؛ فإذا كنت تعتقد أنك مهندس للروح فمن دون شكّ سوف تكتب نصوصاً سيئةً جداً.

في اعتقادك، ما أحسن كتبك؟

لا أستطيع الإجابة عن هذا السؤال؛ لأن كتبي تشكّل كلاً متكاملاً في نظري، هناك بعض الكتب التي أفضّلها، لكن هذا لا يعني أنها أهم ما كتبتُ، أحبّ (زواج بين المناطق ٣ و٤ و٥)، وأحبّ أيضاً (الدفتر الذهبي) لأسباب أخرى، ربما لأنه كتاب لا يمكن أن يُكتب في أيامنا هذه، كما أحبّ أيضاً كتباً أخرى شعرت بالمتعة وأنا أكتبها، مثل: مارا ودان، والجنرال دان.

هل سبق لك أن أتلفت كتاباً فرغت من كتابته؟

نعم، مرتين أو ثلاثاً، لم تكن كتباً جيدة، ولم أخطئ؛ فقد كانت حقاً كتابات سيئة. أنا أعرف عندما يكون كتابي سيئاً أم لا.

ما رأيك في الكتّاب البريطانيين حالياً؟

أنا لا أجيب عن هذا النوع من الأسئلة، أتفادى الحديث عن معاصريّ؛ لأن حديث الكاتب عن معاصريه هي أفضل طريقة يكوّن بها أعداء؛ فمن تذكرهم لا يسرّون أبداً بما تقوله عنهم، ومن لا تتحدث عنهم يثورون؛ لأنك لم تفعل ذلك. أعرف أن الصحف تحبّ ذلك كثيراً، أعني: إثارة الضغائن بين الكتّاب، لكني لا أريد أن أشارك في ذلك.

هل هناك متعة، أو على الأقل: بعض الفوائد للشيخوخة؟

لا، لا شيء، ولا بأيّ صفة، فعندما نكبر يزداد مزاجنا سوءاً.

أظنك لا تحبذين فكرة ترجمة ذاتية لك وأنت على قيد الحياة؟

أجل، ليس قبل أن أتوفّى؛ فالناس ينسون غالباً أن الكتّاب لهم أقرباء وأصدقاء كبقية الناس، لماذا عليهم أن يُذكروا في هذه الكتب؟ هذا الأمر لن يكون بالضرورة مفرحاً بالنسبة إليهم.

فلنتحدث عن السياسة إذا سمحت، كنت سابقاً شيوعيةً ولم تعودي؟

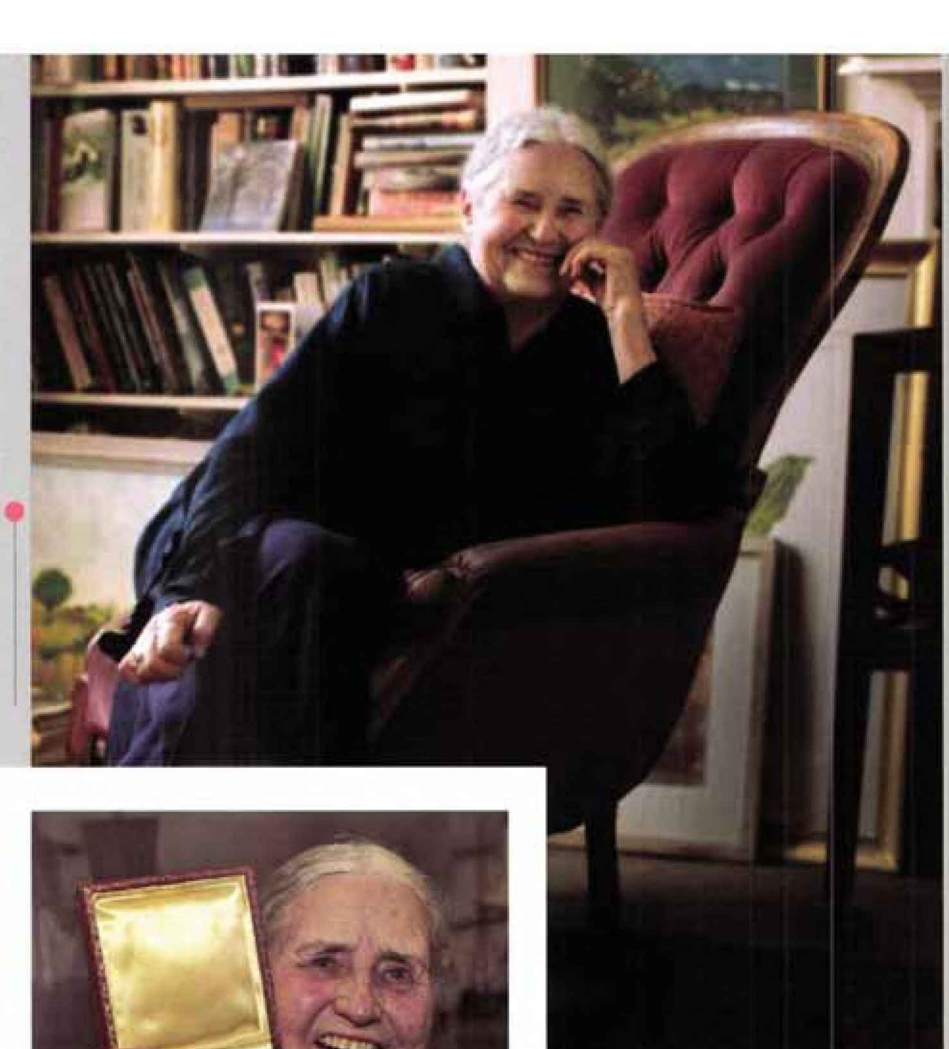
لماذا هذا السؤال السخيف؟ لقد ترك الآلاف من الناس الحزب الشيوعي في وقت واحد، هذه ليست بالحكاية الخارقة للعادة، أليس كذلك؟! كلّ أصدقائي تركوا الحزب الشيوعي؛ ففي تلك الآونة كان الجميع شيوعيين، واليوم لا أحد مازال شيوعياً، ما حدث أننا فهمنا كلنا في الوقت ذاته حقيقة الاتحاد السوفييتي، وهذا الأمر نفسه حدث في فرنسا، ولأننا نتحدث عنها وعن مثقفيها فقد قرأت مؤخراً كتاباً عن سارتر، أعتقد أنه وسيمون دي بوفوار كانا

> **كنت محقةً عندما حاربت التفرقة العنصرية في روديسيا، لكنني كنت مخطئة في اعتقادي أن السود سيكونون أفضل من البيض**

شخصين كريهين جداً، كانا لا يقولان الحقيقة، وموقفهما تجاه الاتحاد السوفييتي والصين كان مخزياً، وفي نهاية الأمر أصبح سارتر سجيناً لسكرتيره باني ليفي.

أظنّ أنه سبق لكِ أن دُعيت إلى اجتماع لخلية الحزب الشيوعي الفرنسي، ماذا علق في ذاكرتك من ذلك الاجتماع؟

أتذكّره كأنه مزحة، كنت أعمل في باريس في تلك المدة، ولأنني كنت شيوعية أردتُ أن أعرف ماذا يعني اجتماع لخلية الحزب الشيوعي الفرنسي، فأجابني بعضهم أن ذلك أمر صعب جداً؛ لأن الشيوعيين الفرنسيين مصابون بالبارانويا، كان ذلك سخيفاً حقاً؛ فلم أكن



منهم عن قتل أيّ أحد، ولم تُطلب مني المغادرة قبل نهاية الاجتماع. تذكّرتُ أنني ذات مرة كنت أتناول العشاء مع بعض الرفاق الإنجليز، واثنين شيوعيين من إيطاليا، فقال لنا الأخيران: نأسف أن نقول لكم هذا، لكن لن تكون هناك ثورة في إنجلترا؛ لأنه ليس لديكم المزاج المناسب لذلك».

ناضلتِ من أجل حرية روديسيا، فما ردّ فعلك حيال الوضعية الراهنة لزيمبابوي؟

بكلّ أمانة، لو كنت أعرف ما سيحدث ما كنت بذلت كلّ هذا الجهد في هذا النظام. بالطبع، الأمر لم يكن أحسن في روديسيا؛ فقد كان



مشكلة الأمريكيين أنهم يظنّون أنهم وحدهم عرضة للإرهاب؛ فممارسات منظمة «إيرا» أكثر بشاعة من أحداث سبتمبر

أريد وضع قنبلة تحت الطاولة، فنصحني أصدقائي في الحزب الشيوعي البريطاني بأن أتصل بترستيان تازارا، الكاتب السريالي الذي أصبح مناضلاً شيوعياً، وحصلت أخيراً على الإذن بحضور الاجتماع الذي أردتُه. كان هناك حرّاس عند باب العمارة، وآخرون داخلها، وكان المشاركون كلّهم يرتدون الزيّ العسكري، ربما لأنهم كانوا ينتمون إلى الجيش، كانوا يتصرّفون بصرامة، ولا يبتسمون البتة. دار الحديث خلال الاجتماع حول الطريقة التي يمكن بها الحصول على المال. وبعد كلّ الصعوبات التي تلقّيتها للتمكّن من حضور هذا الاجتماع ظننتُ أنه ستتم مناقشة أمور مهمة، لكنهم كانوا يتناقشون عما إذا كان من الأفضل القيام ببيع خيري أو طلب المال من الجيش. بعد ذلك طلب مني المغادرة؛ لأن الجانب المتعلّق بالأمور الداخلية سيُشرع في مناقشته، كان ذلك بلا معنى. المشكلة هي أن الشيوعيين الفرنسيين من ذلك الجيل كانوا يعتقدون أنهم محاربون في حالة صمود، بينما هم أشخاص عاديون يتصرفون كأنهم في خطر، لكنهم في حقيقة الأمر ليسوا كذلك. عندما عُدتُ إلى انجلترا قلتُ لرفاقي: إن الشيوعيين الفرنسيين يمثّلون. بعد ذلك أردتُ أن أحضر اجتماعاً مع الحزب الشيوعي الإيطالي، فحدث العكس؛ فقد أجابوني: «بالطبع، يمكنك ذلك متى أردت. وهم لم يتحدثوا عن بيع خيري، لم يتحدث أيّ النظام قاسياً جداً، كان هناك ١٥٠ ألفاً من البيض يضطهدون مليوناً ونصف المليون من السود. بالطبع، كنتُ محقّةً عندما حاربتُ هذه الوضعية في روديسيا، لكنني كنتُ مخطئةً في اعتقادي أن السود سيكونون أفضل من البيض.

تجمع الحركات النسوية في العالم على أن أشهر كتبك (الدفتر الذهبي) يعدّ إنجيلاً، كيف تشرحين ذلك؟

في بادئ الأمر لم يُنشر في فرنسا، ولا في ألمانيا، لكن نُشر في بقية أنحاء العالم، ولم يعدّه أحد كتاباً للحركة النسوية. واستمرّ ذلك عشر سنوات، لكن نشره في ألمانيا وفرنسا تزامن مع انفجار الحركة النسوية،

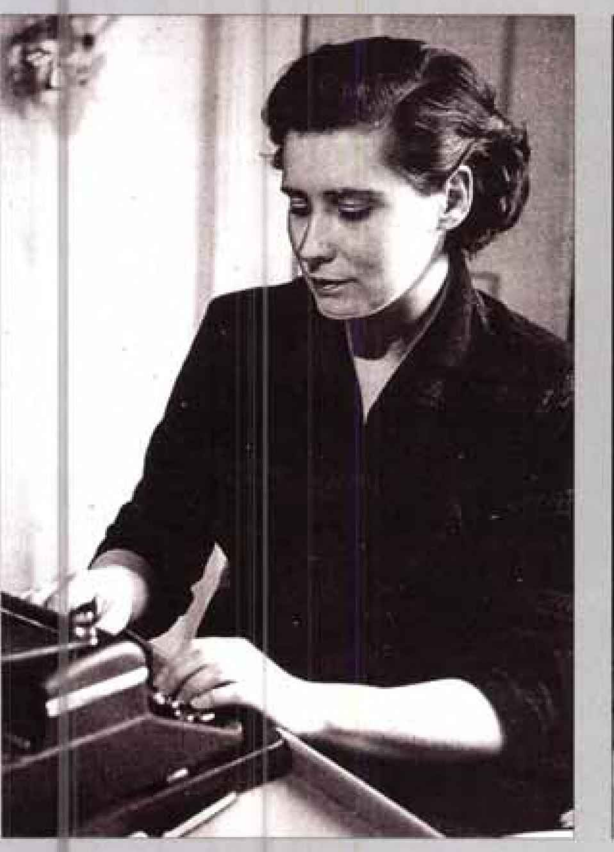
وأظنّ أن كل مؤيدي الحركة النسوية لم يقرؤوه جيداً؛ فالجملة الثانية من الكتاب كانت «كل شيء ينهار، ومن كلّ الجهات»، هذا كلّ ما يتحدث عنه الكتاب ليس إلا. أصحاب الحركات النسوية لم يُسدوا لي خدمةً؛ لأنه بسببهم لم يقرأ كثير من الرجال الكتاب في تلك المدة، ولحسن الحظ فقد قرؤوه بعد ذلك. لكن يبقى السؤال مطروحاً: لماذا وجد كثير من الناس هذا الكتاب مدهشاً إلى هذا الحدّ؟!. أنا في حقيقة الأمر لم أكتب إلا ما سمعته، وما كانوا هم أيضاً يسمعونه منذ سنوات كثيرة؛ فالشيوعيون والاشتراكيون تحدثوا حينذاك عن كتاب يروّج للحركة النسوية، بينما الكتاب وصف لحوار سلفي. هكذا تربّيتُ، الرجال من جهة يتحدثون فيما بينهم، والنساء في الجهة الأخرى؛ فلما يزعم الناس أنهم اندهشوا عند قراءة ما كانوا يسمعونه من سنوات، ما زلت لا أعرف.

● كنتِ في كثير من المرات في غاية القسوة تجاه نتائج الحركة النسوية، ألم تخشي ردود الفعل العنيفة التي كان من الممكن أن يتسبّب بها كلامك؟

أنا لا أكترث بردود الفعل العنيفة. في الحقيقة حالياً، وبعد ثلاثين عاماً من الكفاح النسوي، المرأة هي الأكثر سخافةً، والأكثر سوءاً، والأقلّ أدباً؛ فبإمكانها أن تسيء معاملة محاولة حلّ الإمبراطورية البريطانية؛ فأنت تعلم أن اللقب هو سيدة الإمبراطورية، ووجدتُ أنه من الغريب أن أصبح سيدة إمبراطورية لم تعُدْ موجودةً.

● لقد صدمتِ كثيراً من الناس في الولايات المتحدة الأمريكية عندما ظهرت كأنك تقلّلين من خطورة أحداث ١١ سبتمبر؟

أنا لم أنسَ ما عشته من سنوات تحت تهديد منظمة إيرا IRA، وبالطبع ما حدث في ١١ سبتمبر أمر رهيب، لكن بالنسبة إلى الذين عاشوا مرحلة اعتداءات (إيرا) هذا الحدث يعدّ أقلّ بشاعةً، ويبدو أن الجميع نسي أن (إيرا) وضعت قنبلةً بمناسبة معاهدة الحزب المحافظ في برايتن تسبّبت بقتل كثير من الأشخاص، وكادت تقتل الوزيرة البريطانية الأولى السيدة تاتشر. إذاً، وددتُ أن أقول للأمريكيين: ماذا كانوا سيقولون أو يكتبون إذا كادت مجموعة من الإرهابيين تقتل مجمل أعضاء حكومتهم؟!. سيعودون في كلّ مرة إلى ذلك الحدث، ويتذكّرونه من دون ملل، وهذا ليس الحال بالنسبة إلينا؛ فنحن لا نردّد ذلك؛ لأننا نظنّ أنه لا يستحقّ أن نفعل معه ذلك. المشكلة أنهم يعتقدون أنهم وحدهم عرضة للإرهاب، لكن ذلك غير صحيح، هذا كلّ ما قلتُه.

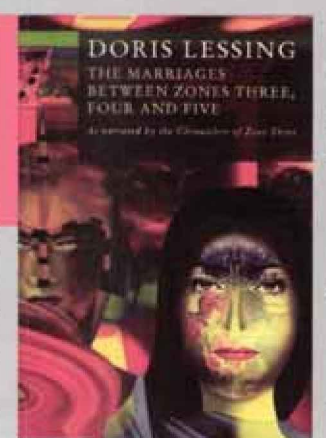


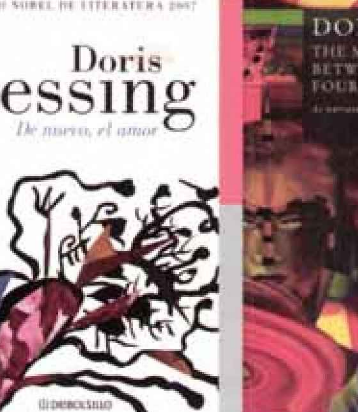
أنا من جيل سمع ستالين يقول: «الكتّاب هم مهندسو الروح البشرية»، وهذا الأمر جعل الكتّاب ينتجون بعضاً من أسوأ ما كُتب في تاريخ البشرية

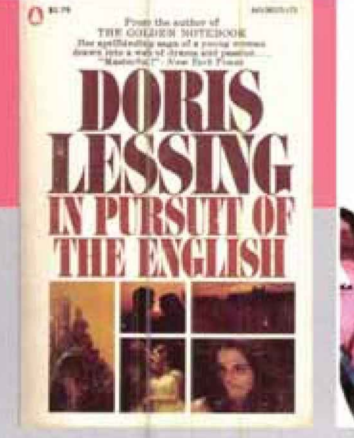
الرجل الأكثر لباقةً، والأكثر ذكاءً، وتظنّ أن ما تفعله شيء جميل، ولن يعارض أيّ شخص ذلك، وقد قلتُ ذلك علناً، وأثار ضجةً، وأنا لا أكترث بذلك، وأعيدها مرةً أخرى.

● عرضت عليك الملكة لقب (الليدي)، ورفضت هذا التكريم، أكان ذلك لأسباب سياسية؟

لا، حتى وإن قضيتُ جزءاً من شبابي في







شجــر الذكــريات

حزينٌ أنا
كلّما اخترتُ عاصمةً للحنينِ اغتربتُ
وتلك القريبةُ مني
تلك الحبيبةُ
تلك التي في اليمينِ يميني استطابتْ
يساراً
ومِن شُرفةِ العاشقينَ رمتْني
وقالتْ لديكَ الجهاتْ.
حزينٌ أنا
كلّما قلتُ للوقتِ زِدْني
أنا الشاعرُ الحرُّ
صوتُ الحقيقةِ
صفوُ المياهِ
أريدُ حياةْ
أنا الحيُّ ما عشتُ يا ربِّ

لا الأهلُ أهلي
ولا الدارُ داري
تمنّعَ كالغادةِ المستبدّةِ بالحسنِ
ثمّ امتطى صهوة الريحِ
أغلقَ أبوابَهُ
والصدى يُرجعُ الصوتَ: هاتْ.
حزينٌ أنا
لا البلادُ بلادي
وما ظلّ فيما أرى غير بعضِ الرميمِ
وبعضِ الرفاتْ.
حزينٌ..
ككلّ المُدانين بالنطقِ والصابرين
لأنّ الثّباتَ على الحقِّ
ما ظلّ فيهِ الثُّباتْ.
حزينٌ أنا

ولي فرحي
بادي القولِ لي امرأةٌ
وطيورٌ حيارى
ولي شجرٌ
قلتُ يا شجري
يا مُطيل المكوثِ
علامَ الوقوفُ؟!
تعالَ
أراكَ إذا نِمْتُ تمشي
فحرّك أغصانَهُ
ثم مرّ كما الغيم
حتى غدوتُ وحيداً بلا شجرِ الذكرياتِ
وها هو
في كفّ روحي كما الحلمِ ماتْ.



التوابل..

ودورها في التجارة العالمية على مرّ العصور

التابل فـي اللغة: هو ما يُطيَّب به الأكل. وطيَّب الطعام: جعلـه طيباً، وعالجه بالطِّيـب. والطِّيب: كلّ ذي رائحـة عطرة. وتبّل الطعـام: جعل فيه التابل. وفي المعجمات تسـمّى التوابل الأفاويه، ولها اسم شائع هو: بهارات، ويُطلق على التوابل المستوردة من الهند، وبهارات هي الاسم القديم للهند؛ إذ كانت تسمى بهذا الاسم قبل مئات السنين.

وفي بلاد المغرب العربي يطلقون على التوابل اسم (بزار) أو (حرارات). والتوابل: هي تلك الأجزاء النباتية التي تُستعمل لإعطاء المأكولات أو المشروبات لوناً مرغوباً، أو إكسابها رائحةً عطرةً فوّاحةً، أو تعطيها طعماً طيّباً مميّزاً مرغوباً، أو مذاقاً لذيذاً مستساغاً، أو نكهةً لاذعةً مثيرةً للشهية. كثير من التوابل التي نُطلق عليها بهارات تُزرع وتُنتج في المناطق الاستوائية الآسيوية؛ كالقرفة، والفلفل الأسود، والكبابة، والكركم، والزنجبيل، والهيل، والقرنفل، وجوزة الطيب. أما المناطق الاستوائية في أمريكا الوسطى، فيأتي منها: الفانيليا، وفلفل جامايكا، الذي يسمى خطأ (كبابة)، وكذلك الفليفلة التي تُعطي تابل الفلفل الأحمر. أما منطقة الشرق الأوسط، وحوض البحر الأبيض المتوسط، فتنتج أقدم أنواع التوابل استعمالاً، مثل: الكزبرة، والكمّون، والخردل، وحبّة البركة، واليانسون، والحلبة، والزعتر، والكبار، والعرعر، والورد الجوري، والسمّاق، وحب محلب، والزعفران، والغار، وإكليل الجبل. وتوابل المناطق المعتدلة الباردة في أوربا قليلة، وهي: العرعر، والزعتر، والخردل، والمردقوش، والكراوية.



كلمة فلفل - إضافةً إلى أنها اسم عَلَم لتابل الفلفل الأسود المعروف - تطلق بصورة مجازية على أيّ من التوابل من باب إطلاق اسم الجزء على الكل؛ فنقول: فَلفلَ الطعام: جعل فيه الفلفل؛ أي: التابل، ومفلفل: هو متبّل؛ أي: مطيّب بالتوابل.

ويرجع تاريخ استعمال التوابل إلى عهود ماضية قديمة كقدم معرفة الإنسان بأنواع الأغذية التي تناولها، وعند معرفته الطبخ تعرّف الأطعمة والنباتات المستساغة ذات الطعم الشهيّ والرائحة الطيبة، وهكذا تجمّعت وتراكمت لديه خبرات انتقلت من جيل إلى آخر.

التوابل.. تجارة عالمية رائجة

إضافةً إلى أهمية التوابل في تطييب الطعام، فقد أدّت دوراً كبيراً في التجارة، خصوصاً في آسيا والشرق الأوسط؛ لأن تجارة التوابل كانت المحرّك الأساسي للاقتصاد العالمي في ذلك الوقت؛ فمنذ عهود قديمة تطلّب الأمر الوصول إلى مصادرها المختلفة، والمتاجرة بها، وإيصالها إلى المناطق التي تحتاج إليها. لقد طوّرت تجارة التوابل العلاقات الأولى بين الشرق والغرب؛ فلقيمتها الاقتصادية جذبت كثيراً من تجار الغرب، الذين اجتازوا الطريق ذهاباً إلى الشرق حيث مصدر التوابل، وإياباً إلى الشرق الأوسط وأوربا حيث مراكز التوزيع.



بسبب وقوع كثير من الدول والممالك العربية
على امتداد طرق القوافل التجارية التي تحمل المنسوجات والتوابل فقد سادها الرخاء المادي

التوابل... دليل الرخاء

عُرفت التوابل واستعملت منذ آلاف السنين في حضارة ما بين النهرين في العراق القديم، وفي مصر القديمة، كما عرفها واستخدمها الإغريق والرومان. وفي الهند القديمة استُخدم كثير من التوابل التي عُرفت بالأصل هناك، ويُذكر أن القرنفل استُعمل في الصين منذ القرن الثالث قبل الميلاد. وقبل اكتشاف أمريكا، عرف سكّانها الأصليون (الهنود الحمر) استعمال النباتات الأصيلة هناك توابل؛ فمنذ زمن بعيد استعملوا تابل الفلفل الأحمر. أما الفانيليا وفلفل جامايكا فقد استعملوهما بخلطهما مع مسحوق الكاكاو؛ لإكسابه رائحةً عبقةً ونكهةً لذيذةً.

ذُكرت التوابل في القرآن الكريم، فوردت أسماء: الخردل، والبصل، والثوم، والريحان، والكافور، والزنجبيل. كما أن الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم استعمل حبّة البركة، وأوصى بها. وفي الدولة الإسلامية الواسعة أصبحت للتوابل واستخداماتها مكانة مرموقة، فبها نستدلّ على الرخاء الماديّ للسكان في ذلك الوقت. وفي زمن الخلافة العبّاسية، رافق الانتعاش الاقتصادي تقدُّم موازٍ له في كلّ نواحي الحياة الفكرية والحضارية، إلى جانب العلوم، والطب، والثقافة، والموسيقا، والشعر، والأدب، وكان طبيعياً أن يتقدم فنّ طهي الطعام، الذي تعدّ التوابل من أهم أدواته، وكانت تصل إلى السكان عن طريق التجارة من مناطق إنتاجها المشهورة؛ كالقرنفل، والهيل، وجوز الطيب، والقرفة، والفلفل الأسود، والزنجبيل، والزعفران.

العرب يتحكمون

كانت بلاد الحجاز من المناطق التجارية المهمة في جزيرة العرب؛ فقد كان يشقّها شريان رئيس من شرايين التجارة العالمية، هو طريق اللبان، الذي تتفرّع منه طرق تجارية أخرى باتجاه الشرق والشمال الشرقي؛ فقد كانت الحجاز جسراً يربط بين بلاد الشام والعراق وحوض البحر الأبيض المتوسط من جهة، واليمن والحبشة والصومال والسواحل المطلة على المحيط الهندي من جهة أخرى، وقامت فيها محطات تجارية تتموّن منها سفن الروم بالبضائع ومنتجات الهند، بما فيها التوابل.

وفي القرون الوسطى، وعند دخول أوربا العصور المظلمة، تركّزت تجارة التوابل في أيدي التجار العرب، وبصورة خاصة بعد انتشار الإسلام، ووصوله إلى مناطق بعيدة، حتى الصين. وفي عصور الظلام تلك لم تصل إلى أوربا إلاّ كميات قليلة من التوابل؛ لأن سكانها لم تكن لهم من ثروات يبادلونها بالتوابل التي يجلبها العرب لهم، والكميات القليلة التي كانت تورّد إلى هناك كانت لغرض استهلاكها من قبل أصحاب القصور والأغنياء فقط.

إن أقدم طرق التجارة العالمية سابقا هو الطريق الذي يبدأ من الهند مارا بالخليج العربي، ومنها إلى بلاد ما بين النهرين منتهيا ببابل. وعن هذا الطريق وصلت التوابل الهندية إلى مدن العراق القديم، فاستخدم سكانها التوابل المجلوبة؛ مثل: القرفة، والهيل، إلى جانب التوابل التي كانت تُزرع عندهم. والطريق الآخر هو الطريق الذي يبدأ من الهند أيضا مارا باليمن بعد الإبحار في بحر العرب، ومن اليمن تتّجه القوافل في الجزيرة العربية شمالاً، باتجاه دول الشرق الأوسط، عن طريق ما يسمّى بدرب اللبان، الذي كان يبدأ من اليمن ماراً بمحاذاة البحر الأحمر. وكان المصريون القدماء يعملون وسطاء للتجارة على هذا الطريق؛ إذ يقومون بتوصيل التوابل الهندية إلى مصر وسورية والعراق، وكانوا يجلبون من خلال هذا الطريق، إضافةً إلى التوابل، منتجات اليمن، ومنها اللبان اليمني، واللبان الصومالي؛ إذ كانت لهما سوق رائجة في مصر الفرعونية. وربما من خلال هذا الطريق أيضاً وصلت بلقيس ملكة سبأ إلى القدس عند زيارتها الملك سليمان، حاملةً إليه -إلى جانب الذهب والأحجار الكريمة- الطيوب والتوابل من اليمن، وهو دلالة على أهمية التوابل منذ ذلك الحين.

طريق الحرير

في القرن الأول للميلاد بدأ الرومان رحلاتهم البحرية، منطلقين من مصر باتجاه الهند لجلب التوابل من هناك؛ إذ كان الرومان قد خبروا طبيعة الرياح الموسمية الاستوائية التي ساعدتهم على الذهاب بحرا إلى الهند والعودة منها؛ فقد جلبوا من هناك الفلفل الأسود، والزنجبيل، والكركم. ولم تقتصر تجارة الرومان على الطريق البحري إلى الهند، إنما رافقها طريق آخر بري، يبدأ من الصين، ويمرّ بجبال الهملايا والقوقاز وإيران، ثم بلاد ما بين النهرين، إلى أن يصل إلى البحر الأبيض المتوسط، ومن هناك إلى روما، وسُمّي هذا الطريق بـ(طريق الحرير)، وكانت تجلب عن طريقه -إلى جانب الحرير- التوابل، ومنها القرفة الصينية (دار صيني)، والكمّون، والزنجبيل. وعندما أصبحت القسطنطينية عاصمة الإمبراطورية البيزنطية تبوّأت مركز التجارة العالمي؛ إذ وصلت إليها معظم التوابل التي كان الرومان يتاجرون فيها، وأضافوا إليها القرنفل وجوز الطيب. ومع أن الرومان طوّروا علاقاتهم التجارية مع الصين والهند إلا أن التجارة بقيت في يد وسيط، هم التجّار العرب، الذين عرفوا التوابل واستخدموها من قبل، وكانت لها عندهم قيمة تعادل المعادن الثمينة.

سوق مزدهرة

أورد ثيوفراست (٣٧١ - ٢٨٧ ق. م) في كتابه (تاريخ النبات) حديثا عن المناطق الجنوبية من بلاد العرب، التي اشتهرت باللبان والبخور

> عندما أصبحت القسطنطينية عاصمة الإمبراطورية البيزنطية تبوّأت مركز التجارة العالمي؛ إذ وصلت إليها معظم التوابل التي كان الرومان يتاجرون فيها

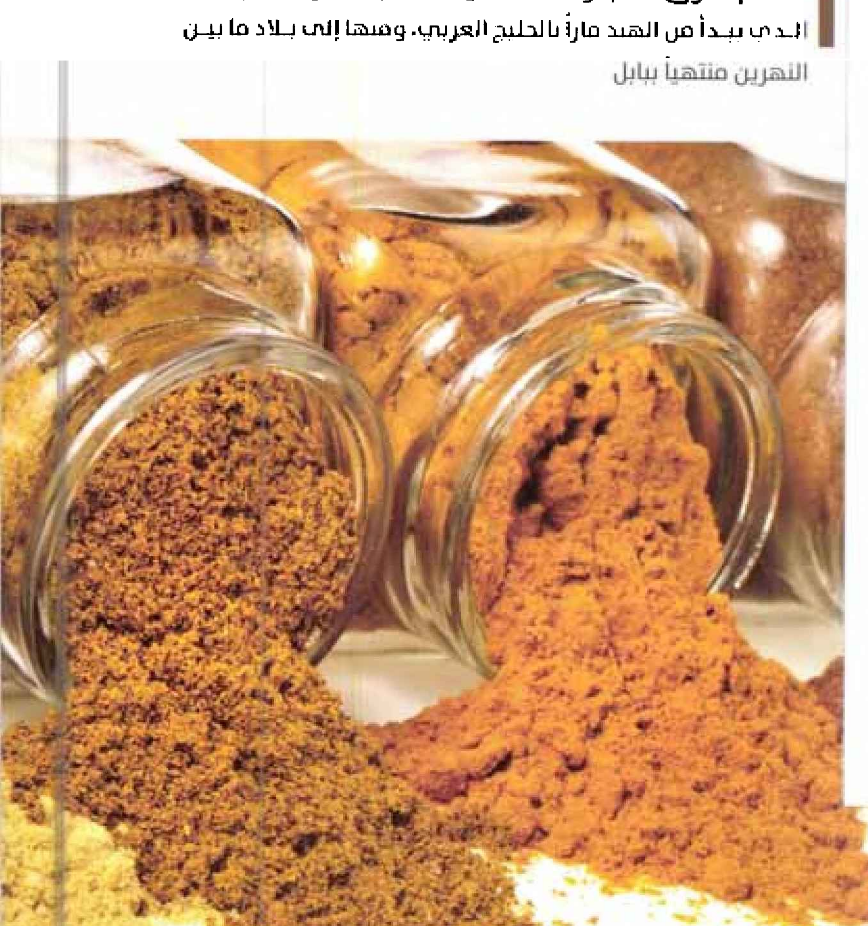


والطيوب. وأشار إلى أنهم تعاملوا بتجارة التوابل، وجلبوها من الهند وإفريقية، وأوصلوها إلى منطقة البحر الأبيض المتوسط وأوربا على الرغم من تبدّل الحضارات والقوى التي هيمنت على الأمور هناك. وبسبب وقوع كثير من الدول والممالك العربية على امتداد طرق القوافل التجارية التي تحمل المنسوجات والتوابل فقد سادها الرخاء المادي؛ بسبب سيطرتها على طرق القوافل العالمية، كما هو الحال في طريقي الحرير الشمالي والجنوبي، وكذلك طريق اللبان الذي كان يربط بين اليمن والشام. وكانت الحضر والبتراء وتدمر والحيرة ومكة ويثرب محطات للتجارة، ومنها تجارة التوابل؛ فالحضر - المدينة التي تقع آثارها في بادية العراق جنوب الموصل - تأسّست على إثر زوال السيطرة الآشورية، وبدء هجرة القبائل العربية من أرجاء الجزيرة العربية، وهي عاصمة لدولة عربية تُسمّى باسم (عربايا)؛ أي: بلاد العرب. وكان أحد أسباب توسّعها أن سكّانها مارسوا التجارة؛ فموقعها جعلها تسيطر على طرق القوافل الآتية من الهند والصين على طريق الحرير التجاري؛ إذ كانت هذه القوافل تحمل التوابل إلى جانب الحرير والأحجار الكريمة. ويعتقد علماء الآثار أن التماثيل التي وُجدت في الحضر مصوّرة الإله أو الحاكم رافعاً يده اليمنى تمثّل قسمه بتعهّده بتأمين سلامة القوافل التجارية التي تمرّ بأراضي مملكته حاملة الحرير والتوابل. أما البتراء، التي ازدهرت في نهاية القرن الرابع قبل الميلاد، وظلّت زهاء أربعمئة سنة تشغل مكاناً مهماً على طريق القوافل، فهي إحدى محطات طريق الحرير العالمي، وتقع في ملتقى الطرق التجارية، من العراق شرقاً، واليمن جنوباً، وسورية وفلسطين شمالاً، ومصر غرباً. وكانت أهم السلع التي تحملها هذه القوافل هي التوابل، إلى جانب العطور والطيوب اليمنية، والمنسوجات الحريرية من دمشق والصين. وكانت مدينة تدمر - الواقعة آثارها حالياً في الشمال الشرقي من دمشق، وتبعد عنها نحو ٢٠٠كم - تشغل مركزاً مهماً للقوافل التجارية؛ فهي تقع على طريق الحرير التجاري. ويرجع بداية ازدهارها وتألّقها، بوصفها دولة تجارية، إلى القرن الأول الميلادي؛ فقد كانت تتحكّم في شبكة الطرق التجارية التي كسبت منها كثيراً؛ بسبب موقعها الجغرافي في مفترق الطرق الصحراوية؛ فهي تصل بين الشام والعراق؛ استمراراً لطريق الحرير الذي يصل إلى الصين والهند، وطريق يربطها بالبتراء، وآخر يربطها بالساحل السوري. والحيرة المدينة القريبة من الفرات أتيح لأهلها الذين كانوا يشتغلون بالتجارة أن يركبوا في الفرات

السومريون.. وتجارة التوابل

كانت للسومريين علاقات تجارية مع الهند منها نستدلّ على أنهم جلبوا التوابل من هناك، وكانت لهم -في الوقت نفسه- علاقات تجارية مع الجزيرة العربية والمدن المطلّة على الخليج العربي؛ فمن هناك -من البحرين خاصةً- جلبوا النخيل، وزرعوه في جنوب العراق. وكان الفينيقيون، من خلال سيطرتهم على الملاحة في البحر الأبيض المتوسط، يتحكمون في التجارة في جميع مناطق دول حوض البحر الأبيض المتوسط، ومنها تجارة التوابل. وفي الوقت نفسه، كانت لهم علاقات تجارية مع شرق إفريقية وجنوب الجزيرة العربية، خصوصاً مع اليمن، وجنوب شرق آسيا أيضاً. من هذه المناطق، أو من طريقها، جلبوا التوابل، وتاجروا فيها؛ فالقرفة مثلاً، وهي أحد أقدم التوابل، استخدمها الفينيقيون، وتاجروا فيها، وأوصلوها إلى أوربا. وبقيت تجارة التوابل في أيدي الفينيقيين إلى أن سيطر الإسكندر المقدوني على مصر، واحتكر تجارة التوابل في منطقة البحر الأبيض المتوسط، وعندما بنى مدينة الإسكندرية عام ٣٣٢ ق. م. أصبحت هذه المدينة مركزاً للتجارة بين الشرق والغرب.

أقدم طرق التجارة العالمية سابقاً هو الطريق الذي يبدأ من الهند ماراً بالخليج العربي، ومنها إلى بلاد ما بين النهرين منتهياً ببابل



سيطر تجار جنوة والبندقية تقريباً على تجارة المنتجات الشرقية داخل القارة الأوربية، خصوصاً

التوابل، وحققوا نتيجة لذلك أرباحاً طائلة

التوابل: هي تلك الأجزاء النباتية التي تُستعمل لإعطاء المأكولات أو المشروبات لوناً مرغوباً،

أو إكسابها رائحة عطرة فوّاحة، أو نعطيها طعماً طيّباً مميّزاً مرغوباً، أو مذاقاً لذيذاً



المراكب المتجهة نحو الخليج العربي. ومن هناك تمخر سفنهم في البحار متّجهةً إلى الهند والصين من جهة الشرق، وإلى البحرين وعدن من جهة الغرب، حاملين معهم التوابل إلى جانب البضائع الأخرى. ومن الحيرة كانت القوافل تحمل البضائع الآتية من الهند والصين وعمان والبحرين متّجهةً إلى تدمر وحوران؛ لذلك تدفقت الثروات على أهل الحيرة.



تطور الملاحة العربية

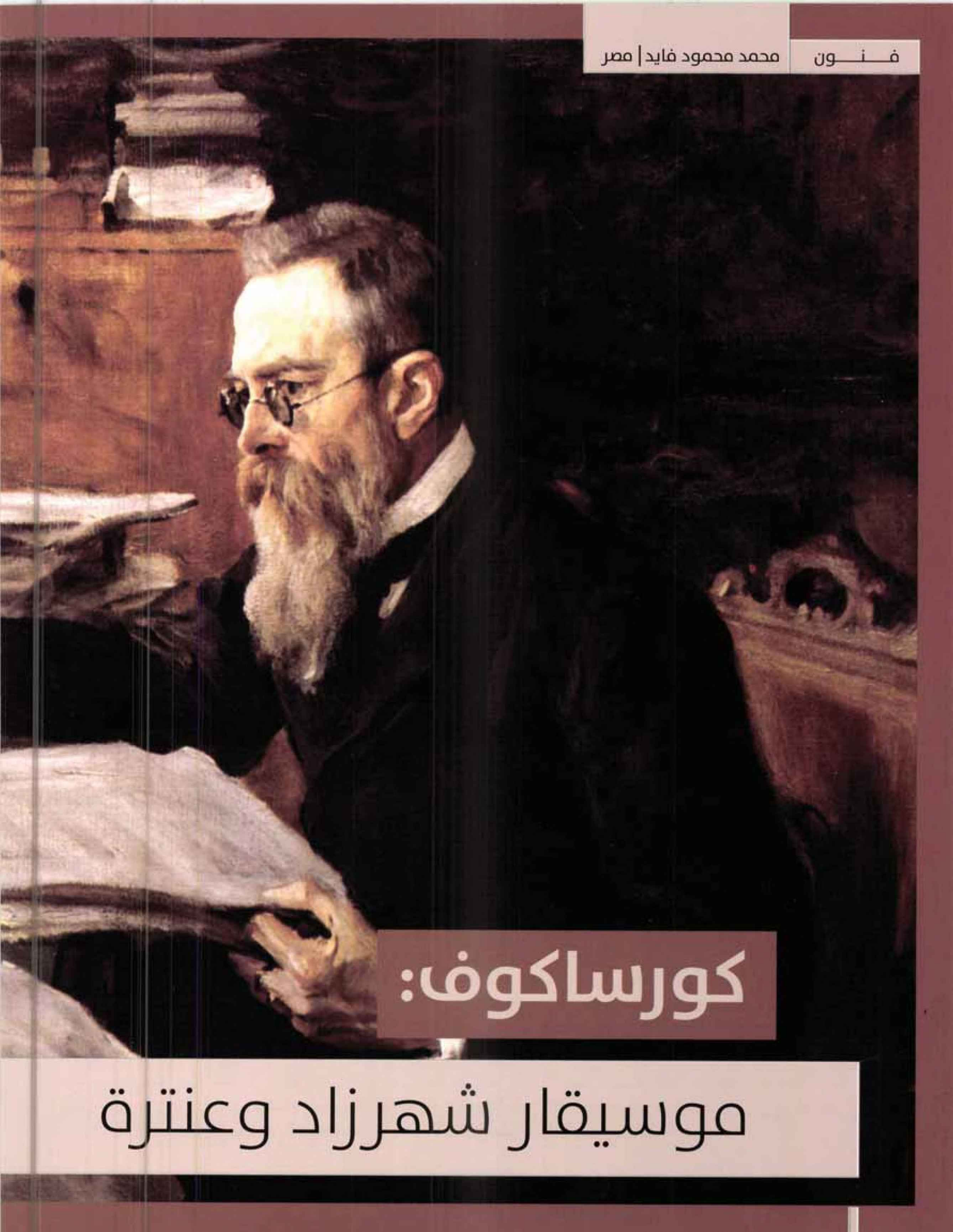
كانت تربط التجار العرب علاقات تجارية مع الدول الإفريقية وبعض مناطق آسيا: كالهند، والصين، وإندونيسيا؛ نتيجة لتطور فنون الملاحة العربية، وسيطرة التجارة العربية على الطرق المائية وأعالي البحار؛ فالتاريخ يشير إلى أن السفن العربية كانت تنطلق من الخليج العربي إلى السواحل الإفريقية ومدغشقر، وكذلك الى الهند والصين وسيلان وإندونيسيا، وتعود محمّلة بالتوابل، والعاج، والعنبر، والكافور، والمسك، والبخور، والمنسوجات الحريرية. وكان جزء من هذه المنتجات الآسيوية والإفريقية التي يجلبها التجار العرب يذهب إلى البلاد الأوربية التي كانت تدفع ذهباً لتمويل مشترياتها هذه. وكانت هناك آنذاك ثلاث طرق تجارية تسير فيها قوافل التجارة إلى أوربا: أولها الطريق الذي ينساب من الأسواق الكبرى في إيران والعراق وإرمينية، ويتّجه إلى بحر قزوين والأنهار الروسية، ثم ينحرف بعد ذلك غرباً عن طريق بولندا وبحر الشمال. والطريق الثاني هو انتقال السلع إلى مصر، وعن طريق ميناء السويس كانت تصل القوافل إلى البحر الأبيض المتوسط، ثم إلى دول أوربا. أما الطريق الثالث فكان يتّجه إلى شمال إفريقية وصقلية والأندلس، ثم إلى شمال إسبانيا وجنوب فرنسا وإيطاليا وضفاف الراين. وقد تمتّعت الإسكندرية وعكا وطرابلس وأنطاكية وكريت وقبرص والبندقية بمكانة مهمة، بوصفها مراكز الاتصال بين الشرق والغرب. وعلى أيّ حال، فقد سيطر تجار جنوة والبندقية تقريباً على تجارة المنتجات الشرقية داخل القارة الأوربية، خصوصاً التوابل، وحققوا نتيجةً لذلك أرباحاً طائلة. وهذا الأمر كان مزعجاً لتجار المدن الأخرى في البرتغال وإسبانيا وهولندا وإنجلترا وفرنسا.

صعود البرتغال

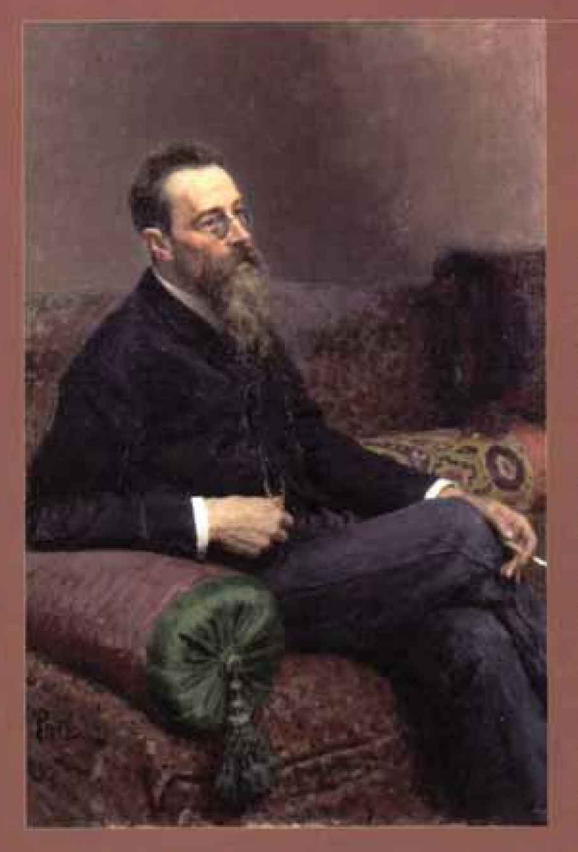
دفعت تجارة التوابل؛ بسبب أهميتها في الاقتصاد العالمي آنذاك، كثيراً من التجار إلى محاولة الوصول إلى مراكز إنتاجها مباشرةً، مجتازين الطرق الواصلة بين الشرق والغرب، ومتلافين الوسطاء التجاريين؛ فعندما انطلق فاسكو دي جاما البرتغالي باحثاً عن طريق بحري يصل إلى الشرق كان هدفه البحث عن الفلفل الأسود؛ ففي عام ١٤٩٧م دار حول إفريقية عن طريق رأس الرجاء الصالح، فاكتشف طريقاً مباشراً يصل إلى كلكتا مركز تجارة كثير من التوابل الهندية؛ مثل: القرفة، والزنجبيل، والفلفل الأسود. ومنذ ذلك الحين احتلّت البرتغال مكان الصدارة في هذا المجال، بدلا من التجار العرب. احتكر التجار البرتغاليون تجارة التوابل الآتية من شرق الهند؛ نتيجةً لمهارتهم البحرية الفائقة في ذلك الوقت، إضافةً إلى جُرأتهم وقسوتهم. واستمرت هذه التجارة في أيديهم إلى أن قهرهم الألمان في القرن السابع عشر الميلادي. وحين ضعفت قوة المناطق الشرقية في الهند احتلها الفرنسيون، وسيطروا على تجارة التوابل، ومن بعدهم جاء الإنجليز ليؤدوا هذا الدور.

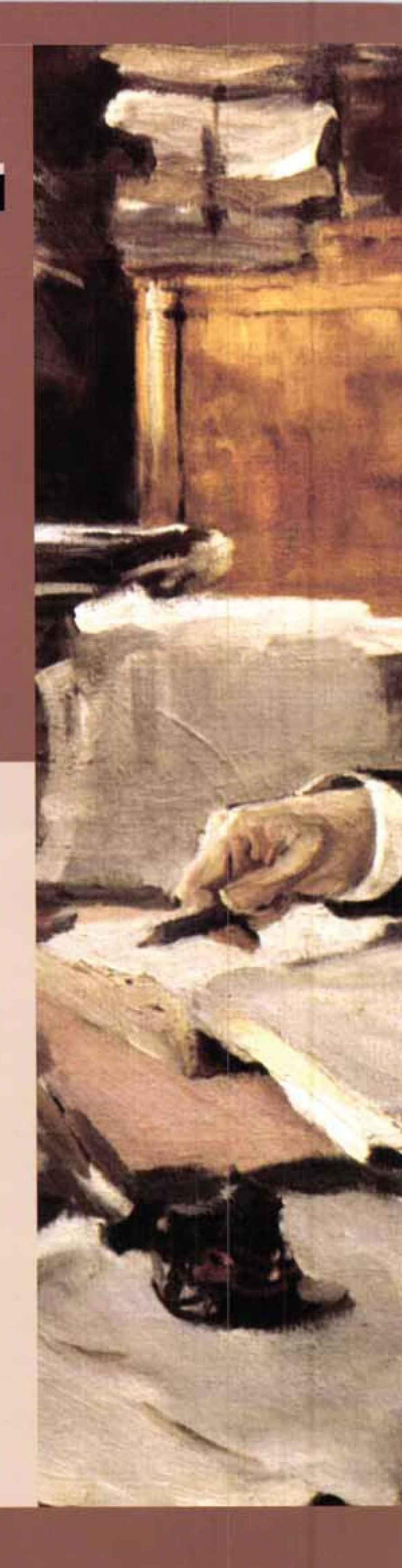
ومنذ زمن كُسر هذا الاحتكار، ولم تعُدْ تجارة التوابل اليوم في أيدي تلك الشركات التجارية القديمة، لكن مازال لاستيراد التوابل وتوزيعها شأن عظيم في التجارة الدولية؛ إذ أصبحت في أيدي الشركات التجارية المتعددة الجنسيات، التي تزوّد العالم وأسواقه التجارية الكبيرة بكلّ أنواع التوابل.

محمد محمود فايد | مصر



كورساكوف:
موسيقار شهرزاد وعنترة





المولد والنشأة

وُلد المؤلف الموسيقي الروسي وقائد الأوركسترا نيكولاي ريمسكي كورساكوف Nicolay Rimsky Korsakov (١٨٤٤- ١٩٠٨م) في تيكفين لعائلة أرستقراطية عريقة عُرفت بثقافتها وعشقها الموسيقا. تلقى فيها تعليماً موسيقياً تقليدياً، وبدأ دراسة الموسيقا بإشراف أساتذة محليين عندما كان في السادسة من عمره، واستجابةً لرغبة العائلة التحق بمدرسة المرشّحين لدخول الكلية البحرية، وواظب على حضور الحفلات الموسيقية وعروض الأوبرا، وتابع دراسة الموسيقا بأسلوب يفتقر إلى المنهجية على يد كاني Canille، وتعرّف مؤلفات باخ، وبيتهوفن، وشومان، ومندلسون، وشوبان، وقدّمه أساتذته إلى المؤلف الموسيقي ميلي بالاكيريف، الذي صار بدوره أستاذه فيما بعد، وشجّعه على تأليف سيمفونية تحت إشرافه. والتقى كورساكوف بمنزل بالاكيريف رفاق المستقبل، مثل: موسورسكي، وكوي.

اكتشاف التراث الشعبي

أبحر كورساكوف عام ١٨٦٢م في رحلة بحرية دامت ثلاث سنوات، تعرّف فيها ثقافات الشعوب وموسيقاها، وتأثر، على نحو خاصّ وعميق، بإبداعات ميخائيل جلينكا مؤسّس المدرسة الروسية القومية في الموسيقا، ثم قابل بالاكيريف وتأثّر بتوجّهه القومي في التأليف الموسيقي، وانضم إلى التجمّع الذي رأسه الكبار، وهم: س. كوي، وأ. بورودين (١٨٣٣- ١٨٨٧م)، وم. موروسكي (١٨٣٩- ١٨٨١م)، وميلي بالاكيريف (١٨٣٧- ١٩١٠م)، وكورساكوف، واستطاعت موسيقا جلينكا والخمسة الكبار أن تكشف للعالم مدى ثراء الطاقات الفنية الكامنة في التراث الموسيقي الشعبي، وأخذت أصداء موسيقاهم وإبداعاتهم تتردّد في أنحاء روسيا، ولم تلبث أن اقتحمت معاقل الموسيقا الأوربية التي استمع عباقرتها إلى نبرات جديدة في الموسيقا الروسية القومية أدهشتهم بطرافة مقاماتها، وتكويناتها الإيقاعية الأحادية (العرجاء)، ولغتها الهارمونية الخشنة، ونسيجها البوليفوني غير المألوف، وصيغها الموسيقية المتحررة، وكان كورساكوف قد تولّى تخفيف أسلوب موسورسكي، خصوصاً في أوبراه (بوريس جودونوف)؛ ليقرّبها إلى اللغة الأوربية الرومانسية، ثم قامت في فرنسا، وفي بعض دوائر روسيا المستنيرة، حملة تطالب بعودة موسيقا موسورسكي إلى أصالتها الخشنة التي كتبها بها مؤلّفها، وفعلاً أصبحت متداولةً في نسخها الأصلية[1].

وكان هدف جماعة الخمسة الكبار خلق موسيقا أكثر التصاقاً بأمتهم، تعكس همومها ومطامحها وأحلامها؛ لذا ركّزوا في العناصر القومية في الموسيقا؛ مثل: الأغاني، والرقصات الشعبية، والإيقاعات النابعة من الكلام الروسي، كما ركزوا في الموضوعات (موضوعات الأوبرات والقصائد السيمفونية) التي تعكس الحياة القومية، أو التاريخ القومي لأمتهم. وكان كورساكوف أصغر مؤلف موسيقي في الجماعة، لكنه استطاع أن يجني

شار تجاربهم عندما عيّنوه أستاذاً للتأليف في كونسيرفاتوار سانت بطرسبرج، وكان حينها لا يعرف شيئاً، فتعلّم كل شيء. ولما كان ضابطاً بحرياً ومفتّشاً لموسيقات الأسطول فقد قام بعدة أبحاث توّجها بكتابه الشهير (أصول دراسة الآلات الموسيقية)، الذي أصبح من الكتب المدرسية الكبيرة، كما استطاع أن يكتب للأوركسترا إبداعات جذابة غير مسبوقة منذ عصر كبار الرومانتيك بأسلوب ولغة وروح روسية صميمة، تشتمل على عطور من الشرق[٢].

ألّف كورساكوف قسماً من سيمفونيته على الرغم من جهله بأسماء الأكوردات، وفنّ تعاقبها، وارتباطاتها، كما أكمل هذه السيمفونية وهو بعيد في البحر. ومن ناحية أخرى، تمتّع في أثناء وظيفته ورحلاتها بمذاق الشرق وسحره، وطالع أيضاً كتاب (ألف ليلة وليلة) في ترجمة



طالع كورساكوف كتاب (ألف ليلة وليلة) في ترجمة أوربية، واستحوذت عليه الأعاجيب فيها والغرائب، حتى قرّر تصوير الموضوع سيمفونياً

أوربية، واستحوذت عليه الأعاجيب فيها والغرائب، حتى قرّر تصوير الموضوع سيمفونياً. وبعد أن عاد كورساكوف إلى سانت بطرسبرج أنهى تأليف سيمفونيته الأولى في مي بيمول ماجير عام ١٨٦١م، التي قُدّمت بنجاح كبير، واستقبلت استقبالاً حافلاً أدّى إلى تعيينه أستاذاً للتأليف الموسيقي في كونسيرفاتوار سانت بطرسبرج عام ١٨٧١م، وبعد عامين اعتزل العمل في البحرية، وتفرّغ تماماً للتأليف الموسيقي وقيادة الأوركسترا، وبدأ يكوّن لنفسه بالجهد الذاتي خبرات موسيقية جادة، وامتلك ناصية الهارمونية والكنترابنط، وهما من أركان لغة التأليف الموسيقي. أما التلوين الأوركسترالي، فقد تفوّق فيه إلى حدٍّ جعل كتابه فيه مرجعاً مهماً مازال يُدرّس حتى الآن في كلّ معاهد الموسيقا[٣].

وبين عامي ١٨٦٥ و١٨٦٨م، ألّف كورساكوف أوبرا (سادكو)؛ نسبةً إلى أحد أبطال الأساطير الروسية القديمة، ومقطوعة (عنترة)، وعدّلهما



فيما بعد، واستطاع بهما -ومعهما فيما بعد متتالية (شهرزاد)- أن يُبدع عالماً شاعراً وخرافياً جميلاً، واصطبغت موسيقاه بالصبغة الشرقية، فظلّت هذه النماذج من أكبر الإبداعات الدقيقة التي احتذاها أنصاره وتلاميذه، مثل جلازونوف في قصيدة السيمفوني (ستينكا رازين[4]).

في عام ١٨٦٩م، أكمل كورساكوف أوبرا (الضيف الحجري) للمؤلف أ. دارجومسكي، وفي عام ١٨٧٢م أنهى أوبراه (عذراء بسكوف). وليقينه التامّ بنواقص علمه الموسيقي علّم كورساكوف نفسه بسرية تامة، وشرع في إعادة النظر في دراسته الموسيقية، وتعمّق في أبحاث الفوجة Fugue، والكونتربوينت Counterpoint، بسلسلة مهمة من المراسلات الدراسية مع تشايكوفسكي. وفي أعوام (١٨٧٦- ١٨٧٨م) جمع عدداً كبيراً من الأغاني والألحان الشعبية الروسية، مكتشفاً الطقوس الوثنية المتأصلة في أعماق الموسيقا الروسية، كما انكبّ على مراجعة مخطوطات أوبرات ميخائيل جلينكا، وهذا الأمر عمّق معارفه في فنّ تأليف الأوبرا،

عودة أخرى

في القرن العشـرين، أُعيد اكتشـاف أوبرات كورسـاكوف المتألقـة والرائعة، ويجري باستمرار تقديم كثير منها، وأخيراً لابد من الإشارة إلى علوّ مكانته في مجال التعليم، والشـاهد على ذلك كثير من المبدعين الذين درسـوا على يديه، على رأسـهم إيجور سترافينسـكي؛ تلميـذه النجيـب والأكثر تميـزاً. كما وضع كورسـاكوف إلى جانـب إبداعاته الموسـيقية الكثيرة كتابين مدرسيين مهمين في الهارموني والتوزيع الأوركسترالي، إلى جانب كتابته سيرته الذاتية.

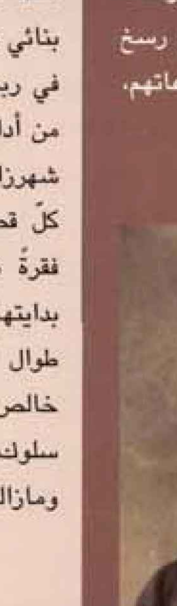
فألّف منها (ليلة مايو May Night) عام ١٨٧٨م، و(عذراء الثلوج) عام ١٨٨١م، وخلال بضع سنوات ألّف أعمالاً موسيقية أكاديمية تضمّنت رباعيةً وترية وخماسيةً للبيانو، وفوجات لآلة البيانو، وغيرها، وقاده إعداده مئة أغنية شعبية روسية إلى مرحلة جديدة وفاتنة. وبدءاً من عام ١٨٧٤م، إلى عام ١٨٨١م، ترأس المدرسة الموسيقية الحرة التي أسّسها بالاكيريف، وبعد عام ١٨٨١م انهمك في الأعمال الإدارية، وقيادة الأوركسترا، وتعديل أوبرا (خوفا نشينا) لموسورسكي وتوزيعها، وكذلك أعمال أخرى للمؤلف نفسه، وعندما توفّي بورودوين عام ١٨٨٧م أخذ كورساكوف على عاتقه إكمال أوبرا بورودوين (الأمير إيجور)، وساعده على إكمالها تلميذه آنذاك جلازونوف.

مُلهم المبدعين

في عامي ١٨٨٧ و١٨٨٨م ألّف كورساكوف ثلاثةً من أشهر مؤلّفاته الأوركسترالية: نزوة إسبانية Spanish Caprice، وافتتاحية (عيد الفصح في روسيا)، ومتتالية (شهرزاد)، التي طارت شهرتها في الآفاق بعد أن فُتن بها، وقد جاءت المتتالية آيةً في الجمال والإتقان تعكس بمهارة كبيرة شيئاً من عالم (ألف ليلة ولية) الساحر[5]، وهي أوسع إبداعاته انتشاراً وجماهيريةً، وأكثرها وفاءً للوصف الموسيقي، وهي تتألّق بأضواء وألوان شرقية عرف كيف يصوغها في إطار سيمفوني فريد في ابتكاره وتعبيره. ولم يكن هدف كورساكوف -على الرغم مما في هذه المتتالية السيمفونية من وصف إيحائي- أن يكتب عملاً بروجرامياً (ملتزماً وصف قصة محدّدة بالموسيقا)؛ فهو قد أوضح لنا منطلقه في هذا العمل الفائق؛ إذ كتب يقول: «لقد اتّبعتُ في كتابة (شهرزاد) برنامجاً يقوم على تقديم صور منفصلة من (ألف ليلة وليلة) لا تربط بينها صلة خاصة، بل هي صور أربع اخترت لها موضوعات استهوتني على

قمة العذوبة والوداعة

تفوّق كورساكوف على زملائه أتباع المدرسة القومية في فنّ التلوين الأوركسترالي، ونجح في كتابة غناء ينبثق بعفوية من الكلام، ويلتحم فيه اللحن مع الكلمة. وكان كورساكوف في موسيقاه متحمساً، رسّخ كثيراً من وقته وطاقاته الإبداعية لجمع الألحان الشعبية الروسية، ومعالجتها على الصعيد الهارموني والأوركسترالي، مدفوعاً في ذلك بالنبض الحيوي لموسيقا أمته. ولم يجد كورساكوف قصص أوبراته في الرواية الرومانسية، بل في الحكاية الشعبية؛ إذ المشاعر تنبعث في غاية الصفاء والبراءة، ولم يسعَ إلى إقامة المواقف الدرامية الجبارة، بل خلق مشاهد موسيقية لحكايات شعبية خرافية، حرّك فيها دمًى بشريةً في غاية العذوبة والوداعة. وأتقن كورساكوف الكتابة والتوزيع الأوركستراليين حتى برع فيهما، وتمكّن من توظيف قدراته في التلوين الأوركسترالي الخلاب لتصوير القصص والأساطير الروسية، ووسم بطابعه جيلاً كاملاً من موسيقيي نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، وعدّ الأب الروحي لمدرسة موسيقية ضمّت شخصيات متعددة الاتجاهات، مثل: جلازونوف Glazunov، وسترافينسكي Stravinsky، وليادوف Liadov. وظلّ كورساكوف طوال حياته مؤمناً برسالة الفنّ، ومخلصاً لزملائه الفنانين الذين رسخ كثيراً من جهوده لإكمال بعض إبداعاتهم، وتوزيعها أوركسترالياً.



التوالي: البحر وسفينة السندباد، وحكاية أمير كاليندار، والأمير الصغير والأميرة الصغيرة، ومهرجان بغداد: البحر، والسفينة تتحطم على الصخور، والختام»[6].

كان هدف كورساكوف رسم لوحة شرقية الظلال والأضواء، تفوح بعطر الشرق الساحر ومغامرات مثيرة، فأبدع مستويين متداخلين: أحدهما إيحائي تعبيري وتلويني، والآخر بنائي يشهد بتصميم مُحكم لكلّ حركة، وعمد في ربط الحركات الأربع إلى تخصيص فقرة من أداء الكمان المنفرد (سولو) نظيراً لعبارة شهرزاد التقليدية «كان ياما كان» في بداية كلّ قصة، واتّخذ لتشخيص دموية شهريار فقرةً نحاسيةً مفتولة العضلات، راعى في بدايتها الغلظة والتبجّح، ثم خفّفها تدريجياً طوال المتتالية، إضافةً إلى تهذيب نغمي خالص، وتأدّب كامل، يعبّران عن تطويع سلوك السلطان، وصرفه عن شهوة الدم[7]. ومازالت هذه المقطوعة إلى اليوم تدخل



برامج الأوركسترات السيمفونية في العالم بعد أن خلّد كورساكوف بالموسيقا شخصية شهرزاد الزاوية حين أبدع اللايت موتيف الشهير لآلة الكمان، الذي يرمز إليها. وامتد تأثير (شهرزاد) كورساكوف إلى مسارح الباليه، فأخرجت عدة عروض وتصميمات راقصة للموسيقا نفسها، وكان أول عرض لباليه شهرزاد عام ١٩١٠م في روسيا، وضعه فوكين، ثم أعيد على موسيقا كورساكوف عام ١٩٥٠م بكوريو جرافيا جديدة صمّمتها آنيسيموفا. أما الباليه الذي قدّمه كا خيدزا في تبليسي عام ١٩٩٤م، فاعتمد على أفكار أخذت عن رافيل وكورساكوف[٨].

بعد ذلك، وتأثراً بأوبرات (خاتم النيبيلونج) لفاجنر، رسّخ كورساكوف نفسه للأوبرا، وبدأ عام ١٨٩٠م بتأليف أوبرات مرحلته الأخيرة التي جاوزت عشر أوبرات، نذكر منها: ملادا (١٨٩٢م)، وعشية عيد الميلاد (١٨٩٥م)، وموتسارت وساليري (١٨٩٨م)، وعروس القيصر (١٨٩٩م)، وأسطورة القيصر سلطان (١٩٠٠م)، وكاشي الخالد (١٩٠٢م)، ومدينة كيتيج الخفية (١٩٠٥م)، والديك الذهبي (١٩٠٧م)، إلى جانب بعض الأعمال الأخرى المتنوعة[٩].

أصيب كورساكوف بعض الوقت بمرض النهك العصبي، فتوقف عن التأليف، لكنه عاد فاستأنف العمل الإبداعي، فأعدّ نسخةً خاصةً به من أوبرا (بوريس جودونوف) لموسورسكي، وقد انتقد بعض الموسيقيين هذه النسخة، وأعادوا الحياة إلى نسخة موسورسكي الأصلية.

في عام ١٩٠٥م، أبدى كورساكوف تعاطفاً مع حركة الطلاب الثوريين، وأدّى هذا الأمر إلى إيقافه مؤقتاً عن التدريس في كونسيرفا، وحُظرت إبداعاته مدة شهرين، وانعكست هذه المواجهة مع السلطة في أوبراه الأخيرة (الديك الذهبي) عام ١٩٠٧م، التي منعت الحكومة عرضها، ولم تُقدَّم إلا بعد وفاته عام ١٩٠٨م، كما ألّف كتاباً في (الانسجام الهارموني Traite de Harmonie).

سيمفونية عنترة

انضم بورودين عام ١٨٦٨م إلى حلقة بالاكيريف؛ لتكتمل جماعة الخمسة التي ضمّت مؤلفين فاقت حماستهم للموسيقا القومية والتجديد خبراتهم ومعارفهم النظرية في أصول الفن الموسيقي، وفي العام ذاته قدّم كورساكوف سيمفونيته الثانية، التي وطّدت شهرته في عالم الموسيقا، وقد بنى عليها في الأصل المتتالية السيمفونية (عنترة **Antar**)، متأثراً بملحمة عنترة بن شداد العبسي بعد أن طلبت زوجته ناديجدا أن يستمد الإيحاء التعبيري من بطولات عنترة؛ لكونه عبداً نشد الحرية بقوة ساعده:

ولو أرسلتُ رمحي معْ جبان
لكان بهيبتي يلقى السباعا
إذا الأبطال فرّت خوف بأسي
ترى الأقطار باعاً أو ذراعا

فاستعان بحكاية شرقية كتبها الأديب الروسي الشهير سنكوفيسكي[١]، وعاد إلى هذا الموضوع مرّتين (عامي ١٨٧٥ و١٨٩٧م)؛ ليبدع النسختين الثانية والثالثة لهذه السيمفونية[٢]. وتحكي القصة عن مغامرات عنترة في مدينة تدمر القديمة، وهي من أربع حركات:

- عنترة يفيق من حلمه: وتصوّر هدوء الصحراء، ورشاقة الملكة جلنار، والحبّ المتبادل، وحلم عنترة.
- الانتقام Largo: وتبدأ عنيفةً تمتزج بنغمات ترمز إلى الانتقام.
- القوة: وتصوّر موكب البطل بموسيقاها الحماسية بالوتريات وبطبقات مختلفة.
- نشوة الحب ونهاية عنترة: لحن الحبّ تعزفه موسيقا جميلة حتى يظهر لحن عنترة معزوفاً بآلات النفخ الخشبية؛ لترمز الموسيقا إلى الحب العنيف والدرامي[٣].

وهي العمل الموسيقي الروسي الشرقي الأول لكورساكوف، وفيه كثير من التشابه مع متتالية (شهرزاد)، التي سترى النور بعد سنوات[٤].

(١) طارق رفاعي، على المنتدى الإلكتروني: Nagam.org.
(٢) يفجيني دياكونوف، رحلة كورساكوف مع أساطير الشرق، على موقع قناة روسيا اليوم: Arabic.rt.com.
(٣) السيمفونية الثانية Antar، مصنّف رقم ٩ لكورساكوف، على المنتدى: Classiccompsers.Forumegypt.net.
(٤) موسيقا خالدة، على موقع قناة فرنسا ٢٤: Fance24.com.

المراجع

(١) سمحة الخولي، القومية في موسيقا القرن العشرين، عالم المعرفة، العدد ١٦٢، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٢م، ص١٢٨.
(٢) برنارد شامبينيول، تاريخ الموسيقا، ترجمة: ثروت كجوك، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩م، ص١٨٦.
(٣) سمحة الخولي، من حياتي مع الموسيقا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٧م، ص٢٢٥.
(٤) ماكس بنشار، تمهيد للفنّ الموسيقي، ترجمة: محمد رشاد بدران، دار نهضة مصر، ١٩٧٣م، ص٢٤١.
(٥) ديالي حنانا، كورساكوف: مئة عام على وفاته، مجلة الحياة الموسيقية، العدد ٤٧، ٢٠٠٨م، الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، على الموقع: www.syrbook.gov.sy.
(٦) سمحة الخولي، من حياتي مع الموسيقا، مرجع سابق، ص٢٣٦.
(٧) فرج العنتري، في التذوّق الموسيقي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، مكتبة الشباب، العدد ٦١، ١٩٩٧م، القاهرة، ص٩٩.
(٨) محمد محمود فايد، ألف ليلة وليلة في الموسيقا العالمية، المجلة العربية، العدد ٣٩٠، ص٨٧.
(٩) واهي سفريان، الموسوعة العربية السورية، المجلد العاشر، على الموقع: www.arab-ency.com.

حسين حسن حسين | هيئة التحرير

لم يمنع كيماني ثقل السنين من أن يكافح من أجل أن يتعلم القراءة والكتابة، معطياً المثل الحي على أهمية مجانية التعليم التي تتيح للفقراء أن يغيروا حياتهم بالعلم

كيماني.. أكبر تلميذ في العالم:

الحريـة الحقيقية مفتاحهـا التعليم



جوزيف ستيفن كيماني نجانجا ماروجي كيني بسيط، مات في سن التاسعة والثمانين بعد أن ترك درساً بليغاً يستحق التداول والانتشار؛ ففي صباه عزّ عليه التعليم؛ إذ كان عليه أن يذهب مع والده إلى المزرعة لمساعدته على كسب العيش، وفي شبابه كان من ثوار الماو ماو الذين انتفضوا ضد الاستعمار البريطاني في الخمسينيات حتى استقلت بلاده، وقد فقد أحد أصابع قدمه اليسرى في زمن النضال، فكان يتوكأ على عصا نتيجة لذلك، ثم صار يستخدم كرسياً متحركاً عندما كبر في السن.

أكبر تلميذ

استحق كيماني احتفاء كتاب جينيس للأرقام القياسية به بوصفه أكبر تلميذ في العالم بعد أن التحق بالمدرسة الابتدائية في يناير عام ٢٠٠٤م، وهو يحمل على كاهله مشوار ٨٤ عاماً في الحياة؛ إذ كان يظن أنه ولد في عام ١٩٢٠م، ولم يكن يملك شهادة رسمية تجعل هذا الظن يقيناً.

لقد كان إقرار الحكومة الكينية مجانية التعليم مشجعاً له أن يقدم على هذه الخطوة، التي وجدت الرفض مراراً من المدرسة. حتى قبله مديرها جين أوبينشو بعد بأن أقنعه بأنه يريد معرفة القراءة حتى يتسنى له قراءة الكتاب المقدس، كما أنه أراد أن يتعلم الحساب؛ لأنه يشك في أنه يحصل على معاشه كاملاً، كما كان يأمل الحصول على تعويض عما أصابه خلال مرحلة الكفاح ضد المستعمر البريطاني.

تلميذ مثالي

وضع كيماني في فصل للتعليم الخاص في المدرسة التي كان يدرس بها اثنان من أحفاده الذين يبلغ عددهم الثلاثين حفيداً، وكان الاثنان في صفين أعلى من صفه.

وكان التلميذ الثمانيني ملتزماً الزي المدرسي، وحريصاً على أن يكون مهندماً، ومنفذاً كل تعليمات المدرسة، ومتتبعاً قواعدها، مقدماً نموذجاً للتلميذ المثالي في سلوكه.

كما كان واحداً من أفضل خمسة تلاميذ في فصله، وكانت درجاته ممتازة. وكان يجتهد ليعرف أكثر، فهو لم يكن تلميذاً عادياً؛ لأنه كان

يرى في نفسه قدوة لأحفاده وغيرهم من زملائهم التلاميذ، وكان طموحه أن يكمل تعليمه ويحصل على دبلوم الطب البيطري.

ظل مدير المدرسة ممنوناً للطالب المجتهد كيماني للنصائح الغالية التي كان يسديها إليه، وإلى زملائه في المدرسة، من واقع خبرته الحياتية الثرة، ولهذا جعله رئيساً لطلاب المدرسة جميعهم.

وقال رئيس مجلس الآباء والمعلمين ألبرت كيبيني: إن كيماني كان ملهماً لكثير من الأسر، التي أقبلت على إلحاق أبنائهم بالتعليم متأثرين بتجربته.

كيماني في نيويورك

كانت تجربة كيماني كافية ليكون متحدثاً في مؤتمر قمة الأمم المتحدة الإنسانية للألفية عام ٢٠٠٥م؛ ليحثّ على ضرورة مجانية التعليم وأهميتها، حتى يتاح للفقراء أن يلحقوا أولادهم بقطار التعليم من أجل أن تتحسن حياتهم، وتتبدل أحوالهم.

وصف سفره على متن الطائرة إلى نيويورك في هذه المهمة بأنه كالذهاب إلى السماء، وكان مما طلبه من قادة العالم بما فيهم الرئيس الأمريكي الأسبق بيل كلينتون أن يساعدوا كينيا على القضاء على مرض نقص المناعة الطبيعية (إيدز)، الذي يقضي على الملايين في إفريقية، كما طلب من الرئيس كلينتون أن يبني مستشفى خاصاً بمرضى الإيدز في كينيا، يقوم بإعطاء الدواء مجاناً.

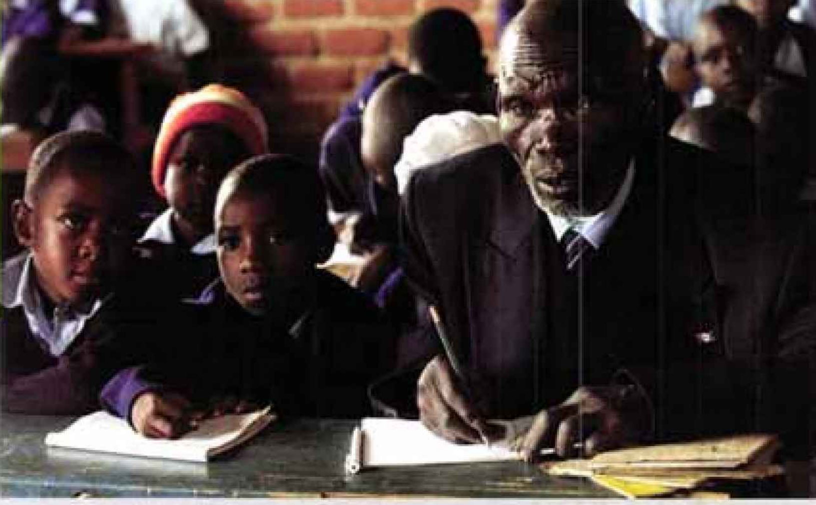
وبأسلوب ساخر ينم على روح الفكاهة التي يتميز بها كيماني، قال في تلك الرحلة: إنه يتمنى أن يجد امرأة أمريكية ثرية ترضى أن تكون زوجة له، حتى يترك لأبنائه مالاً يورثونه؛ لأنه لا فائدة من أن يتزوج امرأة فقيرة، وهو يعاني الفقر مثلها.

انتهز كيماني فرصة وجوده وسط صناع القرار في العالم، فظل يتنقل بينهم بحيوية، وهو يدعو في كل لقاء إلى مجانية التعليم، متناسياً السنوات التي ينوء بحملها، وكان بالغ التأثير وهو يردد على مسامعهم دائماً: أمنيتي أن أرى كل الأطفال في العالم يتمتعون بمجانية التعليم، هذا كل ما أتشوق إليه. وكادت زوجة كوفي أنان - الأمين العام السابق للأمم المتحدة - تغرق في دموعها متأثرة بما تسمعه منه، وبالحيوية التي يتحدث بها.

وعندما رأى تمثال الحرية الشهير، علق قائلاً: الحرية الحقيقية مفتاحها التعليم.

المعاناة تلاحقه

لم يمنع كيماني إحراق منزله خلال العنف الذي اندلع في أعقاب الانتخابات التي جرت في بلاده من إكمال تعليمه؛ فقد كان واحداً من الآلاف الذين شردتهم هذه الأزمة، واضطر إلى أن يلجأ إلى معسكر للنازحين فيه أكثر من ١٤ ألف لاجئ، ثم إلى دار للمسنين في نيروبي، ومع ذلك واصل كفاحه من أجل أن يتعلم.



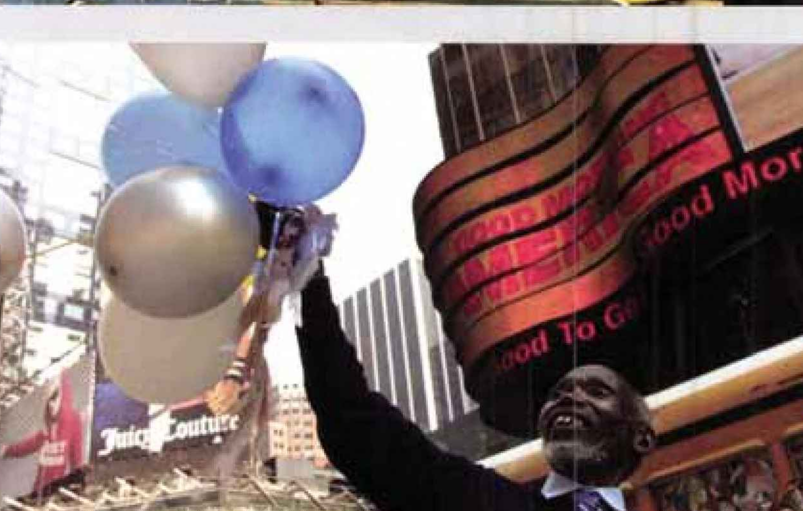
كان كيماني واحداً من أفضل خمسة تلاميذ في فصله، وكانت درجاته ممتازة، وكان يجتهد ليعرف أكثر، فهو لم يكن تلميذاً عادياً

إنها تجربة إنسانية ستظل ملهمة للأجيال، لا في كينيا فحسب حيث مسقط رأس كيماني، وإنما في كل ركن في المعمورة؛ لأنها تؤكد أنه لا مستحيل في الحياة

أنهك مرض سرطان المعدة كيماني، فتوقف عن الذهاب إلى المدرسة، وكان قد تبقى له عامان ليكمل مرحلة تعليمه الأساسية، وهي ثماني سنوات دراسية، وكان -حسب إفادة أحد أبنائه الاثني عشر- يبكي لعدم ذهابه إلى المدرسة.

توفي الرجل المثابر تحت وطأة المرض اللعين في ١٤ أغسطس عام ٢٠٠٩م، وشيع جثمانه في موكب مهيب ضم الآلاف، في تعبير تلقائي عن تقدير عميق لإنسان استثنائي أعطى المثل الحي على أن الجد في طلب العلم لا علاقة له بالسن، وإنما يرتبط بمدى قوة الإيمان بأهميته، وبقدرته على جعل الحياة أفضل.

حقاً، إنها تجربة إنسانية ستظل ملهمة للأجيال، لا في كينيا فحسب حيث مسقط رأس كيماني، وإنما في كل ركن في المعمورة؛ لأنها تؤكد أنه لا مستحيل في الحياة، وأن طلب العلم من المهد إلى اللحد يرفع الإنسان قدراً ورفعة، كما أنها تثبت أن الفقراء ملهمون أيضاً، حتى لو ظلوا بسطاء.

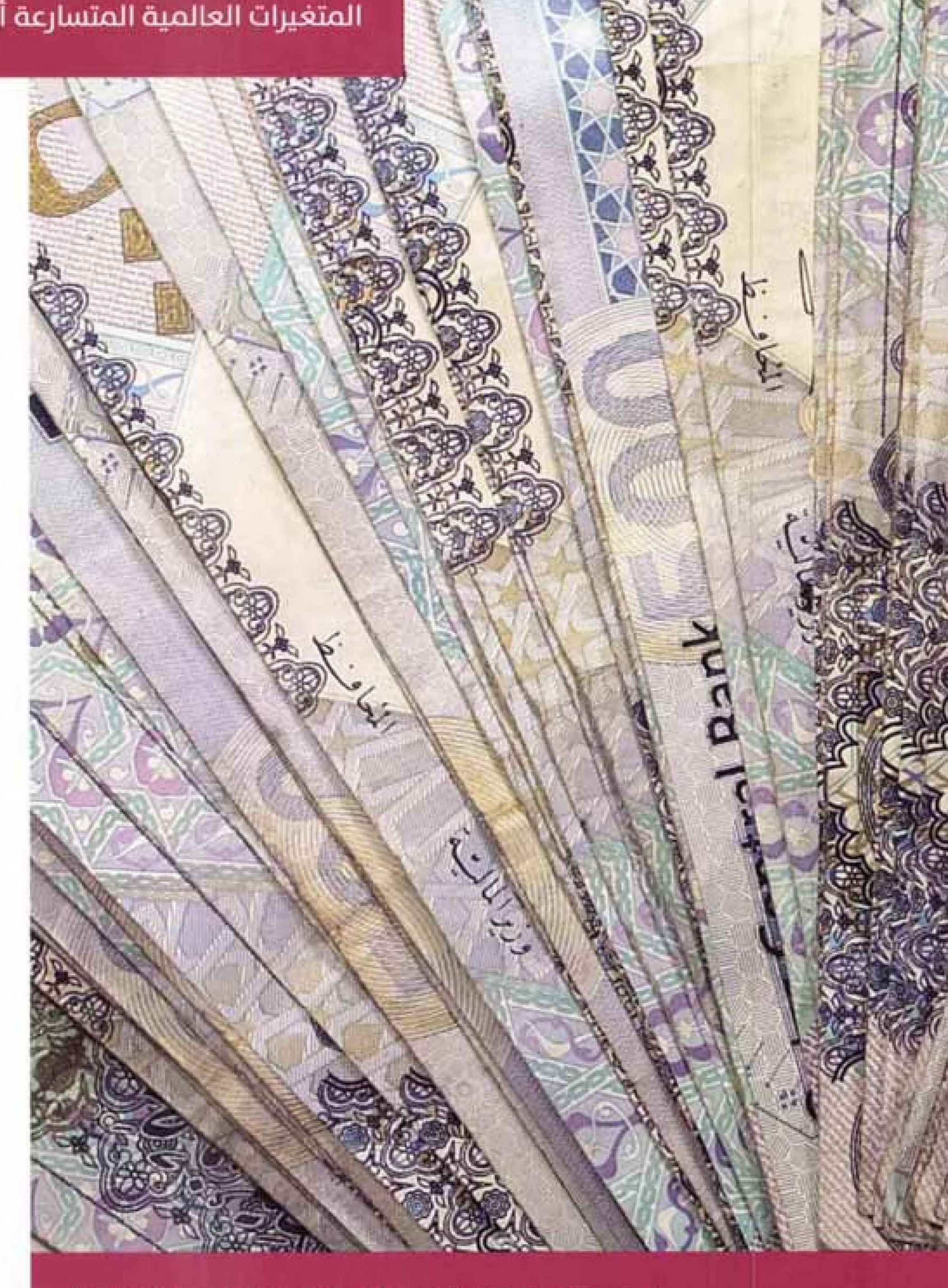


علي عفيفي علي غازي | العراق



أهمية العملة الخليجية الموحّدة

مع تزاحم أحداث العولمة الاجتياحية وتياراتها، وصراع الحضارات، وتطاحن الكتل الاقتصادية والنقدية في الألفية الثالثة، برز نوع جديد من الفكر النقدي قائم على الوعي والإدراك الشامل لقيمة التحوّل من رصد الاتجاه ومتابعته إلى المشاركة في صنع الأحداث، وإلى التحوّل إلى صناعة الأحداث بذاتها؛ لتكون أساس البناء، وقاعدة الانطلاق إلى قوة الوصول إلى الحلم والأمل. وتتّصف الأنظمة النقدية المالية بأنها أنظمة عالية الحساسية، ليس فقط لتأثيرها العام والشامل في حركة التوازنات الاقتصادية، لكن لقدرتها على طبع قوى الدفع، وعلى مواكبة حركة المتغيرات العالمية المتسارعة أيضاً.



وفي عصر ما بعد العدمية المملوء بالمتغيرات والتقلّبات السياسية والاقتصادية، عصر العولمة المذيبة للحدود والقوميات والأيديولوجيات، برزت أهمية إطلاق عملات موحّدة؛ لتفرض خيارات المستقبل واختياراته على الأمم أن تتّحد، وأن تندمج لتكون قاعدةً تؤدي دورها في السياسات العالمية. ومفهوم العولمة تاريخياً لا يتجزّأ عن التطور العام للنظام الرأسمالي؛ إذ تعدّ العولمة حلقةً من حلقات تطوّره التي بدأت مع ظهور الدولة القومية في القرن الثامن عشر الميلادي، وهيمنة القوى الأوربية على أنحاء كثيرة من العالم مع المدّ الاستعماري، بين رأس المال والتكنولوجيا والثقافة. ومؤخراً ظهر الاهتمام بمفهوم العولمة في الفكر والنظرية، وفي الخطاب السياسي الدولي.

وعلى الرغم من عولمة رأس المال إلا أن الهوية تتّجه نحو المحلية، وظهور كيانات موحّدة؛ فاختفاء الحدود بين شطري ألمانيا، والسير نحو الوحدة الأوربية، واكبه تفتّت يوغوسلافيا، وإحياء الروح الانفصالية في إفريقية وآسيا. وعلى صعيد عمليات الاتصال بين أرجاء المعمورة، فإن تكنولوجيا الاتصال قلّلت -إلى حدٍّ كبير- من تأثير المسافات بين الدول، وزادت من التفاعل بين الأشخاص والثقافات، فيما يُعرف بحوار الحضارات، وأدت إلى تكوين ثقافة عالمية جديدة يستغربها الذين اعتادوا ثنائية (الذات والآخر)؛ فهناك دعوة إلى الاندماج تبرز في مدارس الفن والفلسفة، وحوارات على جميع الصعد الحضارية والدينية. ويركّز المتوجّسون من العولمة في الروح الاستهلاكية

توحيد العملة لا يقتصر على كونه تداول عملة واحدة في كلّ الأقطار الأعضاء، وإنما يحقّق أهدافاً أكثر عمقاً؛ إذ يوحّد سياساتها النقدية والاقتصادية معاً

العالية التي تواكب هذه المرحلة، والتي تتّضح فيما يُسمى ثورة التطلّعات، وانتشار النمط الاستهلاكي الترفي بين الأغنياء، أو الحلم به وتمنّيه بين الفقراء.

تأثيرات العملة الموحّدة

تترتّب على قيام العملة الموحّدة حرية انتقال الأشخاص ورؤوس الأموال، وحرية تبادل البضائع والمنتجات الوطنية، وحرية الإقامة والعمل وممارسة النشاط الاقتصادي، وحرية التملّك والإرث، ويكملها تكوّن اتحاد جمركي تتخلّص فيه الدول المشتركة في العملة الموحدة من العوائق الجمركية بينها، أو تعمل على تخفيضها، وتوحّد سياستها الجمركية مع الدول الأخرى غير الأعضاء في الاتحاد الاقتصادي، الذي ينجم عن توحيد عملتها في عملة واحدة. ويعدّ توحيد العملة إحدى حلقات التكامل الاقتصادي، ويشكّل رغبةً من الدول الأعضاء فيه من أجل تحقيق المزيد من الاندماج الاقتصادي بينها، ويستكمل جوانب الاقتصاد، ويتمّ بموجبه التوصّل إلى آلية متّسقة بين السياسات المالية والنقدية للدول الأعضاء، ويحقّق درجةً عاليةً من الاستقرار النقدي، ويزيد من قدرة هذه الدول على مواجهة الاضطرابات، التي يمكن أن تتعرّض لها أسواقها النقدية والمالية بسبب متغيرات أسعار الصرف. ويهدف توحيد العملة في نظام نقدي موحّد إلى الحد من الأزمات الاقتصادية التي تتعرض لها الدول الأعضاء، خصوصاً في المجال النقدي والمالي؛ حتى تُتاح لها الفرصة لتحقيق أهدافها الاقتصادية، وخلق كيان اقتصادي يحقّق نوعاً من التوازن النقدي العالمي مقابل العملات الخارجية. كما يترتّب على توحيد العملة خلق أسواق مالية واسعة تُقام على أساس الوحدة، وتوجد دوراً فعالاً للعملة الموحدة على المستوى الدولي، وتتلافى الدول الأعضاء فيها سلبيات تقلّبات أسعار الصرف بين عملات الدول الأعضاء، ومخاطرها، وتأثيراتها السلبية في أداء الشركات، وحركة رؤوس الأموال بين الدول الأعضاء، وتخلق مزيداً من الشفافية في الأسعار والتكاليف، وزيادة المنافسة، ورفع معدلات النمو.

العولمة

يعبّر مصطلح العولمة عن تطورين مهمين، هما: التحديث Modernity، والاعتماد المتبادل Inter-dependence. ويرتكز مفهوم العولمة على التقدّم الهائل في التكنولوجيا والمعلوماتية، إضافةً إلى الروابط المتزايدة على الأصعدة كافةً على الساحة الدولية المعاصرة. وبناءً على ذلك، فالمفهوم يحتوي على مساحة من التناقض بين وجهة النظر الليبرالية الداعية إلى الاحتفال بالاعتماد المتبادل بين الدول ووجهة النظر الراديكالية التي لا ترى في ذلك إلا مزيداً من السيطرة العالمية للرأسمالية والنظام الاقتصادي المرتكز على حرية السوق.

هدف أعرق

نخلص من هذا كلّه إلى أن توحيد العملة لا يقتصر على كونه تداول عملة واحدة في كلّ الأقطار الأعضاء، وإنما يحقّق أهدافاً أكثر عمقاً؛ إذ يوحّد سياساتها النقدية والاقتصادية معاً، ومع العالم الخارجي، بما يحقّق لها منافع مادية ومكتسبات اقتصادية تواجه مخاطر الانهيارات في العملات العالمية، وتخلق منافسة مع العملات الدولية. وليس أدلّ على ذلك من منافسة العملة الأوربية الموحّدة (اليورو) الدولار الأمريكي الذي ظلّ مدةً طويلةً عملة الاحتياطي العالمي في البنك المركزي الدولي.



تترتّب على قيام العملة الموحدة حرية انتقال الأشخاص ورؤوس الأموال، وحرية تبادل البضائع والمنتجات الوطنية، وحرية الإقامة والعمل وممارسة النشاط الاقتصادي، وحرية التملّك والإرث

ونستطيع من خلال هذا العرض أن نتوصّل إلى أن قيام عملة خليجية موحّدة بين أقطار دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية ستترتّب عليه مجموعة من الآثار تجعل منه ضرورةً اقتصاديةً حتميةً لجميع الدول الأعضاء بما يعود بالنفع عليها جميعاً، ويمكننا إجمال الآثار المترتّبة على قيام العملة الخليجية الموحدة في الآتي:

- يعدّ الوصول إلى العملة الخليجية الموحدة، وإقامة الاتحاد النقدي لدول مجلس التعاون، تتويجاً لما تمّ إنجازه من مراحل التكامل الاقتصادي، وسيزيد من إيجابياتها، ويقوّي مكاسب الاتحاد الجمركي، والسوق الخليجية المشتركة؛ إذ ستترتّب على قيام هذا الاتحاد، وإصدار العملة الخليجية الموحدة، آثار متعددة على مختلف القطاعات الاقتصادية، ولاسيما التجارة البينية، والسياحة، والاستثمارات، وستلاحظ آثاره -بشكل أكبر- في قطاع الخدمات المالية والأسواق المالية، التي ستشهد نمواً مطّرداً، وتطورات متسارعة.
- يقضي التعامل بعملة خليجية واحدة على المخاطر المتعلقة بأسعار صرف العملات الخليجية، ويعمّق مفهوم السوق الواحدة، ويسهم -بشكل فعّال- في تطوير الأسواق المالية الخليجية وتكاملها، خصوصاً سوق السندات، ويساعد على تطوير أسواق الأسهم، ويؤثّر فيها تأثيراً ملحوظاً من حيث الحجم والعمق والسيولة.
- يعمل توحيد العملة على زيادة قدرة الشركات الخليجية على الاندماج أو الاستحواذ على شركات أخرى في مختلف دول مجلس التعاون، وهذا الأمر ستكون له آثار إيجابية على صعيد الاقتصاد الكلّي، والكفاءة الاقتصادية.
- من شأن إطلاق عملة خليجية واحدة تشجيع المنافسة الإقليمية في مجال الخدمات المصرفية والمالية، وجودة خدماتها، وهو ما ينعكس إيجابياً على عملائها في دول المجلس، ويخفّض تكاليفها، ويؤدي إلى تنويع خدماتها، وقد يؤدي كذلك إلى تشجيع الاندماج بين هذه المؤسسات على الصعيد الإقليمي للاستفادة من اقتصاديات الحجم.

إن الآثار الإيجابية لإصدار العملة الخليجية الموحدة في القطاع المصرفي، وفي تكامل الأسواق المالية، بدول المجلس، مقرونة بآثاره الإيجابية على صعيد السياسة النقدية والسياسة المالية، والتزام معايير التقارب المالي بين نسب العجز في المالية العامة ونسب الدَّيْن العام، وهو ما سيعزّز من الشفافية والانضباط المالي على الصعيد الإقليمي، وينعكس إيجاباً على الاستقرار النقدي والمالي في المنطقة، وهذه كلّها عوامل مساعدة لجذب مزيد من الاستثمارات الوطنية والإقليمية والدولية إلى دول مجلس التعاون.

أخيراً، هناك نقاش يدور أحياناً حول مدى ملاءمة ربط عملات دول المجلس، ثم ربط العملة الخليجية الموحدة، بالدولار الأمريكي، ومن المناسب الإشارة إلى أن قرار المجلس الأعلى نصّ على ربط عملات دول المجلس بالدولار الأمريكي في المرحلة الحالية، وترك للسلطة النقدية الخليجية المشتركة بعد إصدار العملة الموحدة حرية اختيار الربط المناسب لها بعملة واحدة أو أكثر، أو تعويمها، حسب ما تقتضيه متطلبات المرحلة المقبلة وظروفها.

التكامل النقدي

العملة الموحّدة هي عملية تتّصف بالقبول العام في المعاملات والعمليات كافةً، سواء بوصفها وسيطاً للتبادل، أم إجراءً لإتمام هذا التبادل وتحقيقه، أم مخزناً للقيمة تعدّ أداةً قويةً لإقرار خيار الوحدة، واختيار التوحّد لتصبح وعياً هادراً يعانق طموحاتٍ وآمالاً واسعةً. وانتهاج عملة موحّدة يعني انتهاج سياسة نقدية موحّدة، تشمل كلّ الدول التي تُعتمد فيها هذه العملة، ويقرّرها مصرفها المركزي، تنتهي إلى قيام نوع من التكامل النقدي الكامل ييسّر عليها عمليات التبادل التجاري والاستثمار.



مفهوم العولمة تاريخياً لا يتجزأ عن التطور العام للنظام الرأسمالي؛ إذ تعدّ العولمة حلقةً من حلقات تطوره التي بدأت مع ظهور الدولة القومية في القرن الثامن عشر الميلادي

الفيزياء والفسيولوجيا في جسم الإنسان

الفيزيائيون ينسحبون سريعاً من أيّ مجال بمجرّد معرفة قواعده الرئيسة، وبمعنى أصحّ: لا يهتمون بالتفاصيل. لكن القواعد العامة ليست هي كلّ شيء؛ ففي جسم الإنسان -مثلاً- للفيزياء صوت، وللفسيولوجيا صوت أعلى.

الموائع

عندما يكون الإنسان مستلقياً يكون ضغط الدم متساوياً في الشرايين الطرفية كافةً؛ لأنها كلّها في مستوى أفقي واحد. أما إذا قرّر الشخص النهوض فبالتأكيد سيكون رأسه في مستوى أعلى من سائر جسده، وتقرّر الفيزياء أن ضغط الدم في الرأس يكون أقلّ ما يمكن، وفي القدمين يكون أكبر ما يمكن، ولا يصل قدر كافٍ من الدم إلى المخ، ويُصاب الإنسان بالإغماء، وربما يموت.

بالتأكيد لا يحدث هذا؛ فالفسيولوجيا تقول كلمتها؛ إذ ترسل الحساسات الموجودة في الشرايين إشارات إلى المخ لتخبره بأن الضغط يقلّ، فيرسل المخ إشارات ليقوم بقبض الشرايين التي قلّ فيها الضغط. وبنقصان قطر الشريان تزداد سرعة الدم فيه كما تنصّ معادلة الاستمرارية في حركة الموائع؛ ليصل الدم بسرعة إلى الأجزاء المرتفعة من الجسم، فيعوّض النقص في الضغط.

هذا الأمر يفسّر لنا ما نشعر به أحياناً من الدوار، وربما الإغماء، بعد الاستيقاظ من النوم والقيام مباشرةً بسرعة من السرير؛ فالحساسات لم تعمل بعد، لكنها ما تلبث أن تعمل، ويشعر الشخص بزوال الدوار.

الضغط في أسفل الجسم

هكذا تكون قد حُلّت مشكلة نقص الضغط في أعلى الجسم، فكيف تُحلّ مشكلة زيادة الضغط في أسفل الجسم؟!

تقرّر الفيزياء أن ضغط الدم في القدمين أكبر ما يمكن؛ لذلك يزداد ترشيح البلازما من الأوعية الدموية إلى الخلايا، وهو ما يسبّب زيادة تضخم القدمين أكثر من أيّ عضو آخر عند الإصابة بمرض الاستسقاء أو داء الفيل مثلاً.

لكن هذا ليس الوضع الطبيعي؛ فالفيزياء تقرّر أيضاً أن الدم يتحرك من المنطقة ذات الضغط المرتفع إلى المنطقة ذات الضغط المنخفض، ولأن الصدر في أثناء الزفير يفرغ من الهواء، ويكون الضغط فيه قليلاً جداً، يتحرّك الدم من أوردة القدمين إلى أعلى ليصبّ في القلب، إضافةً إلى أن أوردة القدمين محشورة بين العضلات؛ إذ عندما تنقبض العضلة تضغط على الأوردة، فيندفع الدم إلى أعلى، فتعدّ العضلات مضخات فرعية للدم. وهذا الأمر يفسّر لنا أيضاً لماذا يشعر الإنسان بالدوار إذا وقف ثابتاً مدةً طويلةً، لكنه ربما يمشي وقتاً طويلاً ولا يشعر بشيء؛ لأن العضلات تتحرّك وتدفع الدم إلى أعلى. والأمر الثالث الذي يمنع تزايد الضغط في القدمين هو أن الصمامات في الأوردة ذات اتجاه واحد؛ أي أنها تسمح للدم بالحركة إلى أعلى، ولا تسمح له بالرجوع إلى أسفل.

أوردة القدمين محشورة بين العضلات، وعندما تنقبض العضلة تضغط على الأوردة، فيندفع الدم إلى أعلى، فتعدّ العضلات مضخات فرعية للدم

التنميل ما هو إلا عدم قدرة النبضات العصبية على الوصول من الأعضاء الطرفية إلى المخ؛ لذلك نفقد الإحساس بهذا العضو

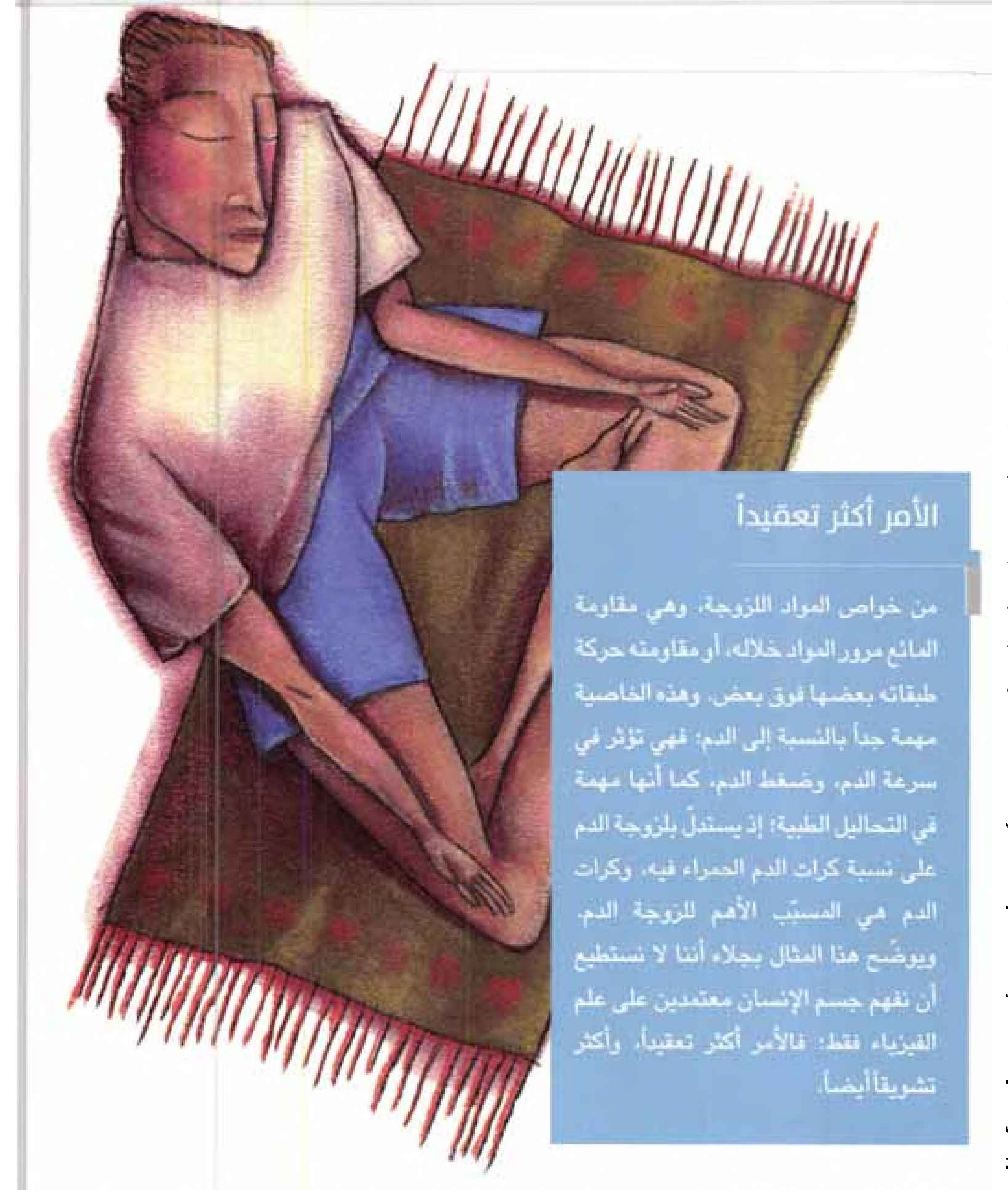


في الكهرباء علاج

لا تقتصر علاقة الكهرباء بالجسم على الأعصاب؛ فالعضلات أيضاً تنقبض بشكل مشابه؛ لذلك يُستخدم جهاز رسّام القلب الكهربائي ECG في الكشف عن حالة القلب، والقلب أحد أنواع العضلات كما هو معلوم. كما أن الكهرباء تُستخدم في بعض الأحيان لأغراض علاجية عن طريق توصيل المخ بمصدر تيار كهربي، فيما يُسمّى بـ(تنظيم إيقاع المخ). وتستخدم جلسات الكهرباء هذه في علاج الحالات الحادة من الاكتئاب وانفصام الشخصية، وكذلك في العلاج الطبيعي للآلام، ويقلّ استخدام هذه الطريقة في الطب الحديث. ولا يبدو هذا الأمر غريباً بالنسبة إلينا الآن؛ فالنبضات العصبية في المخ شبيهة -إلى حدٍّ كبير- بأداة العلاج: الكهرباء.

الكهربية

سيظلّ اسم جلفاني من الأسماء اللامعة في الفيزياء الكهربية مع أنه عالم فسيولوجي في الأساس. بدأت الحكاية عندما كان جلفاني يجري تجربة لمعرفة كيف تتحكّم الأعصاب في العضلات، وذلك بإثارة أعصاب الضفدعة بالضغط عليها، لكنه لاحظ ذات مرة أن العضلات تنقبض بعنف عند الضغط عليها بهذا المبضع المشحون. اهتم بالملاحظة، وظلّ يدرسها أحد عشر عاماً، وقرّر، في النهاية، أن الكهرباء تتولّد من أنسجة الحيوانات. وكانت هذه أول محاولة لمعرفة منشأ الكهرباء؛ لذلك كان التيار المستمر يُطلق عليه (التيار الجلفاني)، أو كما كان يسميه جلفاني (الكهرباء الحيوانية). لكننا لا نحتاج إلى تجربة جلفاني لمعرفة أن النبضة العصبية تشبه الكهرباء في طبيعتها؛ فنحن دائماً نلاحظ أن اصطدام المرفق (المعروف بالكوع) بالمائدة يسبّب شعوراً يشبه التكهرب. تماماً كشبكة الأسلاك الهاتفية؛ تخرج الأعصاب من أعضاء الاستقبال (المكالمات الواردة)، وتتجه إلى المخ (السنترال المركزي)، وأعصاب أخرى تخرج من المخ إلى أعضاء الانفعال (المكالمات الصادرة). وكانت بداية معرفة كيفية انتقال هذه الكهرباء في جسم الإنسان هي تلك التجربة التي تمّ إجراؤها على عصب حيوان الحبار، وهو عصب سمكة كبير يمكن دراسته بسهولة. لكن انتقال الكهرباء في الأعصاب لا يشبه ما يحدث في الأسلاك؛ فما يحدث هو أن هناك فرقاً في الجهد الكهربي بين داخل الخلية العصبية وخارجها، ويظلّ فرق الجهد هذا ثابتاً؛ لأن هناك بوابات تمنع دخول الأيونات الموجبة إلى داخل الخلية. فإذا أثّرنا في الخلية بمؤثر ميكانيكي (كاصطدام الكوع)، أو مؤثر كهربائي (كما في تجربة جلفاني)، أو مؤثر كيميائي (كما في الوصلات العصبية بين الأعصاب بعضها ببعض، أو بين الأعصاب والعضلات)، إذا أثرنا بأيّ من هذه المؤثرات تنفتح البوابات على مصاريعها، وتسمح بمرور الأيونات الموجبة إلى الداخل، وهو ما يسبّب انعكاس فرق الجهد، وانتقال الكهربية على طول العصب حتى تصل إلى هدفها، وتوصل رسالتها. وربما يفسّر هذا الأمر ما نشعر به أحياناً من (التنميل)؛ فالتنميل ما هو إلا عدم قدرة النبضات العصبية على الوصول من الأعضاء الطرفية إلى المخ؛ لذلك نفقد الإحساس بهذا العضو، ويحدث ذلك دائماً عندما نضغط على العصب بأن نجلس بطريقة خاطئة على أقدامنا، أو نرتكز على أيدينا.



الأمر أكثر تعقيداً

من خواص المواد اللزوجة، وهي مقاومة المائع مرور المواد خلاله، أو مقاومته حركة طبقاته بعضها فوق بعض. وهذه الخاصية مهمة جداً بالنسبة إلى الدم؛ فهي تؤثر في سرعة الدم، وضغط الدم، كما أنها مهمة في التحاليل الطبية؛ إذ يستدلّ بلزوجة الدم على نسبة كرات الدم الحمراء فيه، وكرات الدم هي المسبّب الأهم للزوجة الدم. ويوضّح هذا المثال بجلاء أننا لا نستطيع أن نفهم جسم الإنسان معتمدين على علم الفيزياء فقط؛ فالأمر أكثر تعقيداً، وأكثر تشويقاً أيضاً.

الموادّ وخواصّها

تعدّ خواصّ المواد من الموضوعات المهمة بالنسبة إلى الفيزيائيين، خصوصاً المهندسين، إلا أنها أكثر أهمية بالنسبة إلى جسم الإنسان. ولنأخذ المرونة مثالاً. المرونة هي قدرة المادة على التمدّد، ثم استعادة وضعها الأصلي بعد زوال الأحمال عنها، وذلك بشكل تدريجي. هذه الخاصية مهمة جدا في جسم الإنسان؛ لأن هناك نوعاً من الأنسجة تسمى (الأنسجة المرنة)، توجد - على سبيل المثال - في الشريان الأورطي، تتمدّد عند انقباض البطين وتدفّق كمية كبيرة من الدم إلى الأورطي، ويبدأ الأورطي في استعادة قطره الطبيعي تدريجياً فيعمل مضخة تحوّل تدفق الدم المتقطّع من القلب إلى تدفّق دائم في الشرايين التالية له. وكذلك توجد هذه الأنسجة المرنة في الرئة؛ إذ تتمدّد الحويصلات الهوائية لتستقبل هواء الزفير، ثم تعود إلى حجمها الطبيعي لتطرد هواء الزفير؛ لذلك لا يبذل الإنسان جهداً في عملية الزفير؛ لأن الرئة تستعيد حجمها تلقائياً.

المراجع

(١) أحمد مدحت إسلام. لغة الكيمياء في الكائنات الحية. فصل: كيف تنتقل الرسائل خلال الأعصاب؟
(٢) صلاح أبو ستة. physiology in medical practice. مقرر الصف الأول في كلية الطب بجامعة الأزهر
(٣) ج. كراوثر. قصة العلم. الفصل السابع عشر. الكهرباء

حول قصة «سنة مع والدي» للأديبة الفرنسية جنفياف بريساك

«قضت والدتي وهي إلى جانب والدي الذي يقود سيارته بعد أن ارتطمت بهما سيارة مسرعة من الجهة المقابلة على طريق فرعي، ونجا والدي بعد إصابته بعدة كسور. كانا في أوائل الثمانينيات، وقد عزوْتُ أنا وأختاي نجاته إلى صلابة بنيته؛ لأنه كان في إبّان الحرب العالمية الثانية في صفوف المقاومة الفرنسية». وكظمت الكاتبة حزنها، وثورة غضبها في صدرها؛ لتخرج معبّرة على صفحات هذه القصة، حتى نحسب أننا كقرّاء نقوم بواجب العزاء صامتين. والأديبة أمامنا تعطي للحزن أبعاداً زمنيةً بهدوء واتّزان يدفعان إلى الإمعان فلسفياً في هذه الحياة.

«ما عهدت والديّ إلا مشغوفين بالمطالعة، خصوصاً بعد بلوغهما سنّ التقاعد عن العمل. يطّلعان بها، وقُلْ: يُبصران بها ما يدور في هذه الحياة، فيُمعنان ملياً». حتى عندما ينتقلان معاً إلى مناطق فرنسية أخرى لا يعرفانها؛ لغرض زيارة قصيرة على ما تسمح به مقدرتهما المادية المتواضعة كمتقاعدَيْن عن العمل: ففرنسا بلاد كبيرة، يبرمجان زيارتها على مراحل: الأهم، ثم الأهم. حتى هذه الزيارات المشار إليها لا تخرج عن جوهر الاطّلاع، والتعرّف، وريادة الأمكنة الثقافية، والإنصات إلى المثقفين في كلّ مناسبة سانحة.

تميد بنا هذه الالتفاتة إلى تسجيل بُعدين نفسيين حيال المسنّين: أولهما أن مرور الأيام يؤسّس في نفسية المسنّ محبة التأمل التي تولّد الحكمة، وهذه بدورها تتفاوت مستوًى وعمقاً تبعاً لرصيد المسنّ الثقافي. وما عبّه في حياته؛ لذا تراه منصتاً ممعناً فيما يشدّ انتباهه. ثانيهما ذلك التعلّق بين زوجين مسنّين قد أمضيا معاً شريحةً مهمةً من حياة، فشدّت عُرا التواصل بينهما؛ لذا تراهما لا يفترقان كوالد الكاتبة ووالدتها. وما قولنا في زواج انطلق من محبة، وارتفع بها بناؤه؟!.

الأمر لا ينحصر في أن الزوجين المسنّين لا يبتعد أحدهما من الآخر، فيستعين كلّ برفيقه/ رفيقته على ضعفه. هي الألفة أقلّه. هنا تؤدي الأخلاق دورها على الصعيد الفردي العائلي، أو على صعيد مجتمع متماسك بصورة عامة؛ فترتفع فيه نسبياً حرارة العاطفة الإنسانية.

الكاتبة تُنصت بحسرة إلى أختيها: «مع أن والدينا كانا في أوائل الثمانينيات فإنهما امتازا بحيوية الحركة، والمحافظة على قوة الذاكرة التي تُعين على التفكير» وها هو ذا الوالد بعد الكارثة، ولا ذنب له فيها؛ فقد خسر رفيقة عمره. ها هو ذا محافظ على لباقته وهدوئه، وما استسلم لليأس على الرغم من فجيعته وتعاسته. ولكبرى بناته -كاتبتنا- الجهد بعنايته نفسياً إلى أن أضحى قوياً على مجابهة الحياة. جعلت منه واثقاً بنفسه عندما حطت الخطوة الأولى مع أختيها: فلم يظهرن مطلقاً قلقاً حياله عندما يخرج من البيت بمفرده، لدرجة أنه سنّ لنفسه قانوناً، ولو أن ذلك من حيث الواقع يبقى قابعاً داخل البوتقة النفسية فحسب. مضمون هذا القانون «أن تتنكّر لضعف ما يصيبك. لا تأخذ بقانونه، ولو اضطرك الأمر إلى أن تتنكّر نفسك لقانون آخر تجاوزاً لمجابهته»، ثم ينبري سائلاً نفسه: «أوما رفضت ذاتك ألا تبالغ في حيطتك لئلا تتعثّر في السجادة، فتقع أرضاً: بهدف ألا ترتمي في خوف ووجل دائمين. فجعلت بذلك الحيطة تشحذ ذهن الإنسان، وتدفع به إلى الانتباه فحسب؟!».

اختصرت الكاتبة في هذه القصة عن أهلها (Biographie) كلّ الغضب والعذاب النفسي الذي عاشته هي وأبوها وأختاها بأسلوب مكثّف جداً، يُعرف به كتّاب القصة القصيرة، وهي مقدرة في الكتابة فجّرت أكثر من موقف إنساني على صعيد العجوز الفرد؛ إذ تقول: «على الرغم من تماسكه ولباقته كنتُ أعيش الحسرة داخل عينيه». وعلى صعيد أختيها وصولاً إليها؛ إذ تقول: «الحيرة في كلّ حركة ينهضان بها، وإلى ارتسام الأسى على وجوهنا جميعاً». وهكذا، وقفت بنا هذه الأديبة على حقيقتنا النسبية في هذا الوجود بعاطفة طافحة من خلال مأساة.



عبدالقادر بن عبدالحي كمال | السعودية

طريق الحب



القصيدة -أيّ قصيدة- هي مخاض، يسهل حيناً، ويتعسّر أحياناً. وقبل المخاض تكون الفكرة، التي هي النطفة المُودعة في مخيّلة الشاعر، والفكرة في قصيدتي (طريق الحب) هي سؤالي: كيف هو طريق المحبّ لمن يحبّ؟!.

لا شكّ أن طريق المحبّ لمن يحبّ يختلف عن الطرق الحياتية الأخرى، تخيّلت هذا الطريق، فتصوّرت أن به طيوفاً جميلةً في نواحيه وأنحائه، يمتلئ بالأناشيد العذبة التي تعشق الأوتار، وفي جنبات الطريق ورود وأزاهير تتمايل في زهو واختيال، والنسيم العليل يسري ليعانق الغيد والأبكار، ومصابيح الظلام (النجوم) تتغنّى بحبّها وجواها، وأحيت الأسحار بطربها وغنائها، والجبال التي على قننها يهبّ الهواء، فيصدر منه حفيف، فكأن مشاريفها تعزف لحن الوجد والحب والهيام، والعصافير تشارك بتغريد الأشعار، والسحاب تطفر دمعته اشتياقاً بهتان رقيق لطيف، وعيون الحنين باتت سهارى، والموج الذي يتدافع إلى الشاطئ باشتياق، وعندما يعانق الشاطئ يصدر منه صوت، هو شهقة الوجد، وآهة الاشتياق، ويتطاير رذاذ مائه كأنه دموع، ثم يقف الشاعر ليردّد أنه في محفل الغرام بليغ وخطيب مفوّه لا يُجارى، يجتني السحر من عيون العذارى، ويروي به قلوب الحيارى، ويعزف البوح للجميلات شوقاً وتشوقاً، ويغنّي البوح في شعره جهاراً نهاراً. ولأن طريق الحب طويل يلتفت الشاعر المحبّ ليؤكّد لأحبائه أن طريق الحبّ طويل، وعلى جنبات الدرب يكمن الغيورون والحسّاد، ثم يهتف بهم ألاّ جُناح عليهم إن سكبوا النور في مقلتيه فرحاً واستبشاراً. هذا هو جوّ القصيدة، وأجواؤها، وصورها.

فـــي طـريـقـي لمـــن أحـــبّ طـيـوفُ
وأنـــاشـيـد تـعـشـق الأوتـــارا
وورود تمـايـلـت باخـتـيـال
ونـسـيـم يـعـانـق الأبـكـارا
والمـصـابـيـح فــي دُجـاهـا تـغـنّت
بـجـواهـا وأحْـيـت الأسـحـارا
والمـشـاريـف تـعـزف الـوجـد لحـناً
والـعـصـافـيـر غـــرّدت أشـعـارا
طـفـرت دمـعـة الـسـحـاب اشـتـيـاقاً
وعـيـون الحـنـين بـاتـت سـهـارى
وتـعـالـت مـن شـهـقـة المـوج آه
ثـمّ فـاضـت مـن عـيـنـه مـدرارا
أنـا فـي مـحـفـل الـغـرام بـلـيـغ
وخـطـيـب مـفـوّه لا يُـجـارى
أجـتـنـي الـسـحـر مـن عـيـون الـعـذارى
وأروّي بـه قـلـوب الحـيـارى
أعـزف الـبـوح لـلـجـمـيـلات شـوقاً
وأغـنّـيـه فـي قـصـيـدي جـهـارا
يـا أحـبّـائي والـطـريـق طـويـل
وعـلـى الـدرب عـاصـفـاتُ الـغـيـارى
يـا أحـبّـائي لا جُـنـاح عـلـيـكـم
إن سـكـبـتـم فـي مـقـلـتـيّ الـنـهـارا

«قصائد».. لي تشينغ تشاو



(١) زهرة الخوخ

كلّ عام..
وقت سقوط الجليد
كنت أتركني أنتشي
بزهرة خوخ
وُضعت أعلى شعْري
كنت أُلقي ببتلاتها
في القارات الأربع
كانت دموعي
تبلّل ثوبي
هذا العام..
في أقاصي العالم
شابَ شعْري
هذا المساء..
الريح تهبّ بقوة
لا أدري
هل ستقاوم زهرةُ الخوخ؟

(٢) في حلم صيفي

معتمة.. السحب الصباحية
تزغى حتى السماوات
ألف نجمة ترقص فوق المجرة
أحسبها العودة
إلى قصر سماوي
أسمع إمبراطور السماء
يسألني
في رقة
أيّ منزل أختاره للسكنى.

•••

أجيب بأن السفر طويل
أن الشمس ستغرب عما قليل
قلت أشعاراً أسطورية
كرقصة الروك تختلس مئة فرسخ
بخفقة أجنحة وحيدة
أوه! أيتها الريح..
لا تتوقفي!
ادفعي زورقي الشراعيّ جيداً
حتى جزر الأرباب.

(٣) الربيع المبكّر

الريح الوديعة
وبصيص الضوء يعلنان
قدوم ربيع مبكر
ملفوفاً
في ثوب مبطّن
أشعر أني مسرورٌ
لحظة استيقاظي
تغزوني طراوةٌ
في شعْري
أجد زهرة خوخ ذابلة

•••

أين تكون البلدةُ مسقطُ رأسي؟
فقط في حال النشوة
أنساها
قبل نومي
أشعل البخور الذي
تختفي رائحته
حين أصبح نشوان.

(*) لي تشينغ تشاو: شاعرة وأديبة صينية راحلة، وُلدت عام ١٠٨٣م في أسرة من المسؤولين والعلماء، وكان أبوها صديقاً للشاعر الصيني شي سو كانت أشعارها معروفة في أوساط النخبة. وتركت وراءها مئات القصائد. رحلت عام ١١٥١م، وقام بنقل هذه القصائد إلى الفرنسية الكاتب والروائي والخطّاط والمترجم الصيني شي يو



الصين تردّ على الولايات المتحدة الأمريكية

وتفتح سجلّ حقوق الإنسان بها



سيد الجعفري - هيئة التحرير

تمثّل قضية حقوق الإنسان مصدر توتّر بين أكبر اقتصادين في العالم: الولايات المتحدة الأمريكية، والصين، خصوصاً منذ عام ١٩٨٩م عندما فرضت الولايات المتحدة الأمريكية عقوبات على الصين بعد حملتها الدامية ضد متظاهرين مؤيدين للديمقراطية في ميدان تيانانمين، أو ميدان السماء، بوسط العاصمة الصينية بكين، بعد خروج الشعب الصيني في مظاهراته الشهيرة التي نادت بالديمقراطية، وندّدت بالفساد، وطالبت بحرية الصحافة، وإنهاء حكم الحزب الشيوعي. وانتهت هذه المظاهرات باقتحام قوات جيش التحرير الشعبي الصيني وعرباته الميدان عنوةً في ٤ يونيو عام ١٩٨٩م؛ لتندلع المواجهات، ويسقط مئات القتلى، ويتمّ إخلاء الساحة بالقوة.

آخر مظاهر الصراع بين الدولتين في هذه القضية هو المسح السنوي لحقوق الإنسان في أنحاء العالم، الذي نشرته الولايات المتحدة الأمريكية في فبراير عام ٢٠١٤م، وأشارت فيه إلى بعض الإصلاحات الإيجابية التي أجرتها الصين في هذا الجانب. لكنها أكّدت أن بكين لا تزال مستمرةً في تشديد القيود على الحرية والناشطين وتصعيد القمع في التبت وشينجيانغ. وردّ عليه المكتب الإعلامي التابع لمجلس الدولة الصيني بتقرير أصدره يوم ٢٨ فبراير ٢٠١٤م حمل عنوان: «سجلّ حقوق الإنسان للولايات المتحدة الأمريكية في عام ٢٠١٣م»،

وترجمه إلى عدة لغات، منها اللغة العربية.

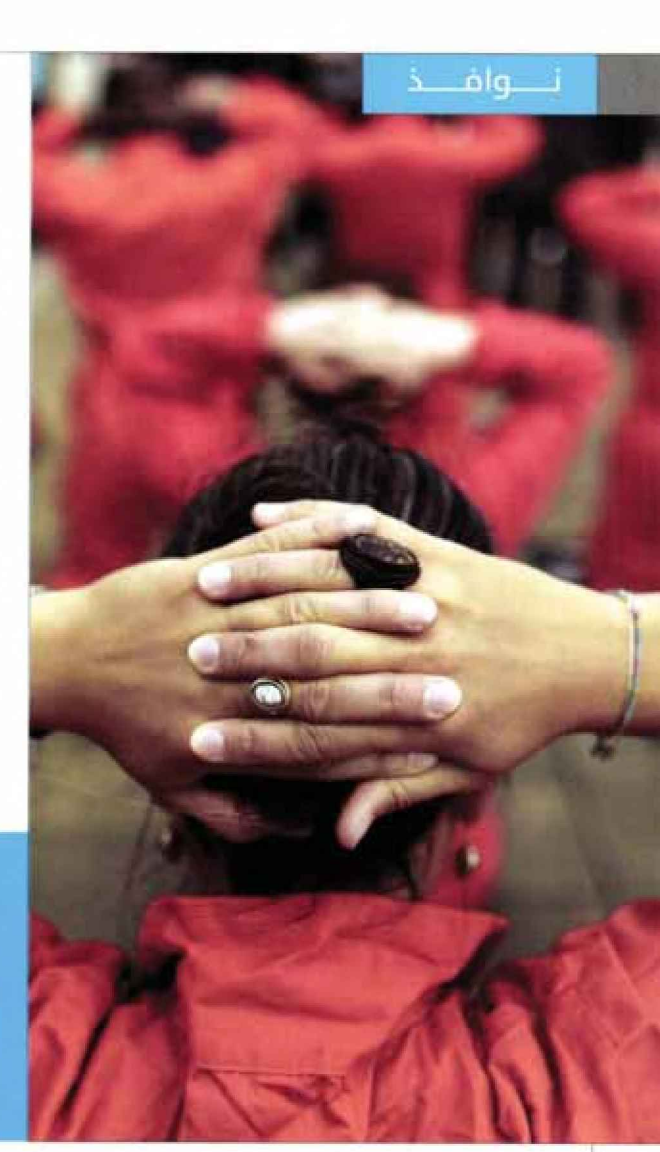
يتألّف هذا التقرير من ستة أجزاء، هي: الحياة والأمن الشخصي، والحقوق المدنية والسياسية، والحقوق الاجتماعية والاقتصادية، والتمييز العنصري، وحقوق المرأة والطفل، وانتهاكات حقوق مواطني البلدان الأخرى. وانتقد التقرير الصيني تقرير حقوق الإنسان في البلدان الأخرى لعام ٢٠١٣م، الذي أصدرته الحكومة الأمريكية، وانتقدت فيه أوضاع حقوق الإنسان في أكثر من ١٩٠ بلداً ومنطقةً في العالم، ووصفه بأنه خالٍ من المصداقية والموضوعية؛ إذ أغفل حقيقة الصعوبات الكبيرة التي تعتري أحوال حقوق الإنسان في الولايات المتحدة الأمريكية، وصمت عنها. ونوّه تقرير مجلس الدولة الصيني إلى التردّي المتواصل لأوضاع حقوق الإنسان في عدد من مجالات الحياة في الولايات المتحدة الأمريكية، مستشهداً بما توافر من معلومات وأنباء علنية خلال عام ٢٠١٣م كشفت عن تصاعد حدة جرائم العنف في الولايات المتحدة الأمريكية، وحالات متكرّرة لحوادث إطلاق النار من دون انقطاع، وهو ما يمثّل تهديداً جدّياً لحياة المواطنين وسلامتهم الشخصية. ففي عام ٢٠١٣م، شهدت الولايات المتحدة الأمريكية ثلاثين حادث إطلاق نار قضى فيها ١٣٧ شخصاً، بمتوسط يزيد على أربعة أشخاص في كلّ منها. وذكر التقرير أنه حتى عام ٢٠١٣م - وفقاً للأرقام الصادرة عن مكتب التحقيق الفيدرالي - كان في الولايات المتحدة الأمريكية نحو ٣٠٠ مليون قطعة سلاح، ويتم في المتوسط إطلاق النار على أكثر من ألف مواطن أمريكي كلّ عام، وهو ما أدى إلى انطلاق دعوات قوية لفرض ضوابط أكثر صرامةً على امتلاك الأفراد الأسلحة النارية عقب حادث إطلاق النار الجماعي في مدرسة ساندي هوك الابتدائية التابعة لمدينة نيوتاون بولاية كونيتيكت الأمريكية في ١٤ ديسمبر ٢٠١٢م، وتسبّب في مقتل ٢٧ ضحية، منهم ٢٠ طفلاً، وازدادت هذه الدعوات عقب قيام مسلّح بإطلاق النار داخل مدرسة أراباهو الثانوية في مدينة ليتلتون بولاية كولورادو الأمريكية في ١٣ ديسمبر ٢٠١٣م.



برنامج بريزم

وأشار التقرير الصيني إلى تورّط الولايات المتحدة الأمريكية في برنامج التنصّت (بريزم)، الذي يمارس رقابةً واسعةً طويلة الأمد على الاتصالات داخلها وخارجها، ويعدّ انتهاكاً سافراً للقانون الدولي، وتعدّياً خطيراً على حقوق الإنسان وخصوصية الأفراد والدول. وأدان التقرير استخدام الحبس الانفرادي في الولايات المتحدة الأمريكية بشكل سائد؛ إذ يوجد نحو ٨٠ ألف سجين في حبس انفرادي بالبلاد، تجاوزت مدة بقاء بعضهم في الحبس الانفرادي ٤٠ عاماً. وتطرّق التقرير إلى أوضاع العمالة في الولايات المتحدة الأمريكية، التي يكتنفها مزيد من اللبس والغموض في ظلّ تصاعد معدلات البطالة التي وصلت إلى ٢١٪ في الأسر ذات الدخل المحدود. كما شهدت المدة بين عامي ٢٠١١ و٢٠١٢م زيادة ملحوظة في نسبة عدد المشرّدين؛ إذ قفزت ١٦٪. إضافةً إلى وجود عدد كبير من الأطفال العاملين في القطاع الزراعي بالولايات المتحدة الأمريكية، وهو ما ألحق ضرراً كبيراً بصحتهم العقلية والنفسية.

وأشار التقرير إلى قيام الولايات المتحدة الأمريكية باستخدام الضربات الجوية بطائرات من دون طيار في بعض الدول، منها: باكستان، واليمن، وأفغانستان، وهو ما تسبّب في سقوط عدد كبير من المدنيين؛ ففي باكستان - على سبيل المثال - شنّت واشنطن ٣٧٦ هجوماً باستخدام طائرات من دون طيار منذ عام ٢٠٠٤م، أسفرت عن مقتل ٩٢٦ مدنياً. وانتقد التقرير الصيني عدم انضمام الولايات المتحدة الأمريكية أو تصديقها على سلسلة من الاتفاقيات الأساسية للأمم المتحدة بشأن حقوق الإنسان، منها: العهد الدولي الخاص



إساءة استخدام أجهزة فرض القانون والإدارات القضائية الأمريكية سلطاتها، منتهكةً حقوق الناس وحرياتهم، مؤكداً زيادة انتهاكها الحقوق المدنية بمقدار ٢٥٪ منذ عام ٢٠٠١م، مع عدم معاقبة المسؤولين المتهمين بالوحشية.

وتناول التقرير مشكلة التمييز العنصري التي تعانيها فئات السود والأقليات العرقية في التوظيف وأمكنة العمل، حتى أصبحت تعيش في فقر من دون تأمين صحي، وهو ما عرّضهم لصدور أحكام بالسجن ضدّهم أطول بكثير من البيض، إضافةً إلى التمييز الذي تتعرّض له النساء في الوظائف، وتضاؤل تمثيلهن في أجهزة الدولة، وكذلك سقوط الأطفال فريسةً للجرائم والإساءات، وتعرّض الفتيات لشبكات الجنس.

الانتهاكات الأمريكية في الخارج

وفي إطار الانتهاكات الأمريكية في الخارج، أكّد التقرير أن الولايات المتحدة الأمريكية تقوم بتعذيب السجناء في بلدان ومناطق أخرى؛ ففي مارس عام ٢٠١٣م أشار بن إيمرسون -المحقّق الخاص في الأمم المتحدة- في تقرير له إلى أن الرئيس الأمريكي السابق جورج بوش أذن لوكالة الاستخبارات المركزية (سي آي إيه)، في ١٧ سبتمبر ٢٠٠١م، بتشغيل برنامج الاعتقال السري الذي يسمح بإنشاء مرافق احتجاز سريّة على أراضي الدول الأخرى، تُعرف باسم (المواقع السوداء). وشهد البرنامج نقل مشتبه بهم في قضايا الإرهاب إلى سجون سرية في جميع أنحاء العالم من دون إجراءات قانونية، وتمّ استجوابهم وتعريضهم للتعذيب أحياناً.

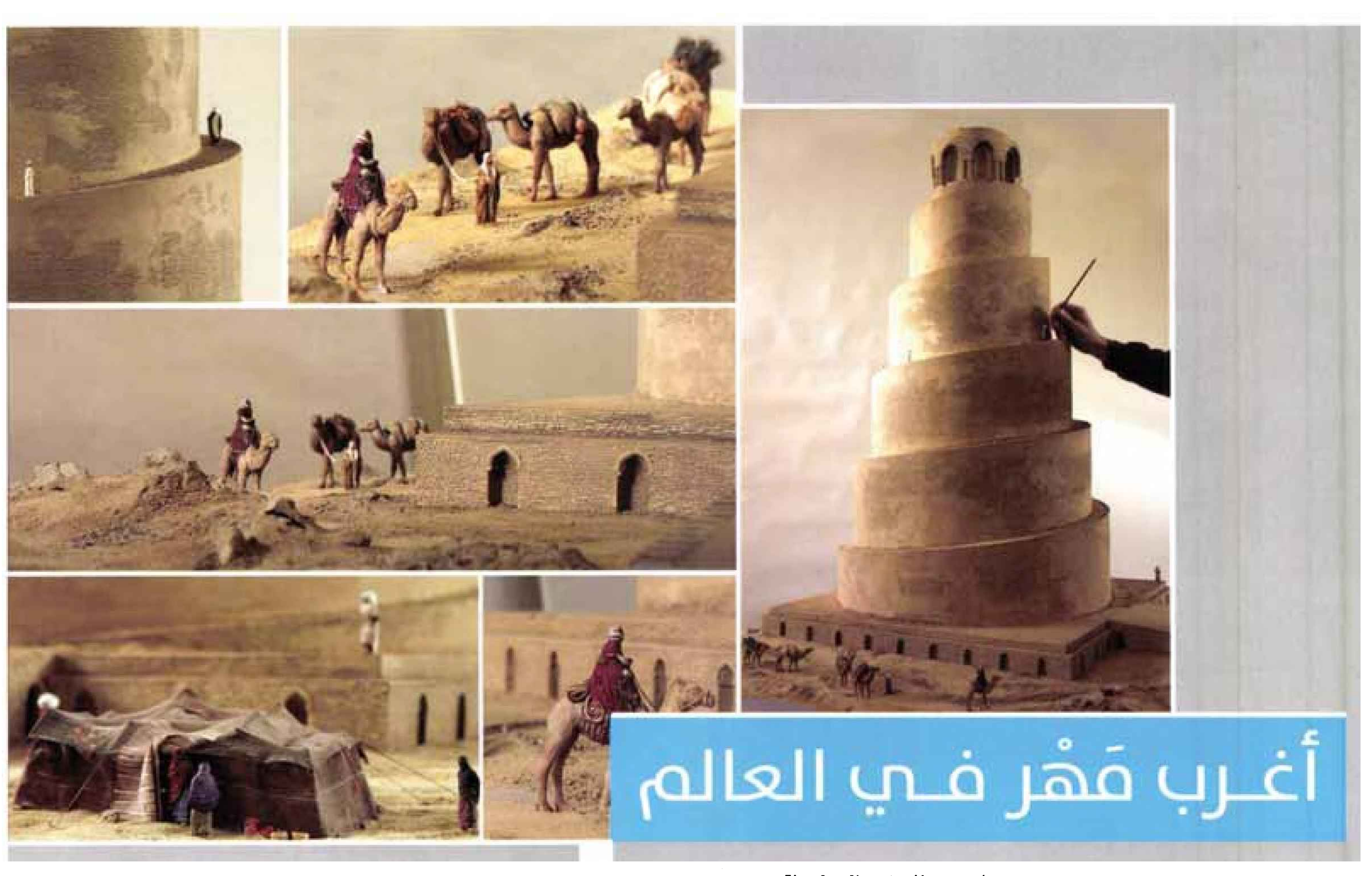
كما تناول التقرير الانتهاكات الصارخة لحقوق الإنسان في سجن جوانتانامو الشهير؛ إذ تمّ احتجاز بعض المعتقلين إلى أجل غير مسمى من دون تحقيق، وهو ما يعدّ اعتقالاً تعسفياً، ويشكّل خرقاً واضحاً للقانون الدولي، إضافةً إلى ما يمارس بحقّ المضربين عن الطعام من المعتقلين من إطعام قسري أدّى إلى إعلان مكتب الأمم المتحدة لحقوق الإنسان أن تغذية سجناء معتقل جوانتانامو بالقوة يعدّ خرقاً واضحاً للقانون. ووصف المفوّض السامي لحقوق الإنسان في الأمم المتحدة في مايو ٢٠١٣م سجن جوانتانامو بأنه حالة نموذجية لانتهاك حقوق الإنسان في سياق مكافحة الإرهاب.



بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، واتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة، واتفاقية حقوق الطفل، واتفاقية حقوق الأشخاص ذوي الإعاقة.

أكبر سجن في العالم

وصف تقرير مجلس الدولة الصيني الولايات المتحدة الأمريكية بأنها أكبر سجن في العالم؛ إذ تستأثر بأكبر عدد من المسجونين، الذين ارتفع عددهم في السنوات الثلاثين الماضية بنسبة ٥٠٠٪. وأشار التقرير إلى أن حقوق المواطنين الأمريكيين وحرّياتهم تتزايد تهميشاً، خصوصاً عند التطرّق إلى تقييد حقّ العاملين في الانضمام إلى الاتحادات، وهذا الأمر أدى إلى انخفاض العضوية بها بمقدار ٣٢٦ ألفاً في عام ٢٠٠٦م؛ أي: بنسبة ١٢٪ فقط من مجموعهم، وكذلك تصنّت بعض الشركات على موظفيها، ومراقبتها لهم بالكاميرات. وأوضح التقرير



أغـرب مَهْر فـي العالم

نعمان عبدالرزاق السامرائي - السعودية

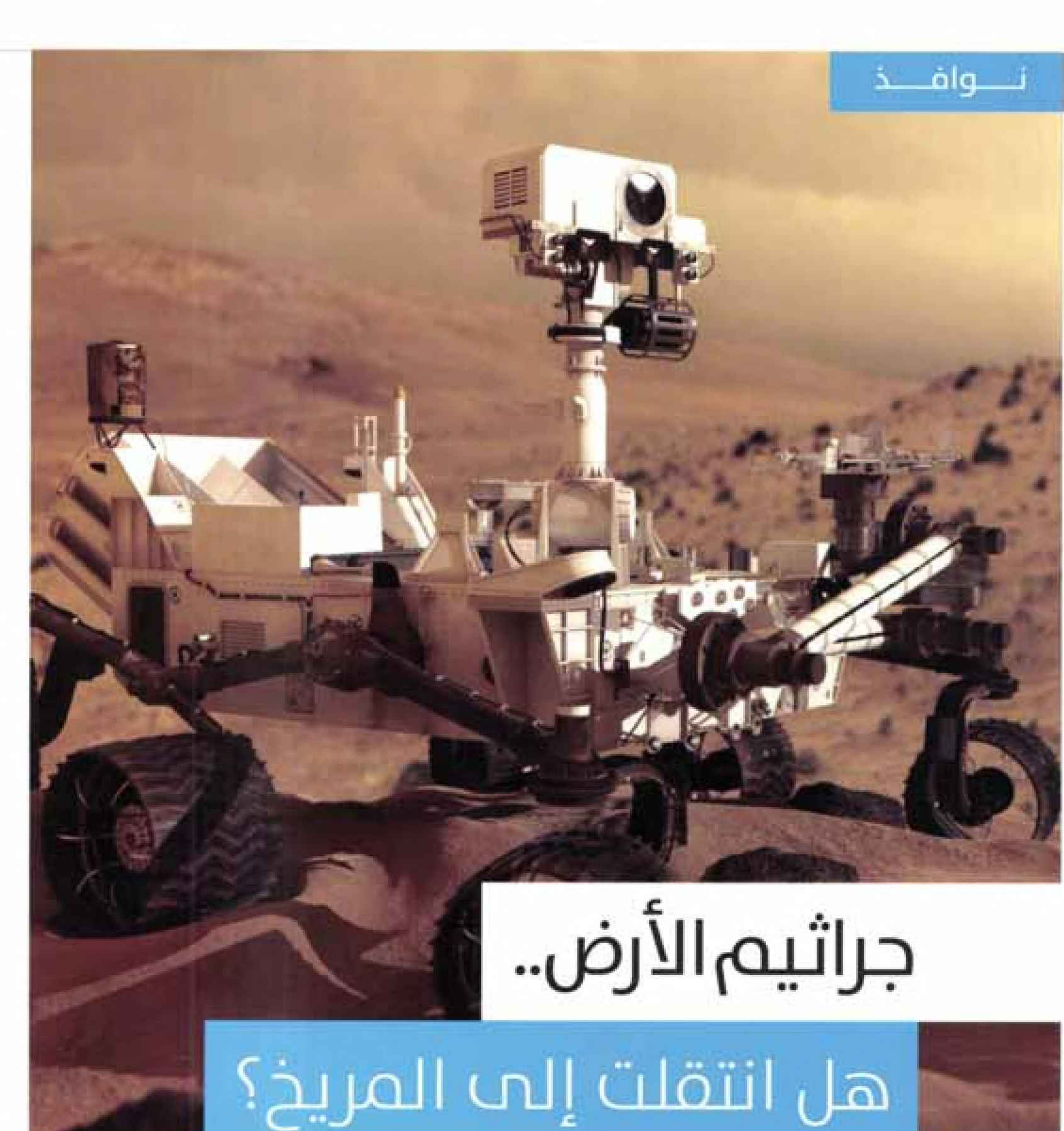
العالم؛ قديمه وحديثه، أديانه وسائر تشريعاته، اهتمّ برسم العلاقة بين الرجل والمرأة: مَن يجوز للرجل أن يتزوّج من النساء؟ ومَن لا يجوز؟ ومن يُقدّم المهر في تلك العقد: الرجل أم المرأة؟!.

في المجتمع اليهودي، جُعل المهر من مهمات المرأة؛ فكلما كانت غنيةً وجميلةً تزوّجت سريعاً، واليوم تقع إسرائيل في ورطة كبيرة، ربما لا مثيل لها في مجتمع آخر؛ فالشريعة اليهودية تعرّف اليهودي بأنه مَن كانت أمه يهودية، كأنها تتشكّك في النسب، وأن انتساب المولود إلى أمّه لا شك فيه، وفي انتسابه إلى أبيه موضع شك. وأفرز هذا الاتجاه أن المرأة اليهودية الفقيرة، قليلة الجمال، لا أحد يقترب منها في المجتمع اليهودي؛ لذا صار (الهروب) نحو مجتمع لا يطالبها بدفع (مهر) في مقابل حصولها على زوج فلسطيني أو مصري أو مسلم، وانتبه الإسرائيليون إلى أمر يعدّ (فاجعةً)؛ فاليهودية المتزوّجة من مسلم أو نصراني ابنها يهودي، واليهودي الذي يتزوّج من مسيحية؛ مثل (ابن رئيس الجمهورية بن جوريون، لا يمكن أن يكون يهودياً؛ لأن أمه إنجليزية مسيحية. ومن يتابع الموضوع لدى المسلمين يجد الرجل هو من يقدّم المهر، باستثناء المجتمع الهندي؛ فالمهر تقدّمه العروس إلى زوجها.

هذه المقدمة أسوقها لحادثة غريبة لم يعرف لها التاريخ مثيلاً، وهي أن أحد الخلفاء العباسيين كان يريد الزواج بامرأة جميلة، ومن عائلة ذات أصل وعلم، فرُشّحت له فتاة من قازان عاصمة جمهورية تتارستان. الحدث يعود إلى سنة ٢٩٠ للهجرة؛ أي: قبل ١١٤٥ سنة، وفي يوم جمعة، وشهد العقدَ جمعٌ كبيرٌ، حتى خلت الشوارع من المارّة، اجتمعوا ليشهدوا زواج فتاة اسمها (سومبك)، فتاة تجمع بين الجمال والأصل والعلم والتُّقى. كان الحاضرون يتطلّعون إلى المهر الذي سيقدمه الخليفة إلى ابنتهم، يفتتح الشيخ مجلس العقد، ويسأل الفتاة عما تريده من مهر لزواجها، ويأتي الجواب غريباً فريداً، لا سابقة لمثله، وربما لا لاحقة؛ فهي تقول: أريد رضا الله تعالى، ومهراً يرتقي إلى مرضاته تعالى، أريد بناء مئذنة مثل مئذنة المسجد الجامع التي بناها المتوكّل سنة ٢٣٧هـ في مدينة سامراء. وبالمناسبة، المئذنة لا تزال قائمةً، وترتفع ٥٢ متراً، ومساحة المسجد تبلغ ٣٨ ألف متر مربع، وما زالت جدرانه عامرةً، والطلوع إلى المئذنة (الملوية) يكون من الخارج، وبإمكان سيارة صغيرة الصعود. وتقوم المئذنة على قاعدة مربعة، يبلغ ضلع المربع ٣٢ متراً، والارتفاع ثلاثة أمتار، وفوق القاعدة خمس طبقات، كبراهن في الأسفل، ثم تقلّ المساحة كلما جرى الارتفاع، وتبلغ درجات المئذنة ٣٩٩ درجة، كان على المؤذن أن يرتقيها خمس مرات يومياً.

وعودةً إلى العروس سومبك، التي جعلت مهرها بناء مئذنة في قازان مشابهة لما هو موجود في سامراء؛ فالذي لا شك فيه أن العروس لم تزرها، لكنها سمعت بها، فطلبت أن تبني مثلها في بلدها؛ تطلباً لمهر لم يعرف التاريخ له مثيلاً. وبالمناسبة، فقد وُجدت في مصر، في مسجد ابن طولون، مئذنة مصغّرة لمئذنة سامراء، يكون الصعود إليها من الخارج، وفي شكل دائري خلافاً لعقارب الساعة.

حلم غريب ومهر أغرب، أليس كذلك؟!.



جراثيم الأرض..

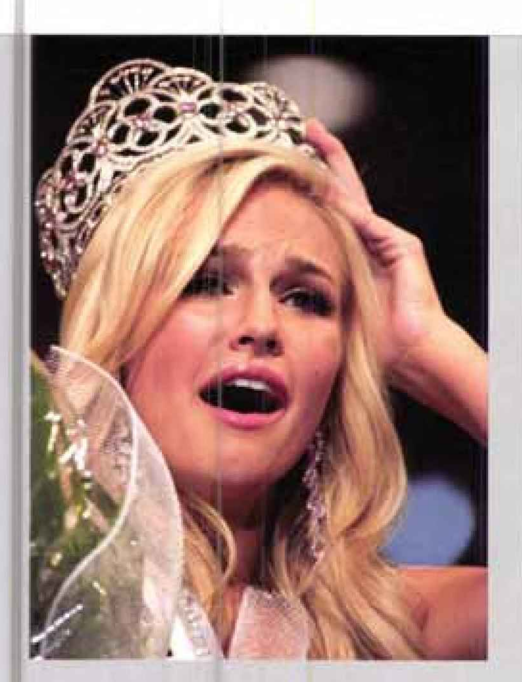
هل انتقلت إلى المريخ؟

يخشى علماء أمريكيون أن يكون مسبار المريخ (كيوريوسيتي) قد نقل جراثيم من الأرض إلى سطح الكوكب الأحمر عند هبوطه في أغسطس عام ٢٠١٢م. وقال هؤلاء العلماء في الملتقى السنوي للمجمع الأمريكي لعلم الأحياء الدقيقة: لا أحد يعلم يقيناً أكانت هناك جراثيم تنجو في أثناء تعقيم الأجهزة الفضائية قبل إطلاقها؛ لأن عدداً كبيراً من أصل ٣٧٧ نوعاً من الجراثيم قد يتحمّل درجات الحرارة العالية، وبعضها يتحمّل حتى الجرعات العالية من الإشعاع. وقال العالم جون روميل - من جامعة شرق كارولينا - هذه الدراسة قد تساعد العلماء على تسليط الضوء على بعض أنواع الجراثيم، واحتمال (غزوها) الفضاء.

ومن جهة أخرى، أكّدت وكالة ناسا أن حفرة بقطر أربعة كيلومترات على سطح المريخ ستمكّن دراستها العلماء من معرفة التاريخ الجيولوجي للكوكب الأحمر بعد أن التقط القمر الصناعي (نهضة المريخ)، الذي يدور حول الكوكب، صوراً لهذه الحفرة التي توجد في منطقة (مورث فاليس).

وقال خبراء ناسا: إن دراسة هذه الحفرة ربما يوفّر معلومات مهمة عن حقبة في تاريخ المريخ قد تؤكّد أن المياه كانت وافرةً في باطن الكوكب الأحمر، بينما تؤكد المعلومات الحديثة أن المياه قريبة من السطح.

كما أيّد بحث أمريكي متخصّص النتائج التي توصّلت إليها بعثات دراسة كوكب المريخ لإدارة ناسا حول وجود محيطات على سطح المريخ قبل مدة زمنية تراوح بين مليارين وأربعة مليارات سنة مضت. ويعتقد علماء أن وجود الماء في المريخ يجعل احتمال وجود حياة عليه عالياً؛ لذا دعا أحد روّاد الفضاء في وكالة ناسا الأمريكية إلى وجوب فرض قوانين وسياسات تضمن سلامة كوكب المريخ من أيّ نوع من الميكروبات أو البكتيريا التي قد تنتقل مع المركبات في رحلاتها الفضائية.



في أمريكا

فيروس يفضح ملكة جمال المراهقات

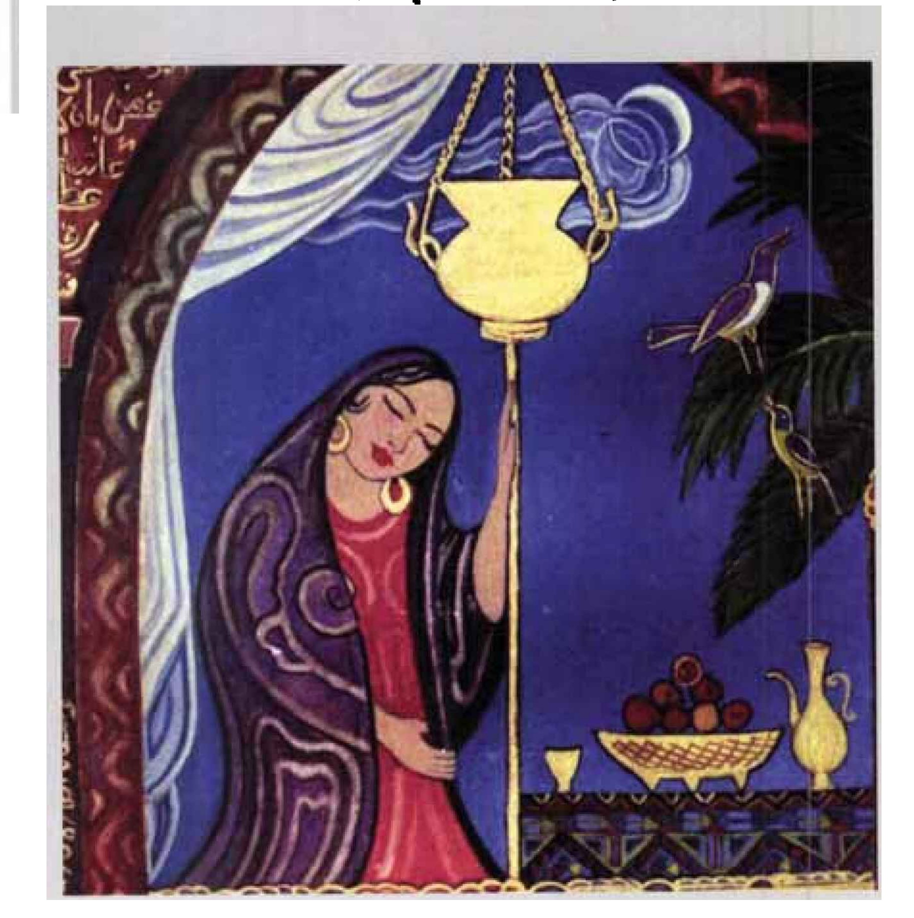
قام مكتب التحقيقات الفيدرالي، أو ما يُعرف بـ(FBI)، بالتعاون مع قوات الشرطة في ١٩ دولة متنوّعة بشنّ حملة على قراصنة إنترنت تسبّبت في القبض على ٩٠ منهم. وكانت كاسيدي وولف -ملكة جمال المراهقات في أمريكا- قد كشفت لـCNN أنها تفاجأت بتسلّمها رسالةً من قرصان أخبرها فيها بأنه يملك صوراً للحظاتها الحميمة والشخصية في غرفة نومها من خلال اختراق الكاميرا الموجودة بحاسوبها داخل الغرفة؛ إذ تمّ اكتشاف هذا الفيروس المزروع، وهو باسم (بلاكشايدن).

وبحسب مكتب المدّعي العام في نيويورك، فإنه تمّ شنّ حملة واسعة بعد تخطيط ومتابعة استمرا على مدى سنتين في سبيل الوصول إلى القراصنة، وضبطهم مع الأدلة، من دون أن يتسنّى لهم فرصة الهرب أو إتلاف هذه الأدلة. وأوضح مكتب المدعي العام أنه تمّ اعتقال قرصان سويدي، اسمه أليكس يوسيل، يعدّ مساعد مؤسّس هذا الفيروس.

«ألف ليلة وليلة» عربي وليس فارسياً

صدر كتاب جديد يؤكد مؤلفه أن (ألف ليلة وليلة) كتاب عربي أصيل، وليس فارسياً كما في رأي المؤرّخ العربي الشهير علي بن الحسين المسعودي في (مروج الذهب ومعادن الجوهر)، الذي أرجعه إلى كتاب اسمه: (هزار أفسانة)؛ أي: (ألف خرافة)، وقال: إنه تُرجم من الفارسية إلى العربية. كما أن الأمر -في رأي المؤلف- ليس كما قال ابن النديم (صاحب الفهرست)، الذي ردّه إلى كتاب سمّاه: (هزار أفسان)، ومعناه: (ألف خرافة)، كما يرفض تشكيك أبي حيان التوحيدي في الأصل العربي للكتاب.

وأوردت (العربية نت) رأي سامي مهدي مؤلّف كتاب (ألف ليلة وليلة: كتاب عراقي أصيل)، الذي يفنّد فيه آراء المشكّكين في أن الكتاب عربي؛ إذ يقول: «لو كان أصل الليالي أجنبياً فارسياً -على سبيل المثال- لكان أبطال قصصه الأساسيون من غير المسلمين، ولكانت المدن الإيرانية، وليست بغداد والبصرة والموصل والقاهرة ودمشق وحلب، هي مسرحه، ولغَدَتْ بيئته غير البيئة العباسية. ولوردت فيه أسماء الملوك الفرس، ولم يرد اسم الخليفة هارون الرشيد، وزوجه زبيدة، ووزيره جعفر، وخادمه مسرور. ولكن شيئاً من هذا لم يحدث، الأمر الذي يزيدني قناعةً بأن كتاب (هزار أفسانة) شيء، وكتاب (ألف ليلة وليلة) شيء آخر». وأضاف: «أخلص مما تقدّم من تفكيك نصّ المسعودي، ونصّ ابن النديم، إلى أن كتاب (ألف ليلة وليلة) كتاب آخر غير الذي تحدّثا عنه في نصّيهما، كتاب لم يُترجم عن كتاب (هزار أفسان)، وأبسط دليل على ذلك أن كتاب (هزار أفسان)، الذي رآه ابن النديم، يحتوي على ألف ليلة، ودون المتني سمر، في حين أن كتاب (ألف ليلة وليلة) لا يحتوي على هذا العدد من الليالي، حتى بعد ما أُقحم عليه من زيادات، بل يبدو أن نقص عدد لياليه عن الألف كان أحد أسباب إقحام هذه الزيادات عليه في الحقب اللاحقة».





سكان «حصن اقتلوا اليهود» بإسبانيا

يستفتون على الاسم

اسم قرية (كاستيلريلو ماتاجودايوس) الإسبانية الصغيرة يعني (حصن اقتلوا اليهود)، وقد أراد سكّانها أن يتحرّروا من بقايا الاضطهاد الديني الكاثوليكي الروماني الذي مُورس على اليهود منذ أكثر من ٤٠٠ عام بتغيير اسم القرية عبر استفتاء يشارك فيه السكان، الذين يبلغ عددهم ٥٦ شخصاً، معظمهم من كبار السن. وقاد حملة تغيير الاسم رئيس البلدية لورنزو رودريجيز. ووافق على التغيير ٢٩ شخصاً، في مقابل معارضة ١٩ شخصاً، بينما فضّل الباقون ترك بطاقات الاستفتاء بيضاء. أما الاسم الجديد، فهو كاستريلو موتا دي جوديوس، الذي يعني تلّ اليهود، ويُقال: إنه الاسم الأصلي بناءً على وثائق تاريخية.



شارك يهود البلاد العربية في الحياة الثقافية في بلدانهم، وأصدروا الصحف والمجلات، وكتبوا نتاجهم الأدبي باللغة العربية، وعالجوا قضايا ذات صلة مباشرة بمجتمعاتهم، عكست درجة ارتباطهم بها. ويمكن ذكر بعض الأمثلة على إسهام يهود البلاد العربية في النشاط الثقافي في بلدانهم الأصلية.

العراق

قدّم يهود العراق مساهمات كثيرة في ألوان الحياة الثقافية العراقية كافةً؛ من أدب، وفنون، وصحافة؛ إذ برزت شخصيات اجتماعية من الأدباء والفنّانين والمفكّرين: المتصوّف يوسف صالح الكبير صاحب عبارة: «الحقيقة أرض لا مسلك فيها»، والسيدة روزا داود شوحيط التي تزعّمت (حركة تيوصوفية- الحكمة الإلهية) في البصرة، كما برزت منهم نخبة، نذكر منها في الشعر الشخصيات الآتية:

الشاعر سيغفريد لورين ساسون (١٨٨٦- ١٩٦٧م) سليل أسرة داود ساسون، وقد تطوّع في الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤م، فمُنح رتبة ضابط، وحارب في الجبهة الفرنسية، وعاد جريحاً، فكتب شعراً يندّد بالعسكر، ويصف مآسي الجنود والقتال، لكنه عاد وشارك في الحرب في العام التالي (١٩١٥م) ذاهباً إلى فلسطين، قبل أن يعود إلى الجبهة الفرنسية ليُصاب من جديد ويعتزل الحرب، متفرّغاً لكتابة مذكّراته: (صياد ثعالب)، و(ضابط مشاة)، وقد أصدر عدة مجموعات شعرية[1].

أنور شاؤول

ومثّل الشاعر أنور شاؤول (١٩٠٤- ١٩٨٤م) أحد رموز الرومانسية الغائبة التي تركت فراغها لدى مؤرّخي المشهد الشعري العراقي بين مرحلتَيْه: التقليدية بين الإحياء والحساسية الجديدة (الحبوبي، والشبيبي، والكاظمي، مروراً بالنجفي، والزهاوي، والرصافي)، والحداثية (السيّاب، والملائكة،

النشاط الثقافي

ليهود بلاد الشام والرافدين



والبريكان)[٣]. وشاؤل من مواليد الحلّة، وسليل أسرة ساسون؛ أي: من أحفاد الشيخ أبي روبين ساسون بن صالح داود رئيس صيارفة ولاية بغداد في عهد الوالي سعيد باشا، وقد أرضعته في شهره السابع ابنة جارتهم الحلّية وضحة الملقّبة بأم عبدالهادي. انتقلت أسرته إلى بغداد وهو ابن عامين، فدرس فيها، ثم درّس في المدارس الأهلية (١٩٢٤- ١٩٢٥م)، قبل أن يتخرّج في كلية الحقوق عام ١٩٣١م[٣]. بدأ خطواته الشعرية عام ١٩٢١م، ونضج عام ١٩٢٥م، وكان محرّراً في صحيفة (المصباح)، التي أسّسها عام ١٩٢٤م صاحبها المحامي سلمان شينه، ونشر شاؤول فيها أول قصّة كتبها في حياته عام ١٩٢٧م، ووقّعها باسم (ابن السموأل)، ثم أسّس وأصدر مجلةً أسبوعيةً أدبيةً باسم (الحاصد) (١٩٢٩- ١٩٣٨م)، وزاول شاؤول المحاماة، ثم تخرّج ضابط احتياط في الجيش العراقي في الدورة العسكرية الثالثة (١٩٣٩م) على إثر صدور قانون الدفاع الوطني عام ١٩٣٤م، وأسّس دار طباعة باسم (شركة التجارة والطباعة) (١٩٤٥- ١٩٦٠م)، وزاول الترجمة الأدبية، إلى جانب إنتاجه أعمالاً في السرد والشعر، ومن مجموعاته القصصية: الحصاد الأول (١٩٣٠م)، وأربع قصص صحية (١٩٣٥م)، وقصص من الغرب (١٩٣٧م)، ثم أشرف على طباعة كتاب (ليل الصبّ) عام ١٩٥٠م. كما أصدر شاؤل مجموعته القصصية الأخيرة (في زحام المدينة) عام ١٩٥٥م، وأصدر مجموعته الشعرية الأولى (همسات الزمن) عام ١٩٥٦م، ثم دوّن خبرته في عالم الطباعة بكتاب (الطباعة وفنونها) عام ١٩٦٧م، قبل أن يُغادر العراق مُكرهاً عام ١٩٧١م إلى بريطانيا، ثم

إلى إسرائيل، ولم يطُل به المقام، فمات في بلدة كيرون -إحدى مدن تجمّع الجالية العراقية- بعدما كتب مذكّراته الموسومة بـ (قصة حياتي في وادي الرافدين) عام ١٩٨٠م، وصدرت عام ١٩٨٣م -أي: قبل وفاته بعام- مجموعته الشعرية الثانية (فجر جديد).

يقول شاؤول في رباعيته التي بعث بها إلى وزير الداخلية صالح عماش للإفراج عن مير بصري:

إن كـنـتُ مـن مـوسـى قبستُ عقيدتي
فـأنـا المـقـيـم بـظـلّ ديــن مـحـمّـد
وسمــاحـــة الإســـلام كـانـت موئلي
وبـلاغـــة الـــقـــرآن كــانــت مـــوردي
مـــا نـــال مـــن حـبّــي لأمّـــة أحـمـد
كَـوْنـي عـلـى ديـنِ الـكَـلِـيـم تعبُّدي
ســأظـلّ ذيّـــاكَ الـسـمـوأل فـي الـوفـا
أسـعـدتُ فـي بـغـداد أم لـم أسـعـد[1]

وقد دُعي الاثنان: بصري، وشاؤول، في العام نفسه، في أواخر شهر إبريل عام ١٩٦٩م، إلى مؤتمر الأدباء العرب الذي أقيم ببغداد، وألقى شاؤول قصيدةً في قاعة الخلد بحضور الجواهري ونزار قباني، قال فيها:

قـلـبـي بـحـبّ بـنـي الـعـروبـة يخفقُ
وفـمـي بـضـادهـمـو يـشـيـد ويـنـطـقُ
أولـســتُ مـنـهـم مَـنْـبـتـاً وأرومـــةً
قـد ضمّنا المـاضـي البعيد الأوثـقُ
إذ خـطّ فـي سِـفْـرِ الـوفـاء سمـوألٌ
أمــثـولــةً عـربـيــةً والأبْـــلَـــقُ
والـيـــوم نحـــو المـجـد نـقـطـع دربـنـا
وإلـى الـغـد الـهـانـي معاً نـتـشـوّقُ[2]

مراد ميخائيل

ومثّل الشاعر مراد ميخائيل (١٩٠٦- ١٩٨٦م) مرحلةً انتقاليةً في المشهد الشعري العراقي، شهدت ظهور محاولات تجريب رائدة وملهمة لمراحل لاحقة، ونشر شعره عام ١٩٢٦م باسم مستعار (نزيل الشرقاط) في مجلة (الحرية) لصاحبها رفائيل بطي، كما نشر مجموعتيه الشعريتين في تلك المدة: المروج والصحارى (١٩٣١م)، ودموع الأسى (١٩٣٣م)، ثم سافر إلى إيران؛ ليكون مدير المدرسة التي افتتحها العراقيون في طهران عام ١٩٤٧م. وقد استحسن الرصافي ما نشره ميخائيل من شعر في صحيفة (المصباح) آنذاك. وبقيت قصائده تتنوّع بين الشكلين الشعريين: المُرسل في رومانسيته العذبة، وغنائيته العالية، والمنثور في مزاجه الكئيب والحسّ الابتهالي، وهو ما تمثّل في قصائد تداخل فيها الرثاء والتأبين للحياة قبل أن يخصّها لشخصيات عراقية يهودية عامة، فشعره ينطوي على ذات يبقى الهناء لديها سريع النفاد، ومردّ ذلك شعورها الاغترابي، وهو ما كانت عليه شخصية الشاعر العربي في الاتجاه الرومانسي بين احتفاء صارخ الحسّيّة بالحياة، لكنه نادم يحمل عقدة الذنب (علي محمود طه، وإلياس أبو شبكة)، وسخط على القدر بروح عذريّة (إبراهيم ناجي، وأبو القاسم الشابي).

مير بصري

ولعلّ مير شلومو حاي بن شاؤل بن بصلئيل الشاعر الأبرز، وهو ينتمي إلى أسرة آل عوبديا (عوض بالعربية)، التي اشتهر رجالاتها في الخدمة الدينية، ووالدته من عائلة (دنكور) المعروفة برجال الدين والتجارة، وقد أسّس والدها الحاخام عزرا روبين مطبعةً باللغتين العربية والعبرية عام ١٩٠٢م، وصار حاخاماً أكبر للطائفة في بغداد. من هاتين العائلتين وُلد من سيُعرف باسم (مير بصري) في بغداد، ودرس في مدرسة التعاون، ثم الأليانس، وتخرّج عام ١٩٢٨م، وتتلمذ في اللغة العبرية على يد إسحق بونفيس، وتعمّق في الاقتصاد والآداب العالمية، ولازم الأب أنستاس الكرملي، وتعلّم على أيدي مجموعة كبيرة من الأساتذة؛ مثل: اللغوي مصطفى جواد، والمؤرّخ عباس العزاوي، ومحمود الملاح الذي درّسه عروض الشعر العربي. عمل بصري في وزارة الخارجية العراقية في أعمال السكرتارية وإدارة التشريفات (١٩٢٨م)، وفي هذه المدة نشر في صحيفة (النهضة العراقية) قصيدة (الحرية)، ومن بعدها واصل النشر في المجلات الأدبية غير العراقية أيضاً: اللبنانية، والمصرية، والسورية، وتولّى تحرير صحيفة (الدليل) لصاحبها خاله إلياهو عزرا دنكور، ونشر مقالات في الاقتصاد والاجتماع. أُوفد إلى باريس معاوناً لمفوّض العراق العام في معرضها الدولي عام ١٩٣٧م، وتولّى تحرير مجلة (غرفة تجارة بغداد) (١٩٣٨- ١٩٤٥م)، وانتخب عضواً في (نادي القلم العراقي) عام ١٩٤٢م، وأُوفد عضواً في الوفد العراقي إلى مؤتمر التجارة العالمي في نيويورك عام ١٩٤٥م، والتقى هناك إيليا أبو ماضي، وزاره في مطبعته المكوّنة من غرفتين في بروكلين حيث يصدر صحيفة (السمير)، وساعده

تقليد مسطح

أغلبية الأهازيج والأناشيد الدينية، فيما يسمى الأدب الصهيوني أو اليهودي، هو تقليد مسطّح للموروث العربي الأدبي، وهو ما أشار إليه الباحث الصهيوني إسحاق أبيشور، الأستاذ في الجامعة العبرية في كتابه (أشعار زيارة القبور المقدسة)، الذي صدر عام ١٩٨٢م في القدس؛ فقد أورد الكاتب مجموعةً من الأهازيج التي كان اليهود يقرؤونها في أثناء حجّهم إلى الأمكنة التي يقدّسونها، وتتميّز هذه الأهازيج بعدة صفات، هي: أن معظم النصوص الواردة في الكتاب باللهجة العامية العراقية، وكُتبت باللغة العبرية، وهذا الأمر دليل على عملية السطو التراثي والأدبي، إضافةً إلى أن جميع هذه الأهازيج عربية بالأصل حُوّلت شخوصها لتخدم التوجّه اليهودي، لكنها ظلّت عربية المنطوق عبرية الكتابة، كما أن بدايات هذه الأعمال وأعمارها تعود إلى مئات السنين كما يقول الحاخام شريرا جؤون، إلى جانب أن أسماء المؤلفين مُغفلة.

على مقاضاة من طبع دواوينه في النجف، وغنّى قصائده في القاهرة من دون اتّفاق معه. تابع بصري نشر كتاباته وأشعاره، فنشر (ملحمة نهاية الأبطال) في مجلة (الكاتب المصري) عام ١٩٤٦م، وصدر له عن مطبعة صديقه الشاعر أنور شاؤول كتاب (مباحث في الاقتصاد العراقي) عام ١٩٤٨م، وانتُخب زميلاً في (الجمعية الآسيوية الملكية) في لندن عام ١٩٥٠م، وبعد عام ١٩٥٣م انصرف إلى الأعمال الحرّة، والتفرّغ للكتابة في عدة حقول ثقافية، وأصدر مجموعةً قصصيةً بعنوان (رجال وظلال) عام ١٩٥٥م، وبعد عامين نشر قصيدة (فتاة من بغداد) في مجلة (الأديب) البيروتية، كما نشر مقاطع من ملحمة (مواكب العصور) في عدة صحف لبنانية وبغدادية في عامي ١٩٦٦ و١٩٦٧م. وخدم بصري الطائفة اليهودية، خصوصاً في حرب عام ١٩٦٧م، وراجع السلطات العراقية لإنقاذ المعتقلين والمعتقلات من التعذيب والإعدام، وطالب بإعادة الحقوق المدنية المسلوبة، ومنحهم حق العمل والسفر بجوازات سفر عراقية رسمية، ودافع عن حقوقهم في الصحف والمجلات العراقية والأجنبية، ولم يتنازل عن دوره على الرغم من اعتقاله أو منحه نوط (مهرجان المربد) عام ١٩٧١م.

بعد وفاة الحاخام ساسون خضوري ترأس بصري الطائفة الموسوية بالنيابة (١٩٧١- ١٩٧٤م)، متابعاً خدماته بالتنسيق مع القنصل البريطاني، الذي كان يباشر أعماله في مكتب ملحق بالسفارة السويدية؛ لتأزّم العلاقات البريطانية العراقية في تلك الحقبة؛ فقد كان القنصل يزور بصري في دار الطائفة اليهودية، ويسلّمه استمارات دخول بريطانيا؛ بسبب خشية العراقيين اليهود من مراجعة القنصلية، أو أيّ سفارة أجنبية؛ لكيلا يتعرّضوا للاعتقال والتحقيق والتعذيب. وبعد عام ١٩٧٤م فكّر بصري في الهجرة إلى بريطانيا؛ لاستحالة الحياة في العراق، ليس على الطائفة اليهودية فحسب، بل أيضاً كان ثمة حصار على الطوائف والإثنيات الأخرى من المندائية (الصابئة)، واليزيدية، والمسيحية (الآشورية)، والأكراد، والتركمان، وغيرهم.

وحقّق الشاعر إبراهيم عوبديا، أو إبراهيم عوض (١٩٢٤- ٢٠٠٧م)، كثيراً من الحضور والشهرة في الثقافة العربية بالعراق، ليس فقط لكونه شاعراً رومانسياً يشكّل اسماً بارزاً بين أسماء المرحلة الأخيرة من تلك الرومانسية مع شعر أقرانه: نازك الملائكة، وبلند الحيدري، وحسين مردان، وبدر شاكر السيّاب، ومحمود البريكان، بل لأن شعره الغنائي (خفقات قلب، ووابل وطلّ، وفي سكون الليل، وهي دواوين منشورة بين عامي ١٩٤٥ و١٩٤٩م)، مرّ بمنعطف في المضمون على الرغم من احتفاظه بالشكل التقليدي، كما تميّز شعره بتشخيص الموضوع في الانتقاد السياسي.

وُلد عوبديا في بغداد لتاجر أخشاب لصنع الأثاث، ثم انتقل إلى البصرة، ودرس في مدارس الطائفة هناك، قبل أن يعود إلى بغداد عام ١٩٤٠م ملتحقاً بالثانوية لإكمال تعلميه وهو يعمل في التجارة. وقد نشر قصائده في معظم المجلات العربية الثقافية المرموقة آنذاك، مثل: (الأديب) لألبير أديب في لبنان، و(الثقافة) لأحمد أمين، و(الكاتب المصري) لطه حسين، و(الكتاب) لعادل غضبان في مصر، و(الأمانة والعرفان) في سورية، ومجلة (الثريا) في تونس. كما نشر دواوينه الشعرية بين بغداد والقاهرة، وهي: خفقات قلب (١٩٤٥م، مطبعة الرشيد- بغداد)، ووابلٌ وطلٌّ (١٩٤٦م، مطبعة الرشيد- بغداد)، وفي سكون الليل (١٩٤٧م، مطبعة الاعتماد- القاهرة). وتحوّل عوبديا شاعراً نجماً تحتلّ أغلفة كتبه واجهة المكتبات في شارع الرشيد آنذاك، وتُعلّق

أنور شاؤول أحد رموز الرومانسية الغائبة التي تركت فراغها لدى مؤرّخي المشهد الشعري العراقي بين مرحلتَيْه: التقليدية، والحداثية

تواصل ثقافي

ارتبط أنور شاؤول بعلاقات ثقافية مهمة، أبرزها علاقته بالشاعرين: الزهاوي، والرصافي؛ إذ شارك في مجالسهما الأدبية ببيوتهما ومقاهيهما المفضّلة. وحفظ شعر شاؤول الكثير من تواصله مع رموز الثقافة العربية في مناسبات مختلفة؛ فقد شارك بقصائده في تكريم العلامة عبدالعزيز الثعالبي، وكتب قصيدة (ورود من ليلى المريضة في العراق) في حفل تكريم الأديب زكي مبارك، كما رثى الزعيم سعد زغلول، ورئيس الوزراء العراقي المنتحر عبدالمحسن السعدون (١٨٨٩- ١٩٢٩م)، والزعيم السوري إبراهيم هنانو (١٨٦٩- ١٩٣٥م). وعلى الرغم من هذا الشعور الإنساني الكبير لدى شاعرنا في مناصرة قضايا التحرّر العربي لم تعش الطائفة اليهودية في بغداد هانئةً خلال حقبة صراعات السلطة بين النخب العسكرية، وعندما اعتُقل الأديب والاقتصادي مير بصري عام ١٩٦٩م، وكان يرأس (اللجنة الإدارية لليهود العراقيين)، التابعة لـ(المجلس الجسماني الإسرائيلي) منذ عام ١٩٦٧م، توجّه أنور شاؤول إلى طلب وساطة اللغوي مصطفى جواد، الذي اعتذر تخوّفاً؛ فلم يقف شاؤول مكتوف اليدين، بل بعث إلى وزير الداخلية صالح عماش برباعية شعرية أعجبته كثيراً، وأشار بنشرها في صحيفة (الجمهورية)، وكانت سبباً في الإفراج عن مير بصري.

صوره في واجهة محلّ المصوّر أرشاك أحد أشهر المصوّرين في بغداد وهو يشرب سيجاره ساهماً على غرار موضة صور شعراء تلك الحقبة. لجأ عوبديا إلى طهران في أواخر الأربعينيات بعد أحداث (محنة الفرهود)، وفي إيران أحبّ بائعة هوى عرّفه إليها أخوه جورج عوبديا، الذي كان من كبار مخرجي الأفلام السينمائية في إيران ثم إسرائيل لاحقاً، وخلّد هذا الحبّ في مجموعته الشعرية (زهرة في خريف) عام ١٩٥٠م، مطبعة الرشيد- بغداد. هذا الحبّ العاثر جعله يكتب ملحمة غرامه وعذابه على غرار ما كان لإبراهيم ناجي (١٨٩٨- ١٩٥٣م) في (الأطلال)، في ديوان (ليالي القاهرة) عام ١٩٤٣م، التي كتبها عن حبّه زوزو حمدي الحكيم، وإلياس أبو شبكة (١٩٠٣- ١٩٤٧م) في (غلواء) في ديوان (أفاعي الفردوس)، التي كتبها عن حبّه أولغا. ويعلّق الناقد شموئيل موريه على ذلك قائلاً: «وهو في تجربته يشبههما في ندمه من الخطيئة والشهوة، وتمزّقه بينها وبين الحبّ الطاهر وعذريته»[٦].

وانحصرت موضوعات القصائد في عدة أغراض، هي: قصيدة تُنشد عند زيارة اليهود العراقيين الأمكنة المقدسة في فلسطين، وقصيدة خاصة بزيارة قبر النبي حزقيال (ذي الكفل) القريب من مدينة الكوفة في العراق، وقصيدة قصصية تبجّل حزقيال مطلعها: «يا نبي، يا نبي»، وقصيدة تحكي مآثر النبي عزرا، مطلعها: «حلو حلو هالسوفر»، وقصيدة مطلعها: «آه منك، آه منك»، وهو شعر تشكّ ودعاء تردّده المرأة ضد زوجها، وقصيدة مطلعها: «يا زوار، يا زوار»، وهو شعر دعاء لإبعاد اللصوص وسارقي اللحم المقدّم أضاحي على قبر حزقيال، وقصيدة مطلعها: «زنجولا خوش زنجولا، زيارتكم مقبولة»، وهي مرتبطة ببداية كلّ زيارة، وقصيدة مطلعها: «والمايزوره اليعازر عمره خسارة»، وهي لحثّ اليهود وغير اليهود على زيارة قبر عزرا في البصرة.

ويشير الكاتب إسحاق أبيشور إلى مميزات هذه الأشعار، والخيوط التي تربطها، فيقول: «أ- أشعار تصلح لكلّ زمان ومكان كما يعتقد اليهود. ب- أشعار خفيفة، وسهلة الحفظ، وأسلوبها قصصي سريع الفهم. ج- اللغة مشوشة، وهي أقرب إلى العامية العراقية». وتأخذ تلك الأهازيج منحيين: الأول دعوات ضد (الغوييم)؛ أي: الأغيار، غير اليهود، وهم هنا العرب، والثاني مديح للذات اليهودية، وتضخيم لها، مع أنهم كانوا يعيشون في تلك الحقبة على هامش المجتمع العربي، ويبدو الحقد واضحاً في بعض الأهازيج، ومبطّناً في أخرى، لكنه واضح الدلالة أيضاً[٧].

القصة والمسرح

في المجالات الأدبية الأخرى، برز القاصّ شالوم درويش صاحب مجموعات: (أحرار وعبيد)، و(بعض الناس)، و(بيضة الديك)، ويعقوب بلبول مؤلّف (الجمرة الأولى)، ونوري زلخة صاحب (صور من الحياة)، وسيلفيا حاييم التي أنجزت أطروحتها حول المفكّر عبدالرحمن الكواكبي، ونسيم داود الذي ترجم القرآن و(ألف ليلة وليلة) إلى الإنجليزية، والسيدة مليحة إسحيق صاحبة صالون ثقافي في بغداد كان يحضره شعراء وصحفيون، ومثيلتها المطربة سليمة مراد صاحبة صالون ثقافي وسياسي لم تغب عنه أبرز وجوه المجتمع العراقي[٨].

ومنذ العشرينيات برز عدد من اليهود في الفنّ المسرحي العراقي، وأنشئت بعض الفرق التي قدّمت عروضها بالعربية، إلا أن معظم تلك الفرق لم تعمر طويلاً. ومن جانب آخر، برع عدد كبير من اليهود في حقل الموسيقا[٩]، منهم المغنّي محمد القبانجي الذي زار القاهرة للمشاركة في مؤتمر الموسيقا العربية عام ١٩٣٢م. وواصل بعض هؤلاء العازفين الدراسة العلمية الموسيقية على يد الأخوين صالح وداود الكويتي، وهما من يهود الكويت أبناء عزرا، وقد افتتحا معهداً موسيقياً نهاية العشرينيات بعدما استقرّا في بغداد، وقد صاحبا المغني عبداللطيف الكويتي في معظم تسجيلاته وأسفاره منذ عام ١٩٢٧م[١٠].

أدباء سورية

برز في سورية الأديب اليهودي أمنون شاموش، وهو روائي وكاتب قصة قصيرة وشاعر. وُلد في مدينة حلب عام ١٩٢٩م، وهاجر إلى تلّ أبيب بعد وفاة أبيه، وبعد أن أُشيع عن اضطرابات ستقع لليهود في عموم سورية، وكان عمره حينئذ تسعة أعوام. وتمثّل هذه الأعوام التسعة العنصر الأساسي في سيرته الأدبية؛ فقد درس الأدب العبري والإنجليزي في

مير بصري في المنفى

تفرّغ مير بصري في منفاه لتذكّر العراق، وتخليد تلك الذكرى بعدة مؤلفات تخصّصت في التراجم، منها: أعلام اليهود في العراق (١٩٨٢م)، وأعلام اليقظة الفكرية في العراق الحديث (١٩٨٣م)، وأعلام السياسة في العراق الحديث (١٩٨٧م)، وأعلام الكرد (١٩٩١م)، ونشر ديوان شعر بعنوان: (أغاني الحبّ والخلود) عام ١٩٩١م، ثم أصدر كتابه (أعلام الأدب العراقي الحديث- ٣ مجلدات) عام ١٩٩٤م، وأضاف ملحقاً عن الطائفة الإسرائيلية (الموسوية) العراقية في القرن العشرين عندما أُعيد نشر كتاب (تحفة المشتاق في تاريخ يهود العراق) ليوسف غنيمة عام ١٩٩٧م. وكذلك نُشرت له مجموعة قصصية ثانية بعنوان: (نفوس ظامئة) عام ١٩٩٨م، و(أعلام التركمان والأدب التركي في العراق الحديث)، و(أعلام الوطنية والقومية العربية) عام ١٩٩٩م.



الجامعة العبرية في القدس، وتخرّج فيها. أتقن شاموش اللغات: العربية، والإنجليزية، والفرنسية، والإسبانية، فساعدت على توسيع مساحة ثقافته العالمية. بدأ شاموش الكتابة في سنّ الأربعين، وهي سنّ متأخرة نسبياً في الكتابة، لكنه مع ذلك كان غزير الإنتاج الأدبي، ومن كتاباته: (يوميا)، وهي قصة طويلة للأطفال والأحداث صدرت عام ١٩٦٩م، و(أختي عروس)، وهي مجموعة قصصية صدرت عام ١٩٧٤م، و(ميشيل عزرا سفرا وأبناؤه)، وهي رواية صدرت عام ١٩٧٨م، و(القصبة والقرفة)، وهي مجموعة قصصية صدرت عام ١٩٧٩م، و(قبوص هولبنان قبوص)، وهي مجموعة قصصية ومسرحية صدرت عام ١٩٨٠م، و(معي من لبنان)، وهي مجموعة قصصية صدرت عام ١٩٨٠م، و(ديوان سفاردي)، وهي مجموعة قصائد وأشعار صدرت عام ١٩٨١م.

ويعدّ شاموش من أبرز كتّاب الموجة الجديدة للكتّاب الشرقيين الذين أضافوا لوناً أدبياً جديداً للأدب العبري، ونجح في نقل شذى العطر الشرقي إلى القارئ العبري في فلسطين من خلال قصصه الحلبية التي أثار ظهورها صدًى جماهيرياً واسعاً فاجأ وأذهل أمنون شاموش نفسه[11].

ولا يعرف القارئ العربي من هو موسى عبادي، ولا كتابه (الملكة والخطّاط) الموضوع بالفرنسية، والحاصل على جائزة الأكاديمية الفرنسية عام ١٩٩٣م، لكن قراءة الكتاب بترجمته العربية تجلو موهبةً فذةً يتمتع بها هذا المؤلف السوري اليهودي الأصل (توفي عام ١٩٩٧م)، الذي ترعرع في حارة اليهود في دمشق، قبل أن ينتقل إلى باريس للدراسة في جامعة السوربون. تفاجئنا في الكتاب نزعته إلى التهكم التي تذكّرنا بجوجول أبي القصة الروسية، وبصور البؤس البشري والفكري والديني التي كانت تعيشه حارة اليهود في المدة الفاصلة بين أفول السلطة العثمانية وبداية الانتداب الفرنسي، ويفاجئنا حنين موسى عبادي إلى أمكنة صباه في الشرق على الرغم من بساطة الحياة فيها، وعفوية ناسها. ولا يخلو التشابه بين اليهودي والديك من توجّس عند اليهودي، ولعله من طبائع الأقليات باختلاف ألوانها دينياً أو عرقياً؛ فقد عبّر عبادي في بعض الأحيان عن هذا الشعور بالتمييز الذي كان يلمسه سكّان الحارة اليهودية حينما روى أنه في بعض القرى السورية كان رأس اليهودي يساوي أقلّ بكثير من رأس ديك مخصيّ، أو حين يهزأ من كون صوت النائب اليهودي (الوحيد) في المجلس النيابي السوري يعادل صوت أيّ نائب آخر. هذا الإحساس بالغبن ليس موضوع الكتاب أو ميزته، بل ما يجذبنا إليه هو صوت الكاتب المتهكّم الساخر الذي يختار لقصصه أكثر اللحظات الاجتماعية طرافةً، أو قُلْ: أكثرها مأساويةً إذا أزال القارئ طابعها الكوميدي عنها.

حارة يهود مختلفة

ومثّلت حارة اليهود في دمشق -كما تقدّمها ذاكرة الكاتب وعينه- فكرةً نقيضةً، أو صورةً مضادةً، لما سبق أن كوّنها القارئ العربي عن الغيتو اليهودي المعروف في الغرب؛ فنحن هنا بإزاء حارة مثل سائر حارات دمشق، وإن تمتّعت بمواصفات أو خاصيات دينية معينة؛ فهي لا تختلف بهذه الخاصيات عن سواها، إنما هي تمدّ في مسارات العمل والمعاش والتجارة، وفي فضاء أوقات الفراغ، جسوراً متينةً مع محيط الحارات الأخرى، ويجمعها معها مصير واحد؛ إذ لم تكُنْ بمنأى عن مجازر الفرنسيين الذين كانوا يطاردون الثوار السوريين عام ١٩٢٥م. وليست حارة اليهود الدمشقية مُؤلّفةً من فئة (البارونات) أو (الكونتات)، إنما هي صورة عن سائر الحارات والجماعات الشعبية الأخرى في تلك الأزمنة حيث تتماثل نظرة الناس إلى الأخلاق والعادات والأعراف، وحيث تتفشّى الأمية، فينتظر أهل رفول شولا، الذي هاجر إلى أمريكا اللاتينية، (القارئ الجوال) ليقرأ رسائل ابنهم، ويبشّرهم بالنعيم الذي يتخيّلونه، وحيث تتماهى لدى الجميع حالات التطيّر والتفاؤل والاستسلام لمشيئة الغيب؛ فالعناصر الشعبية والحضارية والثقافية في حارة اليهود -كما يجلوها موسى عبادي- تتواشج مع سواها من عناصر المجتمعات السورية المجاورة لها، والمندرجة في فضاء حضاري واحد[1].

(١) انظر الموقع: http://www.nobles-news.com

بقيت قصائد مراد ميخائيل تتنوّع بين الشكلين الشعريين: المُرسل في رومانسيته العذبة وغنائيته العالية، والمنثور في مزاجه الكئيب والحسّ الابتهالي

المراجع

(١) أحمد الواصل، شعراؤنا العرب اليهود، الحلقة ١ من ٢، مجلة (الغاوون)، بيروت، العدد ٣، ١ مايو ٢٠٠٨م، على الموقع: http://www.alghawoon.com/

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق.

(٥) المرجع السابق.

(٦) أحمد الواصل، شعراؤنا العرب اليهود، الحلقة ٢ من ٢، مجلة (الغاوون)، بيروت، العدد ٤، يونيو ٢٠٠٨م، على الموقع: http://www.alghawoon.com/

(٧) الموساد ويهود العراق، إعداد وترجمة: جودت السعد، الأردن، ٨ نوفمبر ٢٠٠٩م، موقع ديوان العرب: http://www.diwanalarab.com

(٨) أحمد الواصل، مرجع سابق.

(٩) Cohen, Hayyim J. "the Jews of the Middle East, 1860-1972, New Jeresy, Universities Press,1973.p118.

(١٠) أحمد الواصل، مرجع سابق.

(١١) فكري العيسى، ومازن لطيف، أدب اليهود العراقيين وثقافتهم في العصر الحديث، ١١ مايو ٢٠٠٩م، على الموقع: http://www.ana-news.info

خالد شحاتة | مصر



مورجان فريمان في فلم (لايقهر)

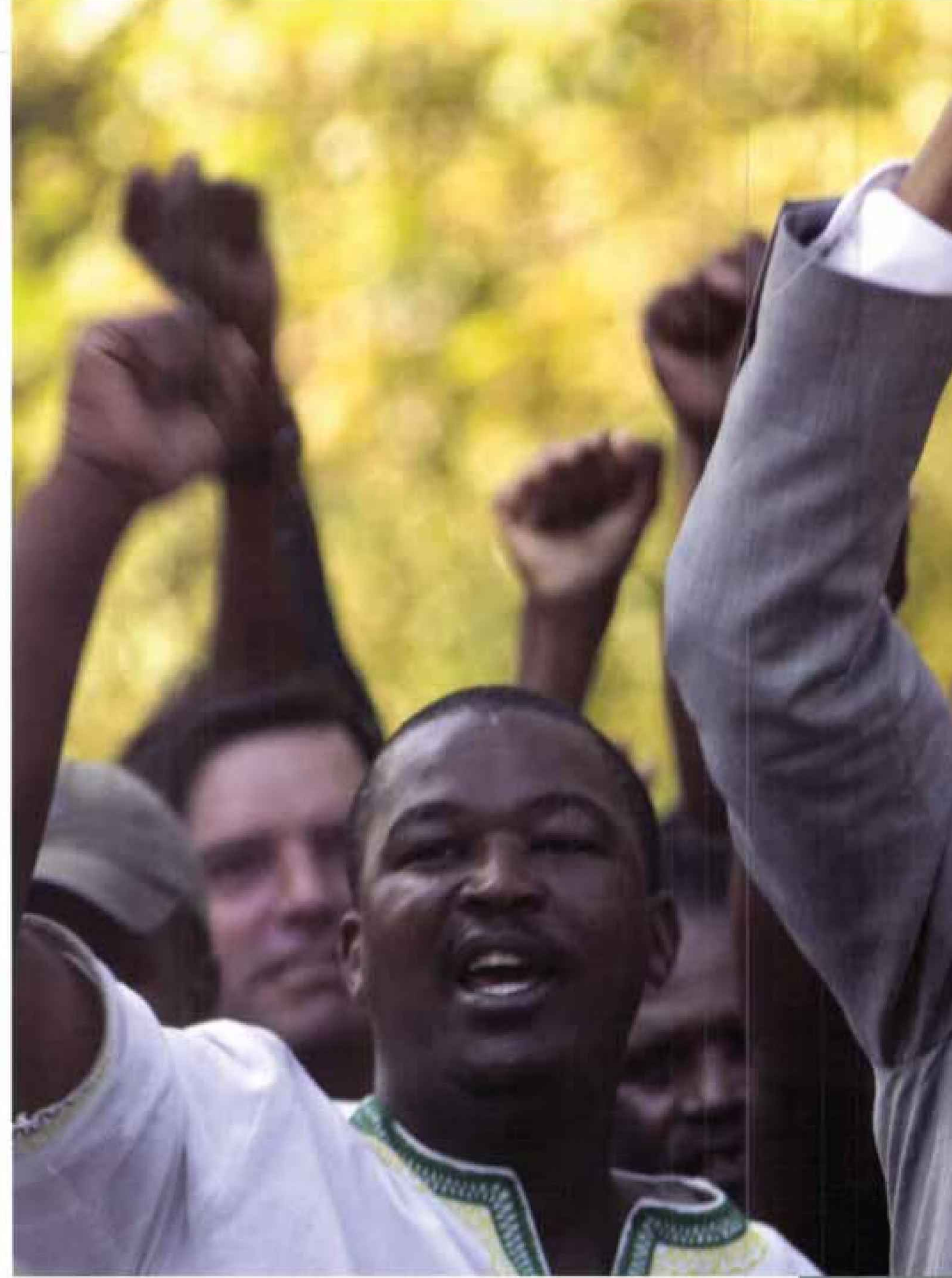
سينما جنوب إفريقية:
قضايا وأبـعاد

على هامش مهرجان الأقصر الدولي للسينما، في دورته الثالثة التي عُقدت في مارس ٢٠١٤م بمدينة الأقصر في صعيد مصر، أُقيمت ندوة بعنوان: (السينما في جنوب إفريقية)، وهو عنوان كتاب الدكتور مارتن بيتروس، الذي ناقشته الندوة بحضور المؤلف، والفنانة عزة الحسيني، والفنانة والكاتبة نورا أمين، والفنان والأكاديمي فاروق الرشيدي الأستاذ في معهد السينما.

وأشار بيتروس إلى أن السينما في جنوب إفريقية نشأت لمساندة نظام التفرقة العنصرية، وفي المقابل لم يكن السود يمتلكون أموالاً لإنشاء سينما خاصة بهم تعبّر عن قضاياهم ومشكلاتهم. وأوضح بيتروس سيطرة شركات الإنتاج والتوزيع الأمريكية على سوق الأفلام في جنوب إفريقية، بينما لا يمثّل الفلم الجنوب إفريقي سوى نسبة ١٪ فقط. وهي ظاهرة كارثية تواجه السينما في هذا البلد الإفريقي. وأكد بيتروس أنه يدرّس للطلاب في جنوب إفريقية سينما المخرج المصري العالمي الراحل يوسف شاهين؛ لأنها تعبّر بصدق عن الواقع المصري وتحولاته

المتسارعة. وطالب الفنان فاروق الرشيدي بضرورة فتح آفاق التعاون وتبادل الخبرات بين السينما العربية والسينما الجنوب إفريقية. وأشارت الكاتبة والفنانة المسرحية نورا أمين إلى أن السينما الإفريقية واعدة ومفعمة بالثراء؛ لارتكازها على الموروثات الإفريقية التي تعبِّر عن هوية أبناء القارة السمراء.

تمثِّل هذه الندوة مدخلاً لهذا التقرير عن السينما في جنوب إفريقية؛ إذ شهدت صناعة السينما في جنوب إفريقية تطورا ملحوظاً بعد أن جذب منتجي الأفلام المحليين والعالميين اعتدالُ مناخ البلاد، وجمال الأمكنة، ومتانة البنية التحتية، وانخفاض تكاليف الإنتاج، وانخفاض أسعار الصرف؛ فجميعها أمور قلّصت تكاليف إنتاج الفلم الواحد بمقدار ٤٠٪ عن مثيلاتها في أوربا، و٢٠٪ عنها في أستراليا. ولا تشكِّل صناعة السينما في جنوب إفريقية سوى ٠.٤٪ من إجمالي الناتج العالمي. لكن حكومة جنوب إفريقية تعدّها من أهم الصناعات التي أصبحت تتمتع بإمكانات تسمح لها بمزيد من النمو. وفي عام ١٩٩٥م، فتحت البلاد الباب على مصراعيه أمام قطاعي السينما والتلفاز، وهو ما أتاح فرص عمل لنحو ٤ آلاف شخص، زاد عددهم ليبلغ ٣٠ ألفا يكسبون قوتهم من الوظائف المتعلقة بصناعة السينما، سواء أكانت في مجال المواصلات، أم الفندقة، أم الخدمة. وطبقا للإحصاءات المتوافرة لدى وزارة الصناعة والتجارة في جنوب إفريقية، المنشورة على البوابة الرسمية لحكومة جنوب إفريقية southafrica.info، تُقدَّر قيمة صناعة الترفيه عامة بنحو ٧,٤ مليارات راند؛ أي: ما يعادل نحو ٦٩٨ مليون دولار أمريكي (الدولار الأمريكي يساوي نحو ١٠.٦ راندات جنوب إفريقية)، يشارك التلفزيون والسينما فيها كلَّ عام بنصيب يعادل ٥.٨ مليارات راند؛ أي: نحو ٥٤٧ مليون دولار أمريكي. ومن هنا تتَّضح ضخامة القيمة المضافة إلى صناعة السينما في اقتصاد البلاد؛ إذ تعدّ مصدراً مهما لجلب العملة الأجنبية. كما يعدّ الإنتاج المشترك للأعمال الدرامية أو البرامج بين جنوب إفريقية والبلاد الأخرى بمنزلة قناة تعبر من خلالها الاستثمارات الأجنبية المباشرة، التي من شأنها تدوير عجلة الاقتصاد في جنوب إفريقية.



واجب وطني

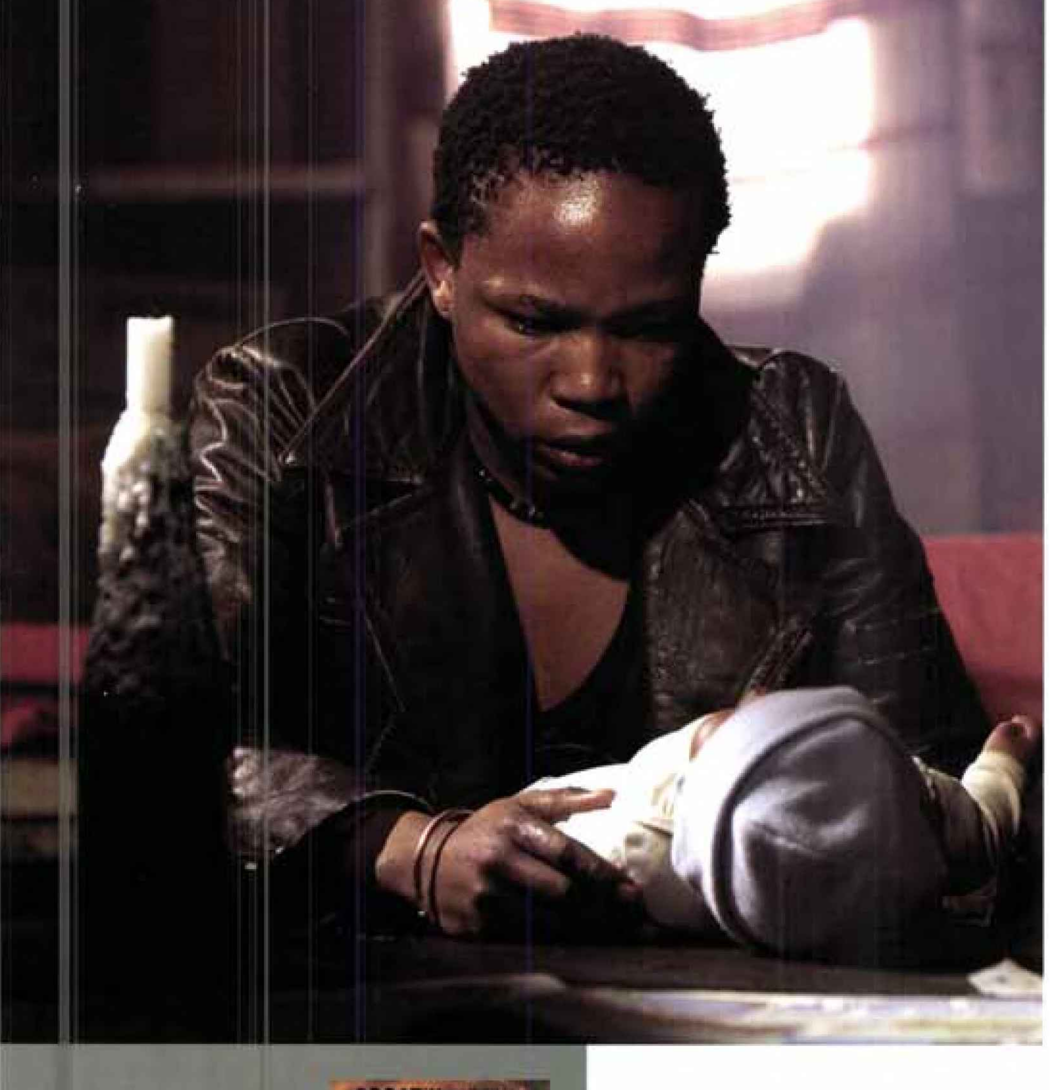
تدعم القطاعات الحكومية صناعة السينما في جنوب إفريقية من خلال صناديق تمويل إنتاج الأفلام، وبرامج الدعاية والتوزيع، فضلا عن الجوائز المالية التي تُمنح للأفلام المتميِّزة. يقول إيدي مباهو - الرئيس التنفيذي للمؤسسة الوطنية لصناعة السينما والفيديو - «يعدّ تشجيع صناعة السينما، ودعم إنتاج الأفلام، واجباً وطنياً وأخلاقياً؛ فمن خلال هذا التشجيع، وذلك الدعم، يستطيع المواطنون التعبير عما تجيش به صدورهم من مشاعر، وما يدور في عقولهم من خواطر بالصوت والصورة والحركة. ومن خلال صناعة السينما أيضاً نستطيع بثّ مبادئ الديمقراطية، ونشر الرخاء في البلاد».

تاريخ طويل

لجنوب إفريقية تاريخ طويل في صناعة السينما. بدأ بتصوير أول الأفلام الإخبارية القصيرة عن الحرب الإنجليزية الهولندية المعروفة بحرب (البوير) - وهم أفارقة من أصل هولندي - في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، التي نشبت بين عامي ١٨٨٠ و١٨٨١م. وتمّ إنتاج أول فلم أسبوعي قصير عن أخبار السينما في جنوب إفريقية عام ١٩١٢م، وحمل عنوان (مرآة إفريقية African mirror)، واستمر بثّه إلى ثمانينيات القرن الماضي. ويعدّ فلم (سرقة ماسة كيمبرلي the Kimberly diamond robbery) أول فلم روائي تنتجه جنوب إفريقية، وتمّ تصويره عام ١٩١٠م، وهو من ضمن أفلام كثيرة يزخر بها تاريخ السينما في تلك البلاد، التي نشاهد أحداثها وقد امتزجت بالدماء التي نزفت من جراء سياسة التفرقة العنصرية، التي ظلّ الاحتلال البريطاني ينتهجها حتى حصلت البلاد على الاستقلال عام ١٩٩٤م. ومنذ ذلك التاريخ، ومع سطوع شمس الحرية والديمقراطية، اتّخذت الأمور طريقاً مختلفاً؛ إذ راح شعب جنوب إفريقية يغوص في جذوره باحثاً عن تاريخه؛ كي يعيد صياغته

تسوتسي: مفخرة سينما جنوب إفريقية

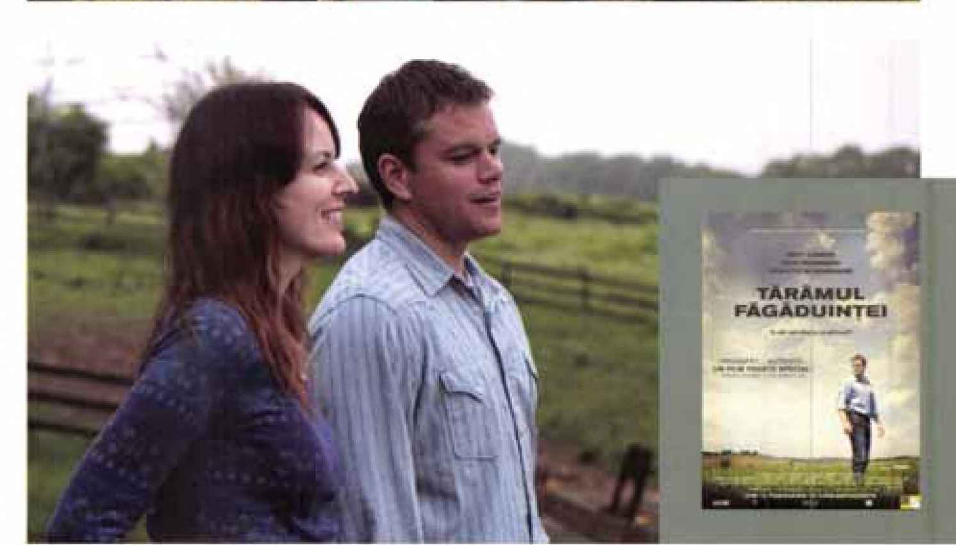
لا يفوتنا حين نتحدث عن الأفلام المأخوذة عن أعمال أدبية أن نذكر رائعة أثول فيوجارد (تسوتسي tsotsi)، الذي يعدّ مفخرة صناعة السينما في جنوب إفريقية بعد أن حصل على جائزة أكاديمية فنون الصور المتحركة الأمريكية وعلومها (أوسكار) عام ٢٠٠٦م، وهي من أرفع الجوائز السينمائية في العالم. وتدور أحداث (تسوتسي) في قاع مدينة جوهانسبرج، التي كانت فيما سبق موطناً للتمييز العنصري، في عالم العصابات، أو الذين يُطلق عليهم باللغة الدارجة (البلطجية)؛ إذ نرى تسوتسي زعيم إحدى العصابات، الذي توفيت والدته بمرض خطير في أثناء طفولته، وهرب من قسوة والده ليلجأ إلى بيئة أكثر قسوة، وهي شوارع جوهانسبرج، نراه يهرول خارجاً من حانة بعد أن نشبت مشاجرة بينه وبين بوسطن أحد أفراد عصابته أدت إلى إصابة الآخر بجروح. وبينما يهيم تسوتسي على وجهه في شوارع المدينة، ملتمساً فريسةً ينهبها، يقابل عدة شخصيات يحاول الهرب من بعضها، مثل: موريس أحد الأفّاقين الذي يدّعي العجز طمعاً في سلب ما قد سرقه تسوتسي، إلا أنه يتمكّن من الإفلات منه. وكذلك ميريام المتسوّلة، التي يلجأ تسوتسي إليها كي ترعى رضيعاً وجده مُلقًى في سيارة نهبها، وروّع ركابها، بعد أن أخفق في رعايته. وتتوالى أحداث الفلم المفعم بالحركة، والإثارة، والإيقاع السريع، إلى أن يقرّر تسوتسي العودة إلى علاج بوسطن بعد أن يأخذ الطفل من ميريام، لكن الأحداث تنتهي بالمشهد التقليدي، الذي نجد فيه زعيم العصابة يرفع يديه مستسلماً للشرطة، ومسلّماً الطفل إلى ذويه.



أرض الميعاد

إنها رائعة كارل شومان، تلك الرواية التي سطّرها عام ١٩٧٨م، وتحوّلت على يد المخرج وكاتب السيناريو الإفريقي جيسون زينوبولس إلى فلم سينمائي عام ٢٠٠٢م. وهو إنتاج ياباني إفريقي مشترك لمونيين لـي وديفيد ويخت. ونال جائزة أحسن سيناريو في مهرجان طوكيو السينمائي الدولي في العام نفسه.

تبدأ أحداث الفلم بعودة جورج نيثلينج المحامي الشاب إلى جنوب إفريقية بعد أن أجبرت عائلته البيضاء على الرحيل إلى إنجلترا فيما يشبه النفي، تاركةً قصرها وأراضيها مترامية الأطراف بما تحويه من ثروات، وفوق ذلك السلطة والامتيازات في إطار سياسة إلغاء سياسة الفصل العنصري في جنوب إفريقية. يعود جورج ليجد كلّ شيء تغيّر؛ فقد تحوّلت المزرعة الخضراء إلى أرض خراب، وأصدقاء الماضي أصبحوا أعداءً يتحيّنون الفرصة لوضع أيديهم على ما تبقّى من ثروات تركها من تعرّضوا للنفي، أو من غادروا البلاد بمحض إرادتهم، فضلاً عن المتآمرين والقتلة المأجورين. من هنا يُضطرّ بطل الفلم إلى الإقامة لدى إحدى العائلات البيضاء هناك؛ ليقع في حبّ سليلتها كارلا. تلك الشابة الواقعية التي لا تكتب الشعر، أو تحلم بعودة الماضي؛ إذ نجدها تعاتبه - في أحد المشاهد - بقولها: «عمّ تبحث؟! عُدْ حيث كنت، مكانك ليس هنا». كارلا مخطوبة لسنايمان الشاب الشرس، الذي لا يلبث أن يحاول الانتقام من جورج؛ لينتهي الفلم بصراع بين الحب والشهوة والغيرة. لكن هذه النهاية ليست نهاية جورج كفرد، كما لا تمثّل النسق التقليدي لمثلث: العشق، والخيانة، والغيرة، وإنما النهاية المتوقعة لمنظومة الاحتلال والقهر والإقصاء القسري لأهل البلاد لحساب استحواذ المستعمر الإنجليزي على خيراتها.

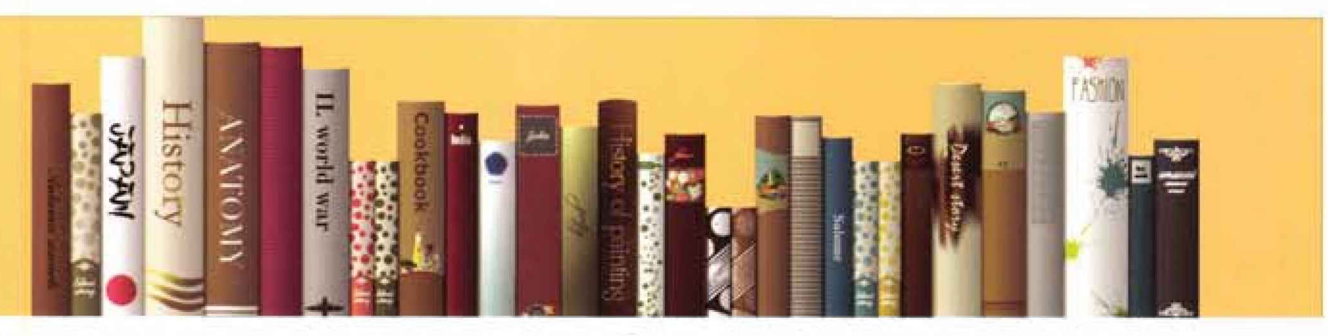


لا يُقهر

فلم (لا يقهر INVICTUS) من إنتاج عام ٢٠٠٩م، وبطولة: مورجان فريمان، ومات ديمون، وإخراج: كلينت إيستوود. ولا يتناول الفلم قصة كفاح نيلسون مانديلا ضد التفرقة العنصرية في جنوب إفريقية، وسجنه ٢٧ عاماً متّصلةً، لكنه يتحدث عن معركة رياضية انتصر فيها هذا الزعيم الحكيم الشجاع عندما وظّف الرياضة في إعادة بناء وطنه؛ فقد جعل الهدف المباشر نصب عينيه هو أن تفوز جنوب إفريقية ببطولة العالم للرجبي التي نُظّمت على أرضها عام ١٩٩٥م، والهدف الأبعد هو انصهار الأبيض والأسود معاً أول مرة في وطن واحد، له علم جديد، وسلام وطني جديد يردّده الجميع. اسم الفلم مأخوذ من قصيدة بالعنوان نفسه للشاعر ويليام إرنست هنلي (١٨٤٩- ١٩٠٣م)، وكان مانديلا يردّدها دائماً طوال سجنه لتساعده على الصمود. وحقّق الفلم نجاحاً كبيراً على مستوى النقاد، وعلى المستوى الجماهيري، كما رُشّح بطلاه لجائزتي أوسكار أحسن ممثّل وأحسن ممثّل مساعد.

المنطقة ٩

فلم المنطقة ٩ (DISTRICT 9) من إنتاج عام ٢٠٠٩م، وبطولة: شارلوتو كوبلي، وجيسون كوب، وديفيد جيمس، وإخراج: نيل بلومكامب، وهو من أفلام الخيال العلمي. يحكي عن مجموعة من المخلوقات الفضائية هبطت مركبتها الفضائية اضطرارياً في بداية الثمانينيات بمنطقة جوهانسبرج في جنوب إفريقية، وتمّ تسكينهم في منطقة عشوائيات تسمى المنطقة ٩، وظلّوا يتكاثرون حتى وصل عددهم إلى ما يقرب من مليون ونصف المليون مخلوق. ويتعرّض الفلم لجهود حكومة جنوب إفريقية في نقلهم إلى منطقة أخرى، بعيداً من الكتلة السكنية. والفلم مُستوحى من قصة حقيقية لممارسات التفرقة العنصرية في جنوب إفريقية عندما قامت الحكومة العنصرية عام ١٩٦٦م بإجبار نحو ٦٠ ألف مواطن جنوب إفريقي على الرحيل من المنطقة ٩، التي يعيشون فيها، إلى منطقة أخرى بعيداً من مساكن البيض، وتحريم دخول أيّ أسود إلى تلك المنطقة بعد ذلك. وحقّق الفلم نجاحاً جماهيرياً كبيراً، وحقّق شباك التذاكر عائداً قدره نحو ٢١٠ ملايين دولار في الولايات المتحدة الأمريكية وكندا فقط، كما لاقى استحساناً كبيراً لدى النقاد.



أكثر الكتب رواجاً في مايو ويونيو ٢٠١٤م

ببلشرز ويكلي
PUBLISHERS WEEKLY

One Nation
Ben Carson Candy Carson
Sentinel

الكتاب: أمة واحدة.
المؤلف: بن وكاندي
الناشر: سنتينل

كتاب يحذّر من الانهيار الاقتصادي، وتفاقم الديون، وانهيار الأخلاقيات، وسياسات أوباما المهدّدة لصحة الأمريكيين وحرياتهم ومستقبلهم الاقتصادي كما يقول الكتاب الذي ألّفه اثنان من الكتّاب السود الأمريكيين.



Instinct: The Power to Unleash Your Inborn Drive
T D Jakes
Faith Words

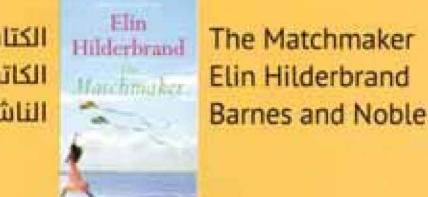
الكتاب: الغريزة.. تحرير الميول الكامنة
المؤلف: تي دي جيكس
الناشر: فيث وردس

الحياة المعاصرة تبدو لكثيرين غابةً أو دغلاً كثيف الأشجار، محفوفاً بالمخاطر والآلام، ولا حلّ للإنسان المعاصر إلا العودة إلى الله، وتحرير طاقاته وميوله الخيرة، مستعيناً بالهدي الرباني.

Written in My own Heart's Blood
Diana Gabaldon
Delacorte Press

الكتاب: الكتابة بدم القلب
المؤلف: ديانا جابلدن
الناشر: ديلاكورت برس

تدور هذه القصة في أثناء الحرب الإنجليزية الفرنسية عام ١٧٧٨م، وتهدف -كما يقول الناشر- إلى سبر أغوار الروح والقلب عبر الحروب والكوارث، وخلال عدد من الابتلاءات التي لا تنتهي.

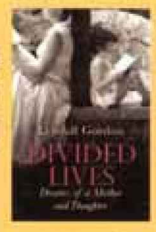


The Matchmaker
Elin Hilderbrand
Barnes and Noble

الكتاب: الخاطبة
الكاتب: إيلين هيلدربراند
الناشر: بارنز ونوبل

دابني كميل لها موهبة فذة في تزويج أقربائها، ولها سجلّ يفوق ٤٢ زواجاً ناجحاً. الحالة الوحيدة التي لم تنجح فيها هي زواجها بالمستر هيوز.

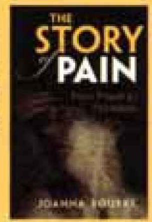
صنداي تايمز
THE SUNDAY TIMES



Divided Lives
Lyndall Gordon
Verago

الكتاب: حيوات عاصفة
الكاتب: ليندال جوردن
الناشر: فيراجو

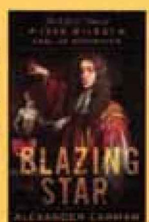
أشهر كاتبات بريطانيا تصوّر علاقتها بابنتها في شكل مذكرات مدهشة.



The Story of Pain
Joanna Bourke
Oxford Press

الكتاب: قصة الألم
الكاتب: جوانا بورك
الناشر: أكسفورد برس

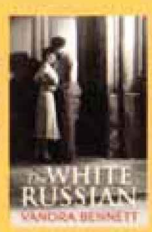
قصة الألم خلال القرون الثلاثة الماضية تتناولها هذه المؤرخة التي حازت جوائز عالمية.



Blazing Star
Alexander Larman
Kindle

الكتاب: النجم الساطع
الكاتب: ألكساندر لارمان
الناشر: كيندل

قصة الإيرل جون ويلموت الحائزة على جائزة إليزابيث لونجفورد البريطانية.



The White Russian
Vanora Bennet
Kindle

الكتاب: الروسي الأبيض
الكاتب: فانورا بينيت
الناشر: كيندل

قصة أمريكية تبحث عن المغامرة والفن والحب، وهي تنغمس من دون أن تدري في حياة المهاجرين الروس بباريس.

يعرِّف هذا الباب بالقوائم الصادرة عن مجلات ودوريات وصحف ودور نشر عن أكثر الكتب انتشاراً كلّ شهر أو شهرين حسب سياسة كلّ مؤسسة. وبدءاً من هذا العدد ستزوّد (الفيصل) القارئ بأهم الآثار الروائية وغير الروائية التي وجدت طريقها إلى إحدى القوائم المذكورة. ومع أن هذه القوائم تغلب عليها الأعمال الغربية إلا أنها تضم أحياناً بعض الأعمال المنقولة عن لغات أخرى؛ لأن المعيار الأساسي لترتيب الكتب وتصنيفها هو عدد النسخ المبيعة فعلياً، المرصودة ليس من مالك حقوق الطبع فقط، وإنما من سلطات مراقبة الدخل والضرائب في كلّ دولة.

ليبراري جورنال
LIBRARYJOURNAL



Cataract City
Craig Davidson
Graywof

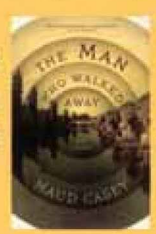
الكتاب: مدينة الجنادل
الكاتب: كريج ديفدسون
الناشر: جريولف

يدور الكتاب حول واقعة اختطاف حقيقية من مصارع معروف لفتاتين قرب شلالات نياجارا بكندا.

Ishmael›s Oranges
Claire Hajaj
Oneworld

الكتاب: برتقالات إسماعيل
الكاتب: كلير حجاج
الناشر: ونورلد

على أطراف مدينة يافا، يخاطب صبيّ، اسمه سالم، ولداً كان يهمّ بقطف برتقالة من حديقة والده، قائلاً: سوف يلاحقك اليهود. بعد مدة وجيزة ينقضّ اليهود على يافا، وتخسر عائلة سالم كل شيء.



The Man Who Walked Away
Maud Casey
Bloomsbury

الكتاب: خرج ولم يعُدْ
الكاتب: مود كيسي
الناشر: بلومسبيري

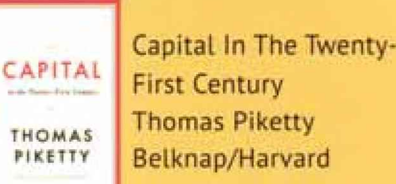
رجل يجوب أطراف أوربا في القرن التاسع عشر الميلادي، وهو لا يلوي على شيء. وبين اليقظة والمنام تأتي لحظات نادرة من الإفاقة، فيدرك أنه يسعى نحو اكتشاف ذاته الحقيقية.

Painted Cities
Alexia Budziszwski
Macsweeney›s

الكتاب: مُدن مدهونة
الكاتب: ألكساي بوذوذسكي
الناشر: ماكسويني

تمثّل باريو، التي تقع في جنوب شيكاغو، عالم الجريمة والعنف والجمال، وفي الوقت ذاته هي مسرح لمهاجر صغير يدّعي القدرة على استدعاء الموتى.

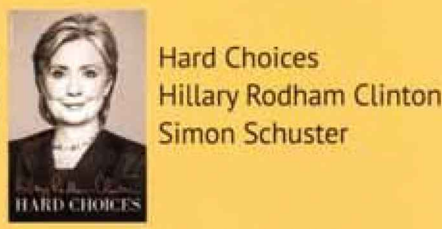
نيويورك تايمز
The New York Times



Capital In The Twenty-First Century
Thomas Piketty
Belknap/Harvard

الكتاب: رأس المال في القرن الحادي والعشرين
الكاتب: توماس بيكتي
الناشر: بلكناب/ هارفارد

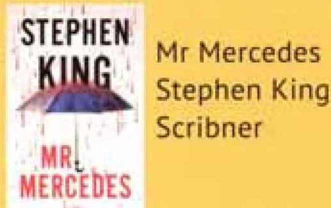
يسعى هذا الكتاب إلى تقديم صورة أكثر تفاؤلاً عن المستقبل، خصوصاً إذا توافرت الإدارة السياسية الواعية للقضاء على التمايزات الاجتماعية.



Hard Choices
Hillary Rodham Clinton
Simon Schuster

الكتاب: خيارات صعبة
الكاتب: هيلاري كلينتون
الناشر: سيمون سكستر

يتناول الكتاب التحديات والأزمات والخيارات التي واجهت السيدة كلينتون خلال عملها وزيرة للخارجية الأمريكية، الذي استمر نحو أربع سنوات زارت فيها أكثر من ١١٢ بلداً في رحلات تجاوزت المليون ميلاً.



Mr Mercedes
Stephen King
Scribner

الكتاب: السيد مرسيدس
الكاتب: إستيفن كنج
الناشر: إسكربنر

سائق سيارة مرسيدس يقتحم طابوراً من الناس يبحثون عن وظائف، فيقتل ثمانيةً، ويصيب عشرةً، ثم يفرّ من الموقع. هذا الكتاب استقصاء باطني عما يجول في ذهن القاتل.



I know Why The Caqed Bird Sings
May Angelou
Random House

الكتاب: أعرف لماذا يغنّي الطير في القفص
الكاتب: مايا أنجيلو
الناشر: راندوم هاوس

يمثل الكتاب سيرةً ذاتيةً للشاعرة الأمريكية جريت آن جونسون، وشهرتها مايا أنجيلو، التي توفيت في مايو عام ٢٠١٤م، وهي في الثمانين من عمرها.



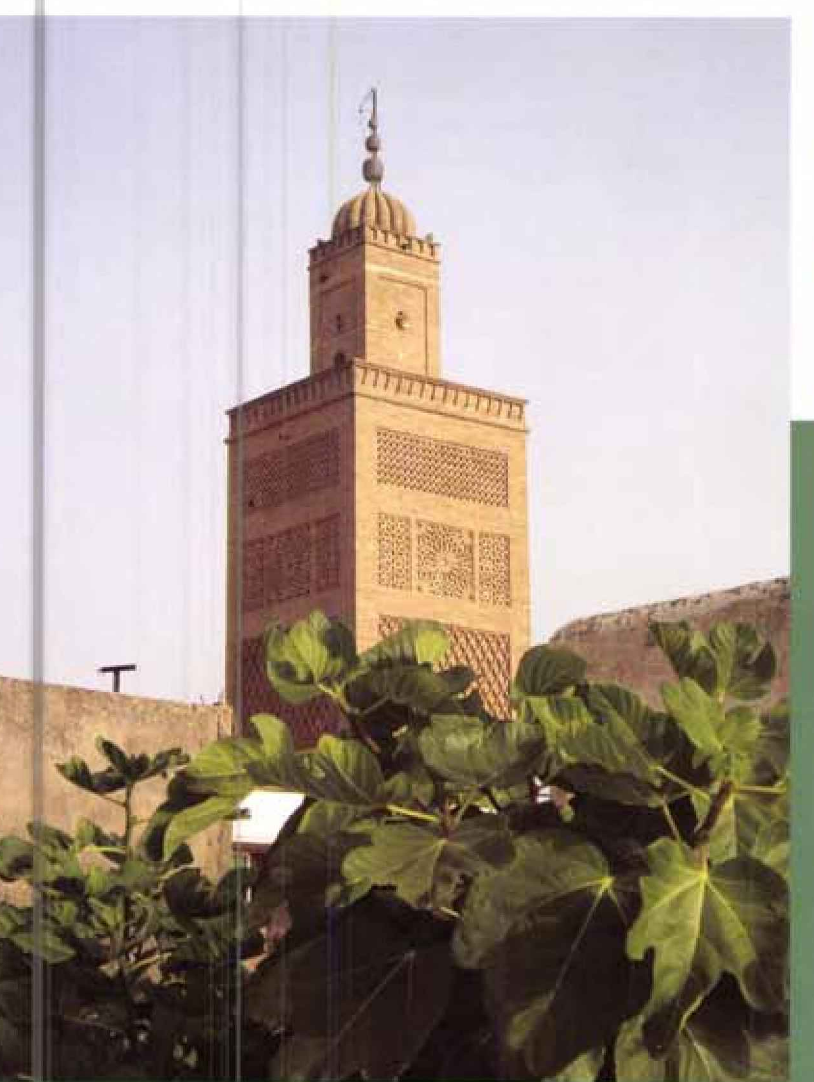
سلا.. مدينة الشموع

سلا كلّ قلب غير قلبي ما سلا
أيسلو بفاس والأحبة في سلا؟!
بها خيّموا والقلب خيّم عندهم
فأجروا دموعي مرسلاً ومسلسلا

نعم، تلك هي سلا المدينة الساحرة التي ذكرها ابن الخطيب في قوله: «العقيلة المفضلة، والبطيخة المخضلة، والقاعدة المؤصلة، والسورة المفصلة، ذات الوسامة والنضارة، والجامعة بين البداوة والحضارة، معدن القطن والكتان، والمدرسة والمارستان، والزاوية كأنها البستان، والوادي المتعدد الأجفان، والقطر الأمين عند الرجفان، والعصير العظيم الشأن، والأسواق السارة حتى برقيق الحبشان، اكتنفها المسرح، والخصب الذي لا يبرح، والبحر الذي يأسو ويجرح، وشقها الوادي الذي يتمّم محاسنها ويشرح».









موكب الشموع

تنفرد مدينة سلا بشعائر خاصة لا تجدها في معظم المدن المغربية الأخرى؛ مثل احتفال مواكب الشموع في ليلة مولد النبوي، (دور الشموع) المصنوع بدار آل شقرون، والمعلق بضريح سيدي عبدالله بن حسون، ومثل ذلك يكون لضريح سيدي أحمد حجي، وسيدي بنعاشر، وسيدي موسى، فيخرجون إلى الشوارع وهم يحملون هذه الشموع، وتظهر عليهم الأفراح والمسرات.

زار المؤرخ العالمي أبو علي الوزان، الملقب بـ(ليون الإفريقي)، مدينة سلا، ووصفها وصفاً رائعاً، ووصف تجارتها، وكيف خصص أهل سلا منذ القدم حارة لكل نوع من الحرف، أو شكل من الصناعات، أو نوع من المبيعات. وعدّها أبو العباس الصومعي من الأمكنة المشرفة التي تستحبّ زيارتها أيام الربيع وغير ذلك. قائلاً: «إنها من مشاهد الأخيار التي كانوا يجتمعون بها». وذكر اليوسي في قصيدته أنها مقصودة للنساك، فيقول:

وساحل صدق كان محجوج نساك
يلبي المنادي فيه يوماً من الدهر

وقال أحمد بن عبدالقادر في النزهة:

ألا عرّجا من جانب الغور من سلا
وإن جئتما فاسألا الدهر هل سلا؟
فإني إلى تلك الأماكن شيق
ومنها يُرى دمعي على الخد قد علا

قدمها ونشأتها

قال ابن علي الدكالي فيما روى عنه مؤلف «عائلات سلا»: «سلا بُنيت في عهد تميم بن زيري الزناتي اليفرني ملك شالة وتادلة»، ثم رجع عن ذلك فقال في أرجوزته:

وجدت سلا على البحر المحيط
وفي صدر المئين من البسيط

حدّده في طرة الكتاب بسنة ٤٢٠هـ، وأشار في

قصيدته إلى أن الباني هو القاسم بن عشرة، وكانت سلا تعرف أحياناً بمدينة بني العشرة.

وذكر أحمد بن خالد الناصري في تاريخه «الاستقصا» عند الكلام عليها أنها مذكورة في تواريخ الروم بهذا الاسم. ونقل العلامة الصالح أبو العباس أحمد بن عاشر الحافي عن شيخه أحمد بن عبدالقادر التستاوتي ما يفيد أنها سُمِّيت باسم بانيها، وهو ملك اسمه سلا من ملوك العالم الأقدمين.

وفي العصور الإسلامية برزت سلا عاصمة لدولة بني يفرن الزناتيين في القرن الخامس الهجري. كما اهتم بعمارتها بعد ذلك الموحّدون في القرن السادس الهجري، فبنوا أسوارها ومسجدها، واتخذوا منها قاعدةً بحريةً وعسكريةً لأساطيلهم وجيوشهم. وفي أيام بني مرين هاجمها الإسبان بغتة أيام الملك ألفونسو الحكيم سنة ٦٥٨هـ، وطردهم منها السلطان أبو يوسف المريني بعد احتلال دام أربعة وعشرين يوماً. وأقام المرينيون عدة تحصينات حول المدينة لمنع تكرار هذه الاعتداءات، إلى جانب المنشآت العمرانية التي شيّدوها هناك: كالمدرسة الطبية، ومسجد المريني، وزاوية النساك. وبعد سقوط الأندلس في أيدي الإسبان كانت سلا والرباط مأوى عدد كبير من المهاجرين الأندلسيين الذين احترفوا مهنة القرصنة البحرية كي يتسنى لهم مواصلة الجهاد ضد الإسبان والبرتغال.

الأسوار والأبواب المحيطة بها

من أعظم ما يُراعى في المدن التي تكون حاضرة البحر أن تُدار عليها الأسوار حياطةً لها من طرق العدو. وكانت مدينة سلا قبل الدولة الموحدية يحيط بها السور من جهاتها الأربع، فلما افتتحها عبدالمؤمن الموحدي في جملة ما فتح من مدن المغرب، وبلغه أن أهل سبتة نقضوا بيعته، ونبذوا طاعته، أمر بهدم سبتة وفاس وسلا سنة ٥٤٢هـ، وقال: «أسوارها سيوفنا»، وبقيت أسوار سلا كذلك إلى زمن حفيده يعقوب المنصور، فجدد سورها القبلي والشمالي فقط، وبقيت الجهة الغربية والبحرية غير مسوّرة، وإنما بنى يعقوب السور من البحر إلى القبلة. فلما جاءت الدولة المرينية (بنو يعقوب بن عبدالحق المريني) بنت ما تبقى من الأسوار.

وبهذه المدينة أبواب، منها: باب سبتة، وباب فاس، وباب الملاح، وباب مالقة الذي يسميه الناس اليوم باب معلقة، وهو غلط كما أشار إليه الفقيه محمد بن الفاطمي الشهير بابن الحاج في كتابه «إسعاف الإخوان الراغبين بتراجم ثلة من علماء المغرب المعاصرين»، عندما ترجم للشيخ أحمد بن عبدالنبي السلاوي قائلاً: «دُفن بباب معلقة باب الرحمة خارج المدينة التي يُقال: إنها محرفة عن باب مالقة؛ لخروج أهل مدينة مالقة الأندلسية».

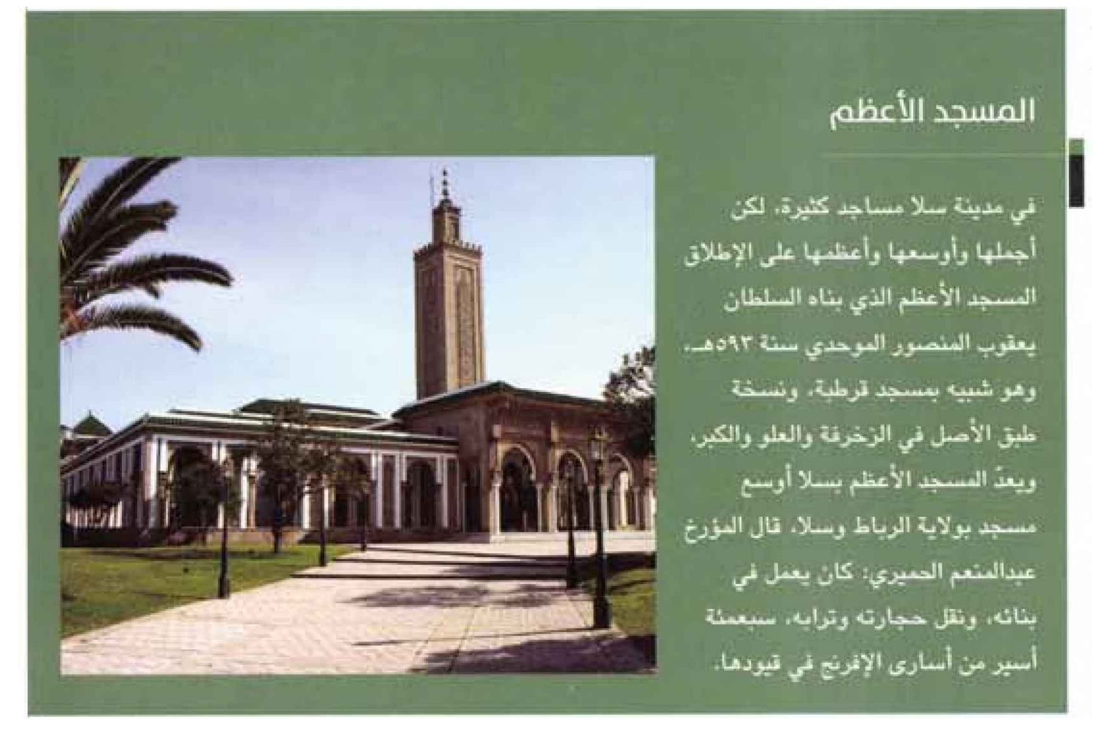
نهر أبي رقراق

يسمّيه ابن حوقل في «المسالك والممالك»: وادي سلا، والمراكشي: وادي الرمان، وابن عذاري: بحر سلا. وهو نهر عظيم يصب بين العدوتين سلا والرباط، طوله مئتان وخمسون كيلومتراً. وأصبح مصب أبي رقراق منذ سنة ١٠٢٣هـ المرسى الإسلامي القائم على شواطئ المحيط الأطلنطي والأقرب إلى أوربا. وبعد وفاة السلطان مولاي إسماعيل بعشرين سنة وقع زلزال في لشبونة وسّع مصب أبي رقراق؛ مما ساعد بعض المراكب الكبرى على الدخول إلى الميناء، ولاحظ كودار في «وصف تاريخ المغرب» أنه بفضل هذا الزلزال تعمّقت قناة المصب بثلاثين قدماً في المد حتى أصبح يستقبل المراكب التي تزيد حمولتها على مئة وخمسين طناً.

المدرسة المرينية

هذه المدرسة من المدارس التي بناها السلطان الأسعد أبو الحسن المريني، وهي وحدها شاهدة على قوة ملكه، وعظم همته، وهي من أحسن المدارس شكلاً ورونقاً، وأرفع المباني القديمة وأتقنها وضعاً وإحكاماً ولطفاً وظرفاً. وقد أودعها الصناع من بدائع الصنائع ما لا مزيد عليه من الحسن والإتقان. وقد ذكر ابن علي -رحمه الله- تقييداً عن هذه المدرسة تناول حالتها من حيث عدد طلابها، والعلوم التي كانت تدرس فيها. ومن العلوم، التي كانت تدرس فيها علوم الشريعة، واللسان، والصنائع، وأن أعيان بعض المدن -مثل فاس- كانوا يشدون الرحال إليها لتلقي العلوم كالطب والتصوف عن رجال مثل عمر بن غياث، وأبي الفضل العجلاني، وأحمد بن عاشر الأندلسي.

المسجد الأعظم



في مدينة سلا مساجد كثيرة، لكن أجملها وأوسعها وأعظمها على الإطلاق المسجد الأعظم الذي بناه السلطان يعقوب المنصور الموحدي سنة ٥٩٣هـ، وهو شبيه بمسجد قرطبة، ونسخة طبق الأصل في الزخرفة والعلو والكبر. ويعدّ المسجد الأعظم بسلا أوسع مسجد بولاية الرباط وسلا، قال المؤرخ عبدالمنعم الحميري: كان يعمل في بنائه، ونقل حجارته وترابه، سبعمئة أسير من أسارى الإفرنج في قيودها.

زاوية النساك

هذه الزاوية من أقدم الزوايا بسلا، بناها السلطان أبو عنان خارج مدينة سلا مقابل ضريح أبي العباس حين كانت قرية صغيرة عامرةً هناك. وكان قصد أبي عنان ببناء هذه الزوايا خارج مدنه نزول الواردين الغرباء والمنقطعين وذوي الحاجة. قال ابن جزي في تهذيبه: أمر السلطان أبو عنان بعمارة الزوايا بجميع بلاده لإطعام

الطعام للوارد والصادر، وقد جعل التصدق على المساكين بالطعام يومياً رحمه الله، واتخذها ابن الخطيب مقراً له بعد خروجه من الأندلس.

وهذه الزاوية من أحسن المباني، وأنزهها، وأجملها منظراً، وأظرفها شكلاً، وأبهجها وضعاً، حتى قال ابن الخطيب في حقها من مقامات البلدان: «والزاوية كأنها البستان»، وكُتب على بابها الغربي المقابل لضريح أبي العباس في لوح حجر مركّب في تاجها ما نصّه: «الحمد لله، أمر بهذه الزاوية المباركة أمير المؤمنين، المتوكل على رب العالمين، أبو عنان بن موالين الخلفاء الراشدين، الملوك الطاهرين، بني عبدالحق، أعلا الله آثارهم، وشيّد منارهم. فرغ من بنائها في ٢٧ شعبان عام سبعة وخمسين وسبعمئة».

العلم والأدب والأخلاق

كان أهل سلا في القديم على غاية تامة من المحافظة على العلم وحفظه، وعلى مكارم الأخلاق، وحسن الشيم، وكامل المزايا، واتباع السنة، والورع التام في المأكل والمشرب، والقناعة بالإقلال، وعدم الافتخار بالجاه والمال، وعرفوا كذلك بحبّ الأشراف آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمهم واحترامهم وموالاتهم ومواصلتهم، وحب العلماء والاقتداء بهم، والاستماع إليهم. ومضى حالهم على ذلك مدةً طويلةً من السنين. فكان فيهم من أجل ذلك أفاضل أخيار، وعلماء أجلة كبار، وصلحاء وأكابر أتقياء، واستحكمت فيهم هاته الصبغة زمناً طويلاً، وتعاقب عليها فحول وعلماء عاملون، إلا أنه عرفت سلا شيئاً من التوتر أيام السعديين، ولو أن منشآتها الموحدية المرينية من مساجد ومدارس وزوايا ومارستان لم تعطل، وأصداء ابن الخطيب الذي اتخذها دار مقام له لم تخفت بعد، غير أن الأحداث السياسية العسكرية الخطيرة التي عاشتها الأندلس المسلمة، واحتلال الشواطئ المغربية في هذه الحقبة، كان لها رد فعل قوي لدى السلاويين، فنبذوا الأقلام والطروس، وركبوا متون الجياد والسفن، ومع ذلك بقيت منهم طائفة لم تفصم عرا الاتصال مع حلقات التدريس.

حال سلا في التجارة والصناعة

كانت عمدة التجارة عند أهل سلا في القديم خمسة أمور: الكتان ومصنوعاته، ودبغ الجلود ومصنوعاتها، ومصنوعات الفخار، وعصير العنب المسمى على لسان العامة بالصامت، والحصر.



وكان لأهل سلا سفن ومراكب يحملون فيها هذه التجارة، ويسافرون إلى بلاد الأندلس ومدنها؛ مثل: مالقة، وإشبيلية، والجزيرة الخضراء، وسبتة من بلاد العدوة، وجزر الإفرنج، ويدخلون البحر الرومي من زقاق سبتة إلى مدن المغرب الأوسط؛ كالجزائر ووهران وتلمسان. أما صناعة الحصر فهي إلى الآن خاصة بسلا في الإتقان والجودة، وحسن المنظر، وعجيب الرقم، وما زال لهذه الصنعة روجان في سائر بلاد المغرب وأمصاره. وأما صناعة الفخار فما زالت من أعظم الحرف بالعدوتين، وهذه الصناعة في الحقيقة لا يوجد في مدن المغرب من يضاهيها جودةً وإتقاناً حتى عُرف الطجين الفخاري عند المغاربة بـ(الطجين السلاوي)، ولهم اليوم مجمع يُعرف باسم الولجة. وأما الدباغة، فكانت من أعظم الحرف بسلا، وإتقان هذه الحرفة في الدبغ وصبغ الجلود وتلوينها وكيفية خرزها نعالاً وغير ذلك كان في القديم خاصاً بسلا، ثم شاركها فيها غيرها من بلاد المغرب كفاس ومراكش.

المكتبات

زُخرفت مساجد سلا وزواياها بآلاف الكتب من مطبوعة ومخطوطة، وفي مقدمة المكتبات نذكر مكتبة الحاج محمد الطيب الصبيحي، التي خصّصها لتكون وقفاً على العلماء وطلبة العلم، وتمتاز هذه الخزانة بعدد وافر من المخطوطات الأصلية المتنوعة التي يرجع تاريخ انتساخها إلى القرون الخمسة. وهناك خزانات أخرى، منها: خزانة عبدالرحمن حجي، ناهيك عن الزوايا التي كانت تغصّ بالكتب، مما يدلّ على أن هذه المدينة كانت في الحقيقة صرحاً للعلم والثقافة.



برج الدموع

كان برج الدموع من أعظم الأبراج وأحسنها وأبهجها شكلاً وضخامةً وارتفاعاً واتساعاً، وكان يقع بالسور المريني من الجهة الغربية بين ضريح ابن عاشر، وكان البرج لحسن شكله يعدّ من متنزهات سلا؛ لكونه يقابل العدوتين والبحر والنهر، ويشاهد منه غروب الشمس الرونق الذي كان يكسو البحر من اصفرار الشمس؛ لذلك قال بعض الغرباء الوافدين على سلا في مدحها ومدح هذا البرج المذكور:

سلا بلدة بالغرب لم أر منظراً
يشاكلها في الحسن والشمس آفلةْ
ولاسيما برج الدموع الذي غدت
محاسنه كالفرض والغير نافلةْ

المراجع

١. الإتحاف الوجيز، محمد بن علي الدكالي، من منشورات الخزانة الصبيحية

٢. الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، أحمد بن خالد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء

٣. طريق الحرية، محمد بنعياد، مطبعة شالة بالرباط

٤. الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، محمد حجي

٥. الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضرية، عبدالعزيز بن عبدالله، من مطبوعات وزارة الأوقاف المغربية

تواطؤ

يرعبني وفاء هذا الحزن القاتل لقلبي، الطاعن في شيخوخته.

لعلها بدايات فصل الخريف، تجعلني كئيباً بشكل لا يُطاق. حين كنت طفلاً تمنيتُ أن أكبر بسرعة، وأصير رجلاً قوياً، وهاهي ذي ملامحي المتجهمة الشاحبة تشي بحقدي على هذا العالم الكريه من دون أن تتحقق أمنيتي المستحيلة باستعادة زمن البراءة.

أمضي كشبح بين الأحياء الأموات، أصطدم بابتسامة عجوز يومئ بتحية وهو يقترب مني من دون سابق معرفة بيننا. ابتسامته ودود، لكنها تبدو لي مقزّزة. لم أبادله التحية، بل وجدتني ألعنه في سرّي، سائلاً: «لماذا يبتسم كمعتوه؟!». أتخيّلني صرتُ عجوزاً مثله، وأغمغم: «سأتعذّب أكثر إن عشتُ حتى أرذل العمر. لا، لا، ربما يكون عمري قصيراً؛ فمن دون شكّ سيقتلني هذا الحزن». ووجدتني أتأمل جسدي الذي أكره وهنه المزمن برثاء فصيح.

استجبتُ لأختي التي تصغرني بعامين رأفة بعطالتي، وفتحتُ حساباً بنكياً بأقرب مصرف لاستقبال (صدقاتها) الشهرية لي ولأمي العليلة بعد أن رفضتُ الهجرة؛ لأنه لا أحد سيشغّل فتًى أعرج، حتى لو كانت عاهتي مجرّد عيب خلقي صغير بساقي اليسرى يجعل نصفي الأيسر يتمايل مع كلّ خطوة. بيد أن هذه العاهة جعلتني أهجر فصول الدراسة بسبب سخرية التلاميذ.

أجرّ خطواتي المتثاقلة، شبه المترنّحة، ألِجُ البناية الفاخرة غير عابئ بالحارس المرابط عند البوابة الرخامية وهو يتسوّل بطريقة حضارية: «عطينا باش نشربو شي قهيوة». هذه (القهيوة) تصير ارتشاءً صريحاً حين يطلبها منك موظف بإحدى المؤسسات البيروقراطية. قاومت رغبتي في أن أصرخ في وجه تلك المتسوّلة، ذات الجلباب الرثّ، الجالسة بالقرب من البوابة، مخفية ملامحها خلف خرقة بالية: «أنا من يستحق الصدقة، بينما دخلك اليومي ...».

تعذّر سحب تلك الورقة المالية عبر الشباك الآلي. باءت كلّ محاولاتي بالإخفاق. في كل مرّة يُطلب مني تصحيح المبلغ، وهو أقلّ من المطلوب أتوماتيكياً، فولجتُ المصرف. وقفتُ قبالة الموظف البشوش. انتبهت إلى أن المرأة التي بجانبي جارتنا. رأيتها تخرج من حقيبتها اليدوية رزمة من الأوراق المالية، وهي تعلن أنها ستدفعها في الحساب. لم يضايقني -وأنا المفلس- أن أرى كلّ هذا المبلغ في يد امرأة؛ لأنني أعرف أنه ليس مالها، مثلما أعرف أن هذه المسترجلة طلّقت زوجها بعد أن اكتشفت اختلاسه أموال أخيها المغترب في أمريكا وهو يشرف على مشروعات صهره. من حسن حظّه أنه تخلّص من امرأة عديمة الأنوثة كانت تكبره بأعوام.

لم تعبأ المرأة التي سبقها أريج عطرها بالطابور وهي تفتح حافظة نقودها في زهو أنثوي كأنما تتباهى بعملتها الصعبة، وهي تضعها بيني وبين جارتنا. بصوت خفيض قلتُ للموظف: «أريد سحب ...». لم أستطع نطق قيمة المبلغ، الذي لا يتجاوز ستة دولارات تقريباً. اكتفيت بالقول: «إن البطاقة الإلكترونية ...»، وصمتت.

بعد نقرات استفسر عن المبلغ المقصود، رفعت يدي وجلاً صامتاً، في إشارة إلى أن المطلوب خمسون درهماً. رمقني بنظرة ذات معنى، ناولني بطاقتي الإلكترونية، وطلب مني توقيع ورقة الإيصال، ثم طواها، وجعل الورقة الخضراء بسرعة؛ لإخفائها عن عيون المرأتين. وقد أشفق لحالي، وأحسّ بورطتي.

أرمق -لثوانٍ معدودات- جملةً تتوعّد بالعقاب: «كلّ من حرّف أوراق البنك أو زوّرها ...»، من دون أن أكمل قراءتها، وجدتني أستحضر الطفل الذي كُنْتُهُ وأنا أتشمّم ورقةً ماليةً برائحتها المميزة. إلى اليوم مازلت أتشمّم الأوراق النقدية خلسةً بعد أن نهرتني أمي ذات صباح. لم أصارحها بأني أتذكّر أبي الراحل، الذي كان يناولني ورقةً ماليةً وهو يمارس هذا الطقس الطفولي.

أحتمي بالطفولة البعيدة لأتذكر أكانت الديباجة القديمة تعاقب من (حرق) و(مزق) الأوراق المالية أيضاً. أسأل: «لماذا حُذف الفعلان؟ هل فطنوا إلى أننا نعبد المال في هذا الزمن، ولا أحد يمكنه أن يقترف هاتين الحماقتين؟!».

اجتزتُ البوابة، وفوجئتُ بأصابعي أنجزت المهمة بمهارة فائقة. وقد طوّقتني المرأة التي لا يظهر من وجهها سوى العينين بصوت تدرّب على الالتياع. فكرتُ في أبنائها الثلاثة -أكبرهم بنت في سنّ المراهقة- الذين جنّدتهم معها، فاحتكروا التسوّل بهذه المنطقة ذات الزبائن المميّزين من روّاد البنك، والمقهى الفاخر والسوق الممتاز المتجاورات. انتابني إحساس غامض.

ذات مساء صيفي، والساعة قد شارفت على العاشرة، كنت أتجوّل مع صديق بالقرب من البنك. حاصرتنا ابنتها بتسوّلها الذليل. صارحتنا بأنها لا تستطيع العودة إلى البيت إلا بعد أن تستوفي مبلغاً محدداً؛ تجنّباً لعقاب الأم.

ألفيتني أرمي مزق الورقتين في وجه المتسوّلة الأربعينية، وبحركة سريعة من قدمي اليمنى تطاير في الهواء صحنها البلاستيكي القذر بقطعه النقدية، فأحدثت رنيناً لافتاً عند ارتطامها بالأرض.



محسن بن حمد الخرابة | هيئة التحرير

علَم من أعلام الأدب، وإمام من أئمة اللغة، وفارس من فرسان الفلسفة، وبحر من بحور الثقافة التي ازدهرت وأينعت وآتت أكُلها في القرنين الثالث والرابع الهجريين؛ ذاك هو علي بن محمد بن العباس، الملقب أبا حيان التوحيدي، وسبب تلقيبه بالتوحيدي أن أباه كان يبيع نوعاً من التمر ببغداد، اسمه التوحيد[1]، وهو الذي يريده المتنبي بقوله:

يترشفن من دمي رشفات
هنّ فيه أحلى من التوحيد[2]

أبو حيان التوحيدي.. فيلسوف الأدباء وأديب الفلاسفة

بعد أن حصل التوحيدي ثقافةً واسعةً، ومعرفةً غزيرةً، وأدباً جماً، وعلماً كثيراً في شتى ضروب المعرفة، وبعد أن ألّف الكتب، وسطّر الأسفار الكبيرة، تطلّع إلى مجالس الولاة والوزراء؛ لعله يصبح غنياً

وُلد أبو حيان التوحيدي في بغداد، وقيل: في شيراز، سنة ٣١٢هـ تقريباً على خلاف بين العلماء؛ لأن الناس لا يقيّدون سنة ميلادهم كما نفعل الآن، ولأنهم لا يعرفون عن المولود أنه سيكون عظيما أو عالماً أو أديباً؛ لكي يذكروا سنة ولادته. أما الوفاة فقلّما تجهل؛ لأن الشخص كان قد اشتهر، وذاع صيته، وانتشر علمه وأدبه في الآفاق.

وهذا هو السرّ في أن كتب التراجم التي تُعنى بزمن الوفاة أكثر من عنايتها بزمن الميلاد.

وهناك خلاف في سنة وفاته: فبعضهم ذكر أنه توفّي سنة ٣٦٠هـ، وبعضهم ذكر أنه أسلم الروح إلى بارئها سنة ٣٨٠هـ. وذكر آخرون أنه مات سنة ٤٠٠هـ، أو بعدها بقليل؛ لأنه ذكر في بعض كتبه أنه كان حيا

سنة ٤٠٠هـ، وذكر فريق أنه غادر الحياة سنة ٤١٢ أو ٤١٤هـ. ويبدو أن هذا الرأي هو الأقرب إلى الصواب[3]. ومات ودفن في شيراز[4].

وهناك أيضاً خلاف في أصله بين العلماء: فبعضهم ذكر أنه شيرازي الأصل، أو نيسابوري، أو واسطي. قدم بغداد، وأقام بها مدة، ثم ذهب إلى الريّ. وبعضهم ذكر أنه عربي؛ لأنه لم يكن يعرف الفارسية، بل كان يدافع عن العرب، ويتعصّب لهم، ويمدحهم في الجاهلية والإسلام، ويثني على أخلاقهم وطباعهم ولغتهم. وكان يتهجّم على الفرس، ويتنقص منهم، ويذكر سفههم، وليس في مؤلفاته ما يدلّ على فارسيته؛ فهذا ما يُرجّح أنه عربي[5]. وكان يتكسّب رزقه من ممارسة الوراقة، ونسخ الكتب ببغداد، وكان جميل الخطّ، دقيق النقل، خبيرا بالتصحيف والتحريف، وقد نسخ بعض الكتب لبعض الوزراء[6]، إلا أنه سئم هذه الحرفة التي يسميها حرفة الشؤم.

ازدهار علمي

وعلى الرغم من هذا الجوّ المشحون بالخلافات والمشكلات الذي عاش فيه التوحيدي إلا أن الجو العلمي كان مزدهرا، وأصبح الملوك والأمراء الجدد يقرّبون العلماء والأدباء والشعراء؛ ليحاكوا خلفاء بني العباس، وليمدحهم الشعراء والأدباء؛ ليسير ذكرهم بين الناس، وليضفوا على ملكهم هالة من الأبهة والمجد. في القرن الرابع الهجري، عرف تاريخ العرب والإسلام أعظم العلماء في مختلف العلوم: كالخوارزمي، والصابي، وبديع الزمان الهمذاني، وابن عباد، وابن العميد، والشريف الرضيّ، وأبي الفرج الأصبهاني، والجرجاني، وابن مسكويه، والفارابي، وابن سينا، وابن دريد، وابن الأنباري، وابن فارس، والآمدي، والباقلاني، والرازي، وابن حزم، وابن شهيد، وأبي هلال العسكري، والحاتمي، والمرزباني، والثعالبي، والفارسي، والسيرافي، وابن جني، والمتنبي، وأبي فراس الحمداني، وغيرهم كثير.

على أيدي هؤلاء تتلمذ التوحيدي، ونهل منهم علما غزيراً، وحصل ثقافة واسعة في مختلف العلوم: فدرس الفلسفة والمنطق على أيدي كبار العلماء كأبي سليمان المنطقي، وابن مسكويه، وعلي بن

> كان التوحيدي يفضّل الفلسفة على الكلام، وربما هاجم المتكلمين وطريقتهم، فقال: والكلام كلّه جدل ودفاع، وحيلة وإيهام، وتشبيه وتمويه، ومخاتلة وتورية

عيسى الرماني، الذي أثنى عليه بقوله: لم يُر مثله قطّ، بلا تقية، ولا تحاش، ولا اشمئزاز، ولا استيحاش، علماً بالنحو، وغزارة في الكلام، وبصراً بالمقالات، واستخراجاً للعويص، وإيضاحا للمُشكل، مع تألّه وتنزّه، ودين ويقين، وفصاحة وفقاهة، وعفافة ونظافة. وكان على اطلاع واسع على فلسفة اليونان، وقد ذكر ذلك في كتبه. ودرس الفقه الشافعي والحديث النبوي، وروى عنه الحديث كثيرون[7]. كما درس اللغة والنحو والعروض على أبي سعيد السيرافي، الذي كان معجبا به إعجاباً عظيما؛ فهو يقول عنه: إنه الإمام، وشيخ الدهر، وقريع العصر، والعديم المثل، والمفقود الشكل، وهو شيخ الشيوخ، وإمام الأئمة معرفة بالنحو والفقه واللغة والشعر والعروض والقوافي والقرآن والفرائض والحديث والكلام والحساب والهندسة. أفتى في جامع الرصافة خمسين سنة على مذهب أبي حنيفة، فما وُجد له خطأ، ولا عُثر منه على زلّة، وقضى ببغداد، وشرح كتاب سيبويه في ثلاثة آلاف ورقة بخطّه، فما جاراه فيه أحد، ولا سبقه إلى تمامه إنسان، هذا مع الثقة والديانة، والأمانة والرواية[8]. ودرس على كثير من العلماء غيره. وللتوحيدي نقد للنحويين واللغويين[9]. وهو على اطلاع واسع بعلم الكلام والفلسفة، فقال عنه ياقوت: إنه فيلسوف الأدباء، وأديب الفلاسفة، ومحقّق المتكلمين، ومتكلّم المحققين، وإمام البلغاء، فرد الدنيا الذي لا نظير له ذكاء وفطنة، وفصاحة ومُكنة[10].

وكان يفضّل الفلسفة على الكلام، وربما هاجم المتكلمين وطريقتهم، فقال: والكلام كلّه جدل ودفاع، وحيلة وإيهام، وتشبيه وتمويه، ومخاتلة وتورية، وقشر بلا لبّ، وأرض بلا ريع، وطريق بلا منار، وورق بلا ثمر، المبتدئ فيها سفيه، والمتوسط شاكّ، والحاذق متّهم، وهي الجملة آفته عظيمة، وفائدته قليلة[11]. وقضايا الفلسفة منثورة في كتبه: كالحديث عن النفس والطبيعة والحكمة، وعلاقة المنطق بالفقه، وعلاقة الفلسفة بالدين، وغير ذلك[12].

لا زندقة ولا إلحاد

كان أبو حيان معجبا ببلاغة الجاحظ، متأثرا بأسلوبه؛ فهو يرى الجاحظ أستاذه، وبعض النقاد قالوا عنه: الجاحظ الثاني. وقال عن الجاحظ: أبو عثمان الجاحظ خطيب المسلمين، وشيخ المتكلمين، ومدره المتقدمين والمتأخرين، إن تكلّم حكى سحبان في البلاغة، وإن ناظر نازع النظّام في الجدال، وإن جدّ خرج في مسك عامر بن عبد قيس، وإن هزل زاد على مزيد، حبيب القلوب، ومزاج الأرواح، وشيخ الأدب، ولسان العرب. وكُتب التوحيدي رياض زاهرة، ورسائله أفنان مثمرة، الخلفاء تعرفه، والأمراء تصافيه وتنادمه[13]، جمع بين اللسان والقلم، وبين الفطنة والعلم، وبين الرأي والأدب، وبين النثر والنظم، وبين الذكاء والفهم[14]. وربما اتُّهم بالزندقة والإلحاد[15] بسبب تبنّيه بعض آراء علماء الكلام والمعتزلة، لكن هذه التهمة لم تثبت؛ لأنه ليس في كلام أبي حيان ما يبين عن زندقة أو إلحاد. وربما اتّهمه الناس بذلك إما لتصوّفه، وإما بسبب عدائه الناس وهجائهم، وسلاطة لسانه عليهم، واتّهامهم بالفساد والبخل، وإما محاباة لبعض الوزراء الذين ثلبهم وهجاهم وأغلظ القول عليهم؛ لأنه لم يجد لديهم حظوة أو إكراماً أو احتفاء.

وكانت للتوحيدي صلة واطلاع على رسائل إخوان الصفا، فعرض بعضها على شيخه أبي سليمان المنطقي، ونقدها نقداً شديدا، وقد سار على آراء شيخه، ولم يُثْن على إخوان الصفا عندما عرّفهم للوزير ابن

سعدان. وعندما بلغ من الكبر عتياً، واشتعل رأسه شيباً، وقارب الثمانين من العمر، حطّ رحاله في جنبات التصوّف: فقد وصفه ياقوت بأنه شيخ في الصوفية، وبأنه صوفيّ السمت والهيئة. ووصفه أبو العباس أحمد زركوب بأنه إمام في المتصوفة، لا نظير له. وكان يتزيّا بزيّ المتصوفة، وينطبع بطابعهم وسمتهم، وكان يأنس إليهم ويصاحبهم، وقد أقام في شيراز؛ لأنها عامرة بالصوفية، لكنه لم يكن يوافق غلاة الصوفية في بعض أفكارهم التي تتناقض مع تعاليم الإسلام: كتفضيل بعض الأولياء على الأنبياء، وموضوع الحلول والاتحاد، والغلو في حبّ النبي صلى الله عليه وسلم، وغير ذلك. وله أدعية كثيرة تشعّ بالتصوف العالي منثورة في كتابه (الإشارات الإلهية). وكان يتعبّد، والناس على ثقة من دينه، كما وصفه ياقوت.

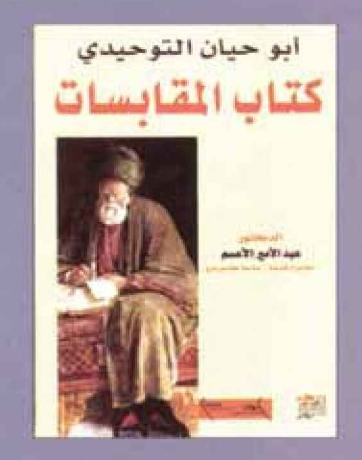
منحوس .. منحوس

بعد أن حصل ثقافة واسعة، ومعرفة غزيرة، وأدباً جماً، وعلماً كثيراً في شتى ضروب المعرفة، وبعد أن ألّف الكتب، وسطّر الأسفار الكبيرة، تطلّع إلى مجالس الولاة والوزراء؛ لعله يصبح غنياً مثل غيره من الكتّاب الذين لم يبلغوا مكانته، ولم يصلوا منزلته في أدبه وعلمه وثقافته، وليخلع رداء الفقراء، وينعم برغد العيش، ويتمتع برفاهة الحياة. إلا أن المنحوس منحوس ولو علّقوا على رأسه الفانوس؛ فلم يستجب الأغنياء والوزراء الذين قصدهم، وقرع أبوابهم؛ لمطالبه التي كان يصرّح بها، مثل قوله لأبي الوفاء المهندس: خلّصني من التكفّف، أنقذني من لبس الفقر، أطلقني من قيد الضرّ. وكان أشهر ثلاثة وزراء اتّصل بهم: الصاحب بن عباد، وابن العميد الابن، وابن سعدان. وكتب إلى الوزير أبي الفتح بن العميد الابن رسالة قبل وصوله إليه، فيها تذلّل وتصاغر واستجداء، يقول: لاحت لي غرّة الأستاذ، فقلت حلّ بي الويل، وسال بي السيل، أين أنا عن ملك الدنيا؟! أين أنا عمّن يرى البخل كفراً صريحاً، والإفضال ديناً صحيحاً؟! أين أنا عن سماء لا تفتر عن الهطلان، وعن بحر لا يقذف إلا باللؤلؤ والمرجان؟! لم لا أقصد بلاده؟! لم لا أقتدح زناده؟! لم لا أنتجع جنابه، وأرعى مزاده؟! لم لا أستمطر سحابه؟ لم لا أستسقي ربابه؟! أصلح أديمي فقد حلم (فسد)، وجدّد شبابي فقد هرم، وريّش عظمي فقد براه الزمان، واكسُ جلدي فقد عراه الحدثان. إلا أن أبا الفتح ابن العميد، والصاحب بن عباد، وابن سعدان لم يحقّقوا له ما كان يؤمّله ويرجوه من العطايا والهدايا والغنى والمال؛ لأنه كان يردّ عليهم في مجالسهم، ويغلّطهم في بعض المسائل، ولم يكن يحسن التعامل مع الوزراء باللباقة والسياسة والكياسة؛ لذلك ثلبهم، وتهجّم عليهم، ووصفهم بأبشع الصفات، يقول أبو حيان عن ابن العميد: فهو بخيل ماجن، صاحب لهو وصيد، حسود حقود ظالم. وكذلك فعل مع الوزير الصاحب بن عباد، والوزير ابن سعدان. وقد ألّف كتابه (مثالب الوزيرين) في هجاء الوزيرين: ابن العميد، وابن عباد.

تلفيق التهم

الحقيقة أن أبا حيان كان يثلب أصحاب الوزراء وندماءهم، ويتطاول عليهم أمام الوزراء، ويصفهم بأوصاف لا ترضيهم، بل تسيء إليهم، وهذا الأمر جعلهم يلفّقون التهم لأبي حيان، ويدسّون الدسائس عليه، ويكيدون له، إضافة إلى تعريضه ونقده العلماء والشعراء والأدباء، واحتقاره وازدرائه العامة من الناس، وحنقه وحقده على الزمان الذي عاش فيه، يقول: أصبحنا في هذه الدار الدنيا وكأننا في قاع أملس، أو أثر أخرس، لم يبقَ من يُرضى هديه، أو يُقتبس علمه، أو يُخطب عُرفه، أو يُقتفى جوده، أو يُستفاد لفظه... بارت البضائع، وغارت البدائع، وكسد سوق العلم، وجمد ذكر الكرم، وصار الناس عبيد الدرهم بعد الدرهم.

وبسبب عدم معرفته اللباقة والكياسة وحسن التصرّف في معاشرة الوزراء خاف الوزراء منه، وتغافلوا عنه، ولم يكرموه، كلّ ذلك أدى إلى كره الناس له، وعدم إنصافه، واتّهامه بالزندقة وضعف الدين.



عمر مديد وعصر مضطرب

عاش أبو حيان التوحيدي عمراً مديداً يقارب مئة عام في القرن الرابع الهجري الذي كان مضطرباً من الناحية السياسية؛ فالخلافة تفكّكت عراها، وتشتّت شملها، وضعفت قوّتها، وخَبَتْ نارها، وبهت وهجها، وجاء خلفاء ضعفاء تحكّم بهم الضباط الأتراك، والقواد الفرس، الذين اشتدّ شرّهم، وعظم بلاؤهم، وتفاقم نفوذهم، فطمع الولاة بالاستقلال والانفصال عن جسم الخلافة العباسية، وجبوا الأموال لهم، وكفُّوا يد الخليفة، وأصبحت هناك دويلات للبويهيين، والسامانيين، والحمدانيين، والغزنويين، والإخشيديين، والفاطميين، والقراطمة، والديلم، وغيرهم، وزال الأمن، وثار الناس واقتتلوا فيما بينهم، ونُهبت البيوت، وسُرقت الأموال، وقد امتدت أيدي النهب إلى منزل أبي حيان، فنهبوا كلّ ما فيه من ذهب وملابس وأثاث، وطمع خصوم الدولة الإسلامية، فهاجموها، واستولوا على بعض مدنها. في هذا الجوّ الصعب الشديد عاش أبو حيان التوحيدي، وكان يسافر من بلد إلى بلد طمعاً في الرزق، وطلباً للعلم.

وهو ما جعله يزهد في كتبه التي ألّفها وسطّرها، والتي كان يأمل منها أن تجعله ذا ثراء وغنى، وصاحب أموال وأراض، ويعيش بسببها في بحبوحة العيش، ورفاهة الحياة ورغدها، لكنها لم تفعل له شيئاً، فلم تُنقذه من فقره وعدمه، وسوء عيشه وبؤسه، ولم تبوّئه المكانة التي كان يرجوها، والمثالة والوجاهة بين الناس التي كان يتمناها، والمنزلة التي كان يؤمّلها، والتي حصل عليها من كان دونه في العلم والأدب، فأحرق هذه الكتب التي هي ثمرات عقله، وغراس قلمه، وفلذات نفسه، ونتائج كدّه وسهره، وقد علّل ذلك بأنها لم تنفعه؛ فقد عاش معدماً فقيراً حانقاً على الناس، كارهاً المجتمع، سليط اللسان، شديد العداوة، لدود الخصومة، ولم يجد من يفهمها ويقدّرها، وأنه كبر وقارب الثمانين، فلا أمل له في مجد أو غنى أو لذة حياة، في مدة ضعف ومرض؛ لقلّة جدواها، وضناً بها على من لا يعرف قدرها بعد موته، وغير ذلك، وقد ذكر تعليل حرقه كتبه في كتاب طويل أرسله إلى القاضي أبي سهل علي بن محمد، يسوّغ فيه فعلته، ويعلّل سبب حرقه هذه الكتب [٢٧]، وهو رسالة جميلة رائعة.

الجاحظ الثاني

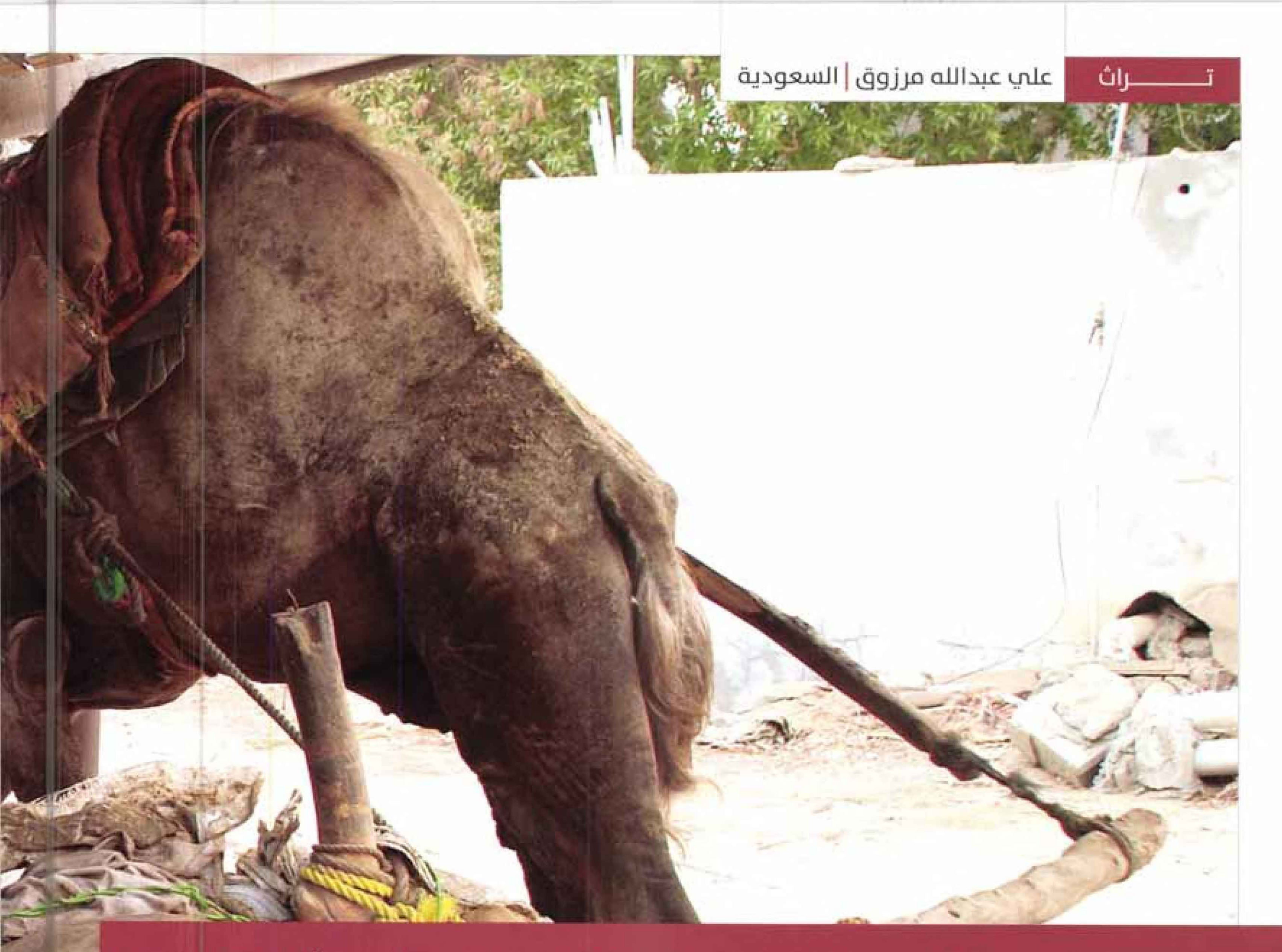
كان أبو حيان التوحيدي عملاقاً من عمالقة الكتّاب العرب، وقمة من قمم الأدب والعلم، والثقافة والمعرفة، والبيان والبلاغة، وصدق من قال: إنه الجاحظ الثاني، وربما فاق الجاحظ الأول في كثير من ألوان الثقافة، وأضرب العلم التي ازدان بها القرن الرابع الهجري، ولم تكن في زمن الجاحظ الأول، وأهم كتبه: الصداقة والصديق، والإمتاع والمؤانسة (جزءان)، والإشارات الإلهية (جزءان)، والمقابسات، وتقريظ الجاحظ، وذمّ الوزيرين (مثالب الوزيرين)، والبصائر والذخائر، والهوامل والشوامل، والحجيج، ورسالة في العلوم، والمحاضرات والمناظرات، والرسالة في الحنين إلى الأوطان، والردّ على ابن جني في شعر المتنبي، وغيرها [٢٧].

التوحيدي يثلب أصحاب الوزراء وندماءهم، ويتطاول عليهم أمام الوزراء، ويصفهم بأوصاف لا ترضيهم، بل تسيء إليهم، وهذا الأمر جعلهم يلفقون له التهم

المراجع

(١) معجم الأدباء، ياقوت الحموي، ١٥/٥، والأعلام، خير الدين الزركلي، ٤/٣٢٦، وأبو حيان التوحيدي، أحمد الحوفي، ١/٢٣، ٢٤.
(٢) شرح ديوان المتنبي، البرقوقي، ٣/٤٠.
(٣) أبو حيان التوحيدي، الحوفي، ١/٢٣، ٢٤، أبو حيان التوحيدي أديب الفلاسفة وفيلسوف الأدباء، زكريا إبراهيم، ص١٦.
(٤) الأعلام، الزركلي، ٤/٣٢٦، وأبو حيان التوحيدي: أديب الفلاسفة وفيلسوف الأدباء، زكريا إبراهيم، ص٦٣.
(٥) أبو حيان التوحيدي، الحوفي، ١/٢٥، ٢٦.
(٦) المرجع السابق، ١/٢٨.
(٧) معجم الأدباء، ياقوت الحموي، ١٥/٢٨.
(٨) أبو حيان التوحيدي، الحوفي، ١/٣٠، ٣٥.
(٩) معجم الأدباء، ياقوت الحموي، ١٥/٨، والإمتاع والمؤانسة، أبو حيان التوحيدي، ١/١٢٨، ١٣٢.
(١٠) أبو حيان التوحيدي، الحوفي، ١/٣٥، ٣٦، والبصائر والذخائر، أبو حيان التوحيدي، ٢/٢٠، ٢٣.
(١١) معجم الأدباء، ياقوت الحموي، ١٥/٥، وأبو حيان التوحيدي أديب الفلاسفة وفيلسوف الأدباء، زكريا إبراهيم، ص٤.
(١٢) المقابسات، أبو حيان التوحيدي، ص١٩٤.
(١٣) أبو حيان التوحيدي، الحوفي، ١/٩٨، ١٠٠.
(١٤) معجم الأدباء، ياقوت الحموي، ١٥/٩٦، ١٠٢، وأبو حيان التوحيدي، الحوفي، ١/٩٤، ٩٥.
(١٥) طبقات الشافعية، السبكي، ٤/٣، وأبو حيان التوحيدي، الحوفي، ١/٩٠، ٩٧.
(١٦) الإمتاع والمؤانسة، أبو حيان التوحيدي، ٢/٦.
(١٧) معجم الأدباء، ياقوت الحموي، ١٥/٥.
(١٨) شيرازنامة، ص١٠٩، نقلاً عن أبو حيان التوحيدي، الحوفي، ١/٩٨.
(١٩) معجم الأدباء، ياقوت الحموي، ١٥/٥.
(٢٠) أبو حيان التوحيدي، الحوفي، ١/٩٩.
(٢١) الفصل في الملل والنحل، ابن حزم، ص٤/١٨٨، وأبو حيان التوحيدي، الحوفي، ٩٨/٤، ١٠٦، ١٨٨.
(٢٢) الصداقة والصديق، أبو حيان التوحيدي، ص٦، وأبو حيان التوحيدي، الحوفي، ١/٩٩.
(٢٣) معجم الأدباء، ياقوت الحموي، ١٥/٥.
(٢٤) معجم الأدباء، ياقوت الحموي، ١٥/١٦، وأبو حيان التوحيدي، الحوفي، ١/١١٠، ١١١.
(٢٥) معجم الأدباء، ياقوت الحموي، ١٥/١٦، ٢٦، وأبو حيان التوحيدي، الحوفي، ١/١١٥.
(٢٦) معجم الأدباء، ياقوت الحموي، ١٥/٨، وأبو حيان التوحيدي، الحوفي، ٢/٨.
(٢٧) معجم الأدباء، ياقوت الحموي، ١٥/٧، ٨، وأبو حيان التوحيدي، الحوفي ٢/٧.

علي عبدالله مرزوق | السعودية



استـخراج السَّلِيط.. مهنة لها أسرارها

تعدّ حرفة استخراج زيت السمسم (السَّليط)[1] من الحرف المهمة التي اشتغل بها كثير من الأهالي في المملكة العربية السعودية؛ بسبب توافر السمسم الذي كان يُزرع في بعض المناطق، مثل: عسير، وجازان، إضافةً إلى أطراف الحجاز الجنوبية، خصوصاً السمسم البني (الجلجلان)، المعروف بحبته الكبيرة، واحتوائه على كميات كبيرة من الزيت تفوق كمية الزيت المستخرجة من السمسم الأبيض، الذي يستورد من بعض البلدان العربية كالسودان[2]. ولأن زراعة السمسم في منطقتي مكة المكرمة وعسير منتشرة فقد انتشرت معاصره التقليدية، خصوصاً في مدن السهل التهامي؛ كمدن القنفذة، ومحايل، وبارق، والمجاردة.

علاج وغذاء

زيت السمسم له من اسمه نصيب؛ فهو سليطٌ؛ أي: مُسلّط على كثير من الأمراض؛ لأنه خالٍ من الكولسترول، ويحتوي على نسبة كبيرة من الكالسيوم؛ لذا يصنّف ضمن الأغذية الطبية النافعة؛ فهو مفيد للعظام والأسنان، وهو مفيد كذلك لمرضى الضغط، ويسهم في خفض درجة حرارة جسم الإنسان عند ارتفاعها بفعل الأمراض. كما يستخدم مُكمّلاً غذائياً غنياً إذا وُضع مع الفول، ويُقلى به السمك



واللحم، كما أنه يدخل في صناعة الحلوى الشعبية الشهيرة: الطحينية. ومن استخدامات السليط الشائعة كذلك تدليك الجسم المُتعب، أو العضلات المتشنجة به؛ فيزيل -بفضل الله- آثار التعب وتشنّج العضلات، ويعالج آلام المفاصل. أما عند دهن الشعر به، فإنه يعمل على تغذية بصيلاته، فيزيده نعومةً ولمعاناً. كما أنه يساهم في تخفيف آلام الصداع. وللسليط استخدامات أخرى كثيرة؛ فقد كان قديماً يُستخدم في إضاءة السُّرج[٣].

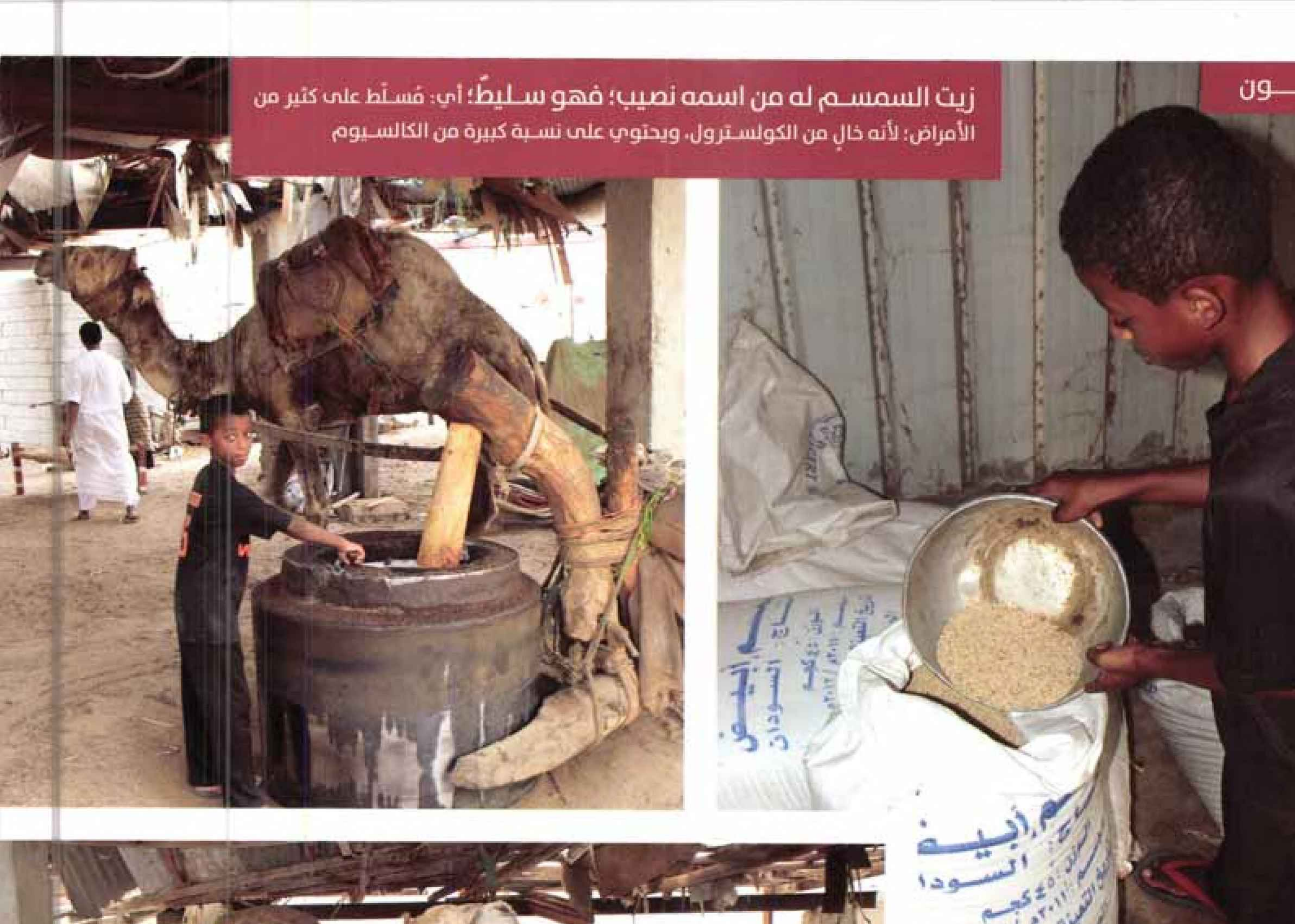
أجزاء المعصرة

تتكوّن المعصرة من ثمانية أجزاء مهمة[٤]، هي:

- العَرج (الزير): وهو تجويف مخروطي يُصنع من شجر السدر، قطره من الأعلى نحو المتر، ويتضاءل كلما اتجهنا إلى الأسفل. وهذا الأمر يسهم في تثبيت جزء المعصرة الأسفل في داخل الأرض؛ فلا تميل أو تتحرك. أما عمق تجويف العرج من الداخل، فنحو نصف متر، ويكون قطره في الأعلى متّسعاً، ويضيق في الأسفل؛ لتسهيل حركة السُّك داخل العرج، وللحيلولة دون خروجه من مكانه. وشجرة السدر تقدّر قيمتها بأكثر من ألفين وخمسمئة ريال، وتُجلب من منطقة جازان، أو من (وادي حلي) في مدينة محايل عسير. ويستغرق حفر تجويف العرج الداخلي وتسويته من أسبوع إلى عشرين يوماً.

- السُّك: كتلة خشبية صماء ناعمة الملمس، طولها يراوح بين ١٠٠ و١٢٠سم، عريضة

زيت السمسم له من اسمه نصيب؛ فهو سليطٌ؛ أي: مُسلّط على كثير من الأمراض؛ لأنه خالٍ من الكولسترول، ويحتوي على نسبة كبيرة من الكالسيوم



القاعدة من الأسفل، ومدبّبة الرأس من الأعلى؛ ليسهل دخولها في تجويف القويبع الذي يصل بينها وبين الساحنة. ويصنع السك من شجر السّمر، ووظيفته الضغط على حبوب السمسم داخل العرج لطحنها.

- القُوَيْبع: خشبة سميكة مقوسة تُصنع من شجر الأثل، وربما سُمّيت بذلك لأنها مثل القُبّعة[*] التي تُغطي رأس السُّك، أما طرفها الآخر فمتّصل بالساحنة والداير وحبال العروس، فيشكّل بذلك ضغطاً قوياً على السُّك، ويعمل على دورانه لطحن السمسم.
- الداير: خشبة مقوّسة ملتصقة بجسد المعصرة (العرج)، تمنع اصطدام الساحنة بجسد المعصرة، فتسهّل عملية العصر.
- الساحنة: خشبة طويلة، وظيفتها حمل الأثقال من أكياس التراب والحجارة، متّصلة بالقويبع والداير من جهة المعصرة، بينما يتّصل طرفها الآخر بعمود التوازن والسيف المتّصل بالجمل من جهة اليمين؛ ليدور الجهاز كله، وتتم عملية العصر.
- العروس: خشبة متّصلة بالداير، وظيفتها المساهمة في إسناد الأثقال.
- الأثقال: أكياس من الرمل أو الحجارة توضع على الساحنة، فتشكّل ضغطاً قوياً على السُّك؛ ليؤدي عملية الطحن بشكل جيد.
- السيف: قطعتان من الخشب مربوطتان بعمود التوازن، وبالجمل من جهته اليمنى، وظيفته جرّ عمود التوازن المربوط بالساحنة، ثُمّ جرّ كامل مكوّنات المعصرة عكس عقارب الساعة.

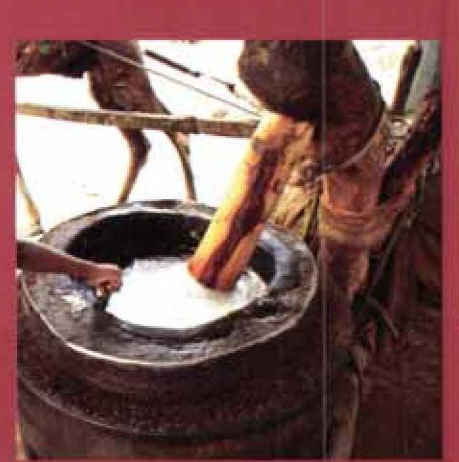
عملية الاستخراج

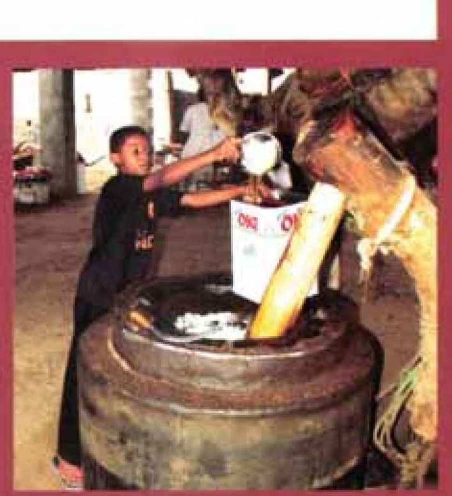
يبدأ العمل لاستخراج زيت السمسم السليط، بعد صلاة الفجر، فيضع العصار نحو خمسة وأربعين كيلوجراماً من السمسم الأبيض أو الأسود في جوف المعصرة (العرج)، ثم يضع

المشدّ على الجمل بعد أن تُعصب عيناه؛ حتى لا يصاب بالدوار، ويُحرّك الجمل للدوران عكس عقارب الساعة؛ فعندئذ يأخذ السُّك في طحن السمسم تحت ضغط كبير عليه بواسطة وضع ثقالات من الحجارة أو أكياس الرمل. ويستمر الجمل في الدوران نصف ساعة؛ حتى تتحوّل حبيبات السمسم إلى حبيبات مجروشة، عندها يُضاف مقدار يراوح بين لتر ونصف اللتر ولترين من الماء، ويقلّب الخليط بسكين باستخدام اليد اليسرى؛ لأن العصار يدور مع اتجاه حركة الجمل؛ كيلا يدهسه. ويستمر التقليب ساعة، بعدها يترك الجمل يقوم بمهمة العصر بشكل مستمر مدة ستّ ساعات متواصلة. وحينما يقف الجمل عن الدوران يأمره العصّار بالاستمرار، قائلاً له: امش، فيستمر، وإذا أراده أن يقف يطلب منه ذلك، فيقول له: بس، فيقف؛ لأن الجمل يعرف لغة خطاب العصّار. ويكون دور العصّار خلال هذه المدة مراقبة الجمل حتى لا يقف، ومراقبة عُصارة الزيت (التخ) الملتصقة بحائط المعصرة من التسرب إلى الخارج. وبعد انتهاء المدة الزمنية المحددة يتجمع زيت السمسم في منتصف العرج، فيشرع العامل الذي يساعد العصّار في تجميع الزيت في وعاء أُعدّ لهذا الغرض، إما بشفطه باستخدام اللَّيّ، وإما بغَرْفه باستخدام زبدية مخصّصة لذلك. ويراوح إنتاج المعصرة اليومي بين ثمانية عشر وعشرين لتراً، يفرغه عامل المعصرة في جراكل بلاستيكية بأحجام مختلفة، تبدأ من خمسة لترات، وتصل إلى عشرين لتراً. أما المتبقي من الزيت في أسفل المعصرة، فيسمى (خُزانة)، وهو زيت مركّز، يزيد سعره على الزيت السابق؛ نتيجة الإقبال عليه بسبب الاعتقاد الشعبي بأنه زيت مقوٍّ للجسم، ويستخدم في علاج بعض الحالات المرضية. والطريف أن أهالي القرية يتحاشون الاحتكاك بعائلة العصّار؛ لاعتقادهم خطأ أنهم يأكلون الخُزانة، وبذلك يكونون أقوياء. ولاستخراج الخُزانة من المعصرة لا بد من إخراج السُّك من مكانه، ووضعه جانباً، إلى أن يتم غرف زيت الخُزانة المتجمع تحت قاعدة السُّك. أما عُصار السمسم (التخ)، فيضعه العامل في أكياس، ويقدّم طعاماً شهياً للجمل نظير ما قام به من جهد، والفائض يقدم طعاماً لبقية الحيوانات.

الجمل تحت الاختبار

يقوم الجمل بالدور الأكبر؛ لأنه يحرّك كل أجزاء المعصرة السابقة. وقبل شراء الجمل يخضعه العصار لاختبار تجريبي بسيط؛ لمعرفة مدى صلاحيته للقيام بمهمات العصر بشكل جيد، فيجعله يدور حول نفسه ساعةً، فإن قام بهذا الدور فهو صالح للعمل، وإن رفض الجمل الدوران يتركه؛ لأنه غير صالح للعمل. والمعروف أن الجمل لا يمكن إجباره على عمل لا يرغب في ممارسته مهما استغرق تدريبه من وقت.





الزبائن لا يزالون على العهد

التقيت العصّار شاكر محمد مسعود القداح (٤٧ عاماً)، الذي يمارس الحرفة منذ أن كان طفلاً؛ فقد (وشي عليها) كما يذكر؛ أي: أنه يعرفها منذ الطفولة؛ فقد تعلّم الحرفة، وعمره عشر سنوات، عن أبيه، الذي أخذها عن جده، وكان في ذلك الوقت يجهّزها لوالده ويتابعها حتى يبدأ الزيت في الظهور، ثم يذهب ليلعب الكرة. وبالمثل، ففي الوقت الحاضر يساعد القداح ابنه محمد (١٠ أعوام) في أوقات الإجازات المدرسية فقط؛ فهو يتمنى أن يصبح طبيباً في المستقبل. وعن الصعوبات التي تواجهه يقول القداح: الحرفة بدأت تنقرض؛ بسبب أن هناك من ينادي بالرفق بالحيوان، مع أننا لا نقوم بضرب الجمل، أو نرهقه، بل نحرص على إراحته باستخدام جمل آخر بديلاً منه بشكل متناوب، ونغذّيه بشكل جيد؛ حتى يمارس العمل بنشاط، وعند الانتهاء من عمله نعطيه العُصارة (التّخ)، وهو بقايا السمسم الذي يبقى على أطراف تجويف العَرج، نظير ما قدّمه من جهد.
أما عن دخل الحرفة، فذكر أنه جيد على الرغم من الالتزامات المادية التي عليه؛ فهو يعول أكثر من أسرة. ولم يُخفِ القداح أن الإقبال على مزاولة الحرفة قليل في الوقت الراهن على الرغم من الإقبال الكبير على السليط؛ فزبائنه من كثير من مناطق المملكة المختلفة، ومن دول الخليج.

الهوامش والمراجع

(١) السَّليط عند عامة العرب: الزَّيْت، وعند أهل اليمن: دُهْنُ السِّمْسم، وقيل: هو كلُّ دُهْنٍ عُصِرَ من حَبٍّ. انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة: سلط.
(٢) الدائرة الإعلامية، الثقافة التقليدية، ج٢، ص٤٨٠.
(٣) استخدم العرب السليط في إضاءة السُّرج، انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة: سلط، ومنه قول امرئ القيس يصف البرق في معلقته المعروفة:
أصاحِ ترى برقاً أريك وميضه ... كلمع اليدين في حبيٍّ مكلّلِ
يضيء سناه أو مصابيح راهبٍ ... أمال السّليط بالذُّبال المفتّلِ
والذُّبال: جمع ذُبالة، وهي الفتيلة التي تُدهن أو تُغمس بزيت السمسم فتضيء السراج. انظر: مفيد قميحة، شرح المعلقات العشر، بيروت، لبنان، مكتبة الهلال، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ص٧٠.
(٤) لقاء مع العصار شاكر محمد مسعود القداح.
(٥) القُبّعة: خرقة تُخاط كالبُرْنُس يلبسها الصبيان. انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة: قبع.


تربيــة
عبدالباقي يوسف | سورية
جوهر العلاقة
بين أدب الأطفال وتربية الطفل

يتدرّج الطفل في مراحل الطفولة سنةً بعد سنة، وكلّ سنة تختلف عن سابقتها في كثير من المفاهيم؛ فهو يبني شخصيته من خلال كلّ سنة جديدة يدخلها؛ لذلك فإنه يحتاج إلى تدرّج في وسائل للتربية تتماشى وتنسجم مع كلّ مرحلة جديدة يلجها، ويكتشف معالمها.

الإنسان كائن اجتماعي بفطرته؛ لذلك يميل إلى العيش في قلب المجتمع؛ يتأثر به، ويؤثّر فيه، في علاقة إنسانية تكاملية. وعندما يتعرّف الطفل العالم فإنه يميل نحو أصدقاء له من الجوار، وعندما يذهب إلى المدرسة يكوّن علاقات صداقة مع زملائه؛ يزورهم، ويدعوهم إلى زيارته. ويحتاج الطفل في هذه المرحلة إلى توجيه طاقته، وعنفوان المرحلة التي ولجها، نحو قوة التسامح، وقوة المحبة؛ لأنه يستطيع أن يصرف هذه الطاقة، وهذا العنفوان، في ممارسة قوة المحبة والتسامح وصلة الرحم، إلى جانب التعبير من خلال الإبداع الذي يميل إليه.

أهمية أدب الطفل

يتدرّج أدب الطفل -كذلك- في مراحل متعددة؛ فهو يخاطب الطفل وفق ما يتحقّق من منجزات. يقول سيث ليرر: ترك كتاب (روبنسون كروزو) لدانييل ديفو أثراً هائلاً في أدب الأطفال والكبار على السواء، وهي رواية تجمع بين اللونين الفلسفي والاجتماعي، اللذين أسهما في ثقافة أدب الأطفال. إيمان المتطهرين وفلسفة المعرفة عند لوك، هكذا تتابع الرواية الرحلة للخلاص نحو الإصلاح، نحو اكتشاف الذات، وفي مدارس أوربا كان كتاب (روبنسون كروزو) في كل مكان.

في قراءة روسو رواية ديفو يتجاوز لوك نحو تقويم الطفل بمعايير المشاعر، الطفولة أشياء كثيرة، هي زمن للاكتشاف، وميدان للمغامرة. بعد ذلك ظهرت شخصيات جديدة، مثل ستيفنسون في عمله (جزيرة الكنز) في القرن الثامن عشر الميلادي؛ لإثارة مغامرات الزمن قبل الصناعي، وأصبح تاريخ كتب النشء يعيش على محاور الجزر والقارة وارتباطاتها. وكان لابد من ظهور نموذج جديد مع المجتمع الصناعي يقف على مفهوم الأسلوب، كما حصل في رسائل لورد شستر فيلد إلى ابنه غير الشرعي. لقد برزت اللياقة بصفتها مفهوماً اجتماعياً، ويتجلّى ذلك في كتاب (الأيام المدرسية) لتوم براون، وأهم الاختراعات التي جعلت الأحداث تُعاش في الزمن الحاضر هي التلغراف في أواخر العقد الرابع للقرن التاسع عشر الميلادي، وأصبح توماس أديسون شخصيةً محبّبةً إلى الأطفال. إن هذه الثقافة العلمية ولّدت الصحف والكتب والمجلات التي غذّت مخيّلة الفتيان. إن أطفال الماء، وفتيان الغابات، والرجال القردة، ملؤوا المخيّلات خلال الحقبة الممتدة من طباعة (أصل الأنواع) لداروين إلى تأسيس الحركة الكشفية عام ١٩٠٨م، تلك الحقبة التي امتدحها النقد الأدبي بوصفها (العصر الذهبي لأدب الأطفال). إن أهمية داروين لتاريخ أدب الأطفال تكمن في طريقة رواية سيرة حياته، وذكريات طفولته، وعلاقته المعقدة والشديدة التأثر بأجداده. كان داروين يثير السرور والخوف شأن جميع كتّاب القصص الخرافية للأطفال، وكما علّق داروين على تخيّلاته الصبيانية فإن كنفسي لاحظ أن الإنسان يخترع قصصاً. إن أثر داروين يكمن في هذا الرجحان بين الحقيقة والخيال.

يتلقّى الطفل ملامح التدرّج في النصوص الأدبية المكتوبة، ويستجيب لكلّ مرحلة من المراحل التي يدخلها، ويتفاعل مع مستجداتها. والأمر هنا يقع على عاتق الأبوين؛ كي يختارا بعناية فائقة نماذج الآداب المتوافقة مع ميول طفلهما، ومع مراحله العمرية. كما يمكن أيضاً توجيه الطفل إلى إعادة ما قرأ خلال مرحلة سابقة؛ حتى يكون أكثر استيعاباً لها، ويتهيّأ من خلال ذلك إلى تلقّي نصوص أدبية جديدة.

اهتم الإنسان بتوجيه الطفل منذ القدم، ونجد في التراث الإنساني أشكال التربية والتوجيه للطفل؛ ففي التراث اليوناني وجّه الشعراء والأدباء بعض

لمسات جمالية

أعيش الآن مع ثلاثة أطفال، وأمضي برفقتهم معظم أوقاتي، أدخل عالمهم، وأتحاور معهم، وأقوم بتربيتهم. روهات هي ابنتي الكبرى في سنتها الخامسة الآن، ولوند ابني في سنته الثالثة، وشيروان ابني شهره الرابع. كنت أريد أن أقول أن تماشي المباشر مع تربية أطفالي في هذه المراحل جعلني أكثر قرباً من عالم الطفولة، وأكتشف لمسات جمالية ما كنتُ أخبرها. إن روهات، وهي تداعب شعري، تمنحني دفء الأمومة. روهات تمازحني، وتميل إليّ، وتريد أن تكون معي حتى وأنا في غرفة الكتابة، وعندما تمنعها أمها قائلةً: بابا يعمل، أسمع صوتها تناديني، فأنهض وأفتح لها الباب لتدخل، وبعد قليل يطرق لوند الباب، فأفتح له. أتركهما نحو نصف ساعة وهما يقلّبان كلّ ما يقع في أيديهما، ثم تدخل أمهما تخرجهما، وتعيد ترتيب كل شيء.



نجد في التراث الشعري العربي أشكال الكتابة للطفل، حتى إن كبار الشعراء خصّوا الطفل ببعض قصائدهم؛ وكتب امرؤ القيس عبدالزحلوق التي يلعب بها الأطفال

نتاجهم إلى الطفل، ومنهم، على سبيل المثال: موسخوس، ويوريبيديس، وبيون، وثيوكريتوس؛ فقد خاطب بيون الطفل قائلاً:

يا بني لا تلجأ إلى الناس دون مبرّر

ولا تعتمد على الغير في إنجاز عملك

حاول أن تصنع مزمارك بنفسك

كلّ شيء يتم بمشيئة الآلهة

أراد بيون أن يعتمد الطفل على نفسه وهو يشقّ طريقه في الحياة، وفي الوقت ذاته جعله يشعر بأن الله يكون في عون من كان في عون نفسه، إنه يدفع الطفل كي يشعر بالمسؤولية تجاه الحياة، ويعتمد على نفسه.

ونرى في التراث المصري القديم أشكال العناية بتوجيه الطفل، ومن ذلك قصيدة (نشيد النيل) التي تقول للطفل:

حمداً للنيل ينزل من السماء

ويسقي البراري البعيدة عن الماء

وينتج الشعير، وينبت الحنطة

وهو سيد الأسماك

وهو الذي يحدّد للمعابد أعيادها

كما اهتمت الإمبراطورية الفارسية بأدب الطفل، وتركت تراثاً جيداً، ومن ذلك ما ورد في كتاب (أصل الخليقة)؛ إذ يجيب الطفل الذي يسأل عن الزمان قائلاً:

الزمان من كلا المخلوقين أقوى

الزمان من كلّ متملّك أملك

الزمان من كلّ ذي علم أعلم

زماننا يمضي ويتفرّق

لا يمكن للروح أن تتخلّى عن الجسد

ولا حين تطير في الأعالي

كما خاطبت حضارة وادي الرافدين الطفل في ملحمة جلجامش؛ فهي تقول له:

من سلك سبيل العدوان واغتصبت يده ما ليس له

من نظر نظرة رضا إلى مواطن الشر

من بدّل الوزن الكبير بالوزن الصغير

من أكل ما ليس له ولم يقّل ما حدث

فسوف يعاقب على جرائمه

ونجد في التراث الشعري العربي أشكال الكتابة للطفل، حتى إن كبار

الطفل هو ذلك الكائن البشري الوديع المفعم بالحساسية تجاه كل ما يرى ويسمع، وهو يحتاج إلى رقة وعذوبة واستيعاب لكينونته من خلال أبويه بالدرجة الأولى. وفي جميع الأحوال، فإن الطفل يمنحنا أكثر مما يأخذ منا، يكفيه أنه يحقّق لنا حالة توازن بين الناس. إن صفحة الطفولة هي صفحة البراءة والتلقائية الإنسانية، وعندما ننظر إلى الأطفال نشعر بأن العالم فيه متّسع من البراءة والعذوبة، وينتابنا إحساس بأن العالم بخير.

الشعراء خصّوا الطفل ببعض قصائدهم؛ فقد لفتت لعبة (الزحلوقة)، التي يلعب بها الأطفال، نظر امرئ القيس، فقال:

لمن زحلوقة زل

بها العينان تنهل

ينادي الآخر الأل

ألا حلوا.. حلوا

وفي معلقته يقول عمرو بن كلثوم رافعاً معنويات الأطفال في مجتمعه:

ألا بلّغ بني الطماح عنّا

ودُعمياً فكيف وجدتمونا؟!

إذا ما الملك سام الناس خسفاً

أبينا أن نقرّ الذلّ فينا

ملأنا البرّ حتى ضاق عنا

وماء البحر نملؤه سفينا

إذا بلغ الفطام لنا صبيّ

تخرّ له الجبابر ساجدينا

ثنائية التربية والأدب في منهج الارتقاء بتربية الطفل

يقول الإمام الغزالي في كتابه (إحياء علوم الدين): «اعلم أن الطريق في رياضة الصبيان من أهم الأمور وأوكدها، والصبيّ أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية من كل نقش وصورة، وهو قالب لكلّ ما يُملأ به؛ فإن عوّد الخير وعلمه نشأ عليه، وسعد في الدنيا والآخرة، وشاركه في ثوابه أبوه وكلّ معلم له ومؤدّبوه، وإن عوّد الشر، وأهمل إهمال البهائم، شقي وهلك، وكان الوزر في رقبة القيّم عليه والولي له».

وقد وردت تعريفات كثيرة في التراث الإسلامي عن الطفل، منها وصف النبيّ صلى الله عليه وسلم: «الطفل ريحانة من الجنة». ويصف معاوية ابنته بـ(تفاحة القلب)؛ فقد دخل عمرو بن العاص عليه، وعنده ابنته عائشة، فقال: من هذه يا أمير المؤمنين؟ قال: هذه تفاحة القلب، ثم أضاف: فوالله ما مرّض المرضى، ولا ندب الموتى، ولا أعان على الإخوان إلا هنّ. فقال عمرو: يا أمير المؤمنين، إنك حبّبتهن إليّ. وكان الزهير بن العوام يرقّص ولده، ويقول:

أزهر من آل بني عتيق

مبارك من ولد الصديق

ألذه كما ألذّ ريقي

قدّمت المكتبة الطفلية كثيراً من المعارف والمواعظ للطفل، ووجّهته بطرائق أدبية غير مباشرة إلى سبل الصلاح، والتفوّق، والقيم، والأخلاق، والعمل، والمساواة، والمحبة. واليوم، فإن طفلاً يقرأ هو متقدّم على طفل لا يقرأ، وأب يقرأ هو أب متقدّم على أب لا يقرأ، وأمّ تقرأ هي أم متقدّمة على أمّ لا تقرأ، ومجتمع يقرأ هو مجتمع متقدّم على مجتمع لا يقرأ.

يحتاج الطفل إلى عناية تربوية مركّزة من أبويه، وكذلك من رياض الأطفال، ومن المدارس؛ فالإنسان يبقى ابناً لماضيه، يبقى ابناً لأبويه، لمعلّميه، بل حتى للحيّ الذي نشأ فيه. يبقى الطفل متأثراً بكلّ العوامل التربوية والبيئية التي نشأ وترعرع فيها. ولننظر هنا إلى هالة الشفافية والخصوصية التي وصف بها النبيّ صلى الله عليه وسلم شخصية الطفل، ثم إلى هذا التوجّه إلى عامة الناس بشأن التعامل مع الطفل، وهو يحدّد ملامح شخصية الطفل للناس من خلال الأحاديث الآتية:

- يقول صلى الله عليه وسلم: «أدّبوا أولادكم على ثلاث خصال: حبّ نبيّكم، وحبّ أهل بيته، وقراءة القرآن»، كنز العمال، ٤٥٦/١٦.
- ويقول صلى الله عليه وسلم: «رحم الله عبداً أعان ولده على برّه بالإحسان إليه، والتآلف له، وتعليمه وتأديبه»، مستدرك الوسائل، ٦٢٦/٢.
- ويقول صلى الله عليه وسلم: «نظر الوالد إلى ولده حباً له عبادة»، مستدرك الوسائل، ٦٢٦/٢.
- وجاء عنه صلى الله عليه وسلم أنه نظر إلى رجل له ابنان، فقبّل أحدهما، وترك الآخر، فقال صلى الله عليه وسلم: «فهلاً ساويت بينهما؟!»، مكارم الأخلاق، ٢٢١.
- ويقول صلى الله عليه وسلم: «إن الله تعالى يحبّ أن تعدلوا بين أولادكم حتى في القُبَل»، كنز العمّال.
- ويقول صلى الله عليه وسلم: «اعدلوا بين أولادكم في النحل كما تحبّون أن يعدلوا بينكم في البرّ واللطف»، كنز العمّال، ٤٤٤/١٦.
- ويقول صلى الله عليه وسلم: «ساووا بين أولادكم في العطيّة؛ فلو كنت مفضّلاً أحداً لفضّلتُ النساء»، كنز العمّال، ٤٤٤/١٦.
- وقد أوصى الناسَ ابنُ عباس رضي الله عنه بقوله صلى الله عليه وسلم: «من دخل السوق فاشترى تحفةً، فحملها إلى عياله، كان كحامل صدقة إلى قوم محاويج، وليبدأ بالإناث قبل الذكور»، مكارم الأخلاق، ٢٢١.

لقد جاء أدب الأطفال من أجل أن يكون مُعيناً للمربي في تربية الأبناء، وقد قدّم هذا الأدب كثيراً إلى شخصية الطفل في مراحل تربيته؛ فأدب الطفل محاولة للدخول إلى سيكولوجية الطفل ومخاطبته من خلال هذا العالم كي يتعرّف بشكل متدرّج عالم الكبار، إنها خطوات بطيئة تشبه عملية نمو الطفل حتى يقف، ويمشي على قدميه، ويتعرّف الألفاظ، ويبدأ وعيه بالتشكّل. أديب الطفل هو مربّيه ومعلّمه، الذي يرتقي به وفق مراحل عمره حتى تتفتح مدركاته على وقائع الحياة. يكتب الكبير أدباً للصغير، وهو يدرك جيداً أن عالم الصغير هو عالم مختلف عن عالم الكبير، وفي اللحظة التي يثق فيها بأنه يستطيع أن يقنع الكبير بوجهة نظره فإنه يتردّد كثيراً في هذه الثقة بالنسبة إلى الصغير، ذلك أن الصغير يعقد على الكبير آماله وأحلامه وأمنياته، ونظرة الصغير إلى الكبير مختلفة عن نظرة الكبير إلى الكبير.

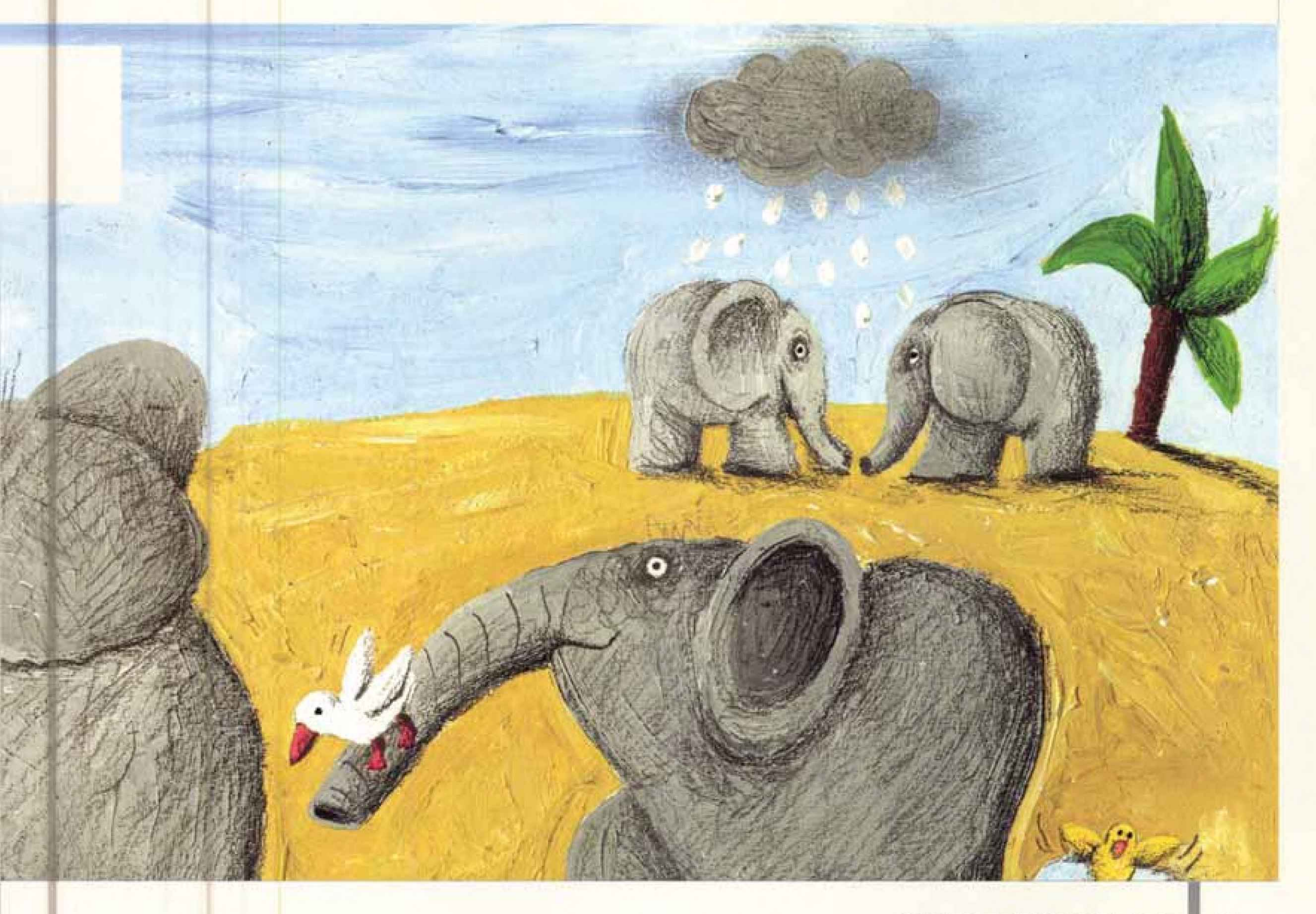
بيّن الحديث الشريف نظرة الطفل إلى أبويه: «أحبّوا الصبيان وارحموهم، فإذا

وعدتموهم فوفّوا لهم؛ فإنهم لا يرون إلاّ أنكم ترزقونهم»، وفي موضع آخر: «أكثروا من قبلة أولادكم؛ فإن لكم بكلّ قبلة درجة في الجنة»، ثم: «مَن قبّل ولده كان له حسنة، ومن فرّحه فرّحه الله يوم القيامة».

إن مسايرة الطفل، والتودّد إليه، وملاطفته، أفضل من صدّه، والبسمة مع الطفل أفضل من العبوس في وجهه؛ لأن الطفل يريد أن يرى أبويه رائقين على الدوام. الطفل هو أكثر الناس تسامحاً، وأكثرهم تقديماً للمسرّة والتوازن إلى عالم الكبار. وأدب الأطفال هو رسالة من الكبير إلى الصغير، وهو حبّ من الكبير للصغير، وحرص من الكبير على الصغير؛ لذلك فإن كاتب أدب الأطفال يشعر بمسؤولية جسيمة وهو يوجّه كتابته إلى عالم الطفل. هذا العالم الذي يتمتّع بمزايا وخصائص وحساسية بالنسبة إلى كاتب الطفل الذي يعدّ نفسه أباً، ومعلّماً، وموجّهاً، وتربوياً، وأديباً في الوقت عينه الذي يكتب فيه للأطفال. يقول فريدريك نيتشه في تعريف له عن عالم الطفولة: «في كلّ إنسان حقيقي يختبئ طفل يرغب في اللعب». وعندما يُولد الطفل فإنه يكون محطّ عناية ورعاية أبويه، يحظى بكلّ ما يمكنهما أن يقدّما إلى هذا المولود الجديد الذي فتح عينيه على العالم في كنفهما. يرى الأبوان أن هذا الطفل هو مستقبلهما، وهو الحامل لاسميهما وتاريخيهما. إنه الحياة المتوهّجة الجديدة التي تتدفّق بقوة في الأبوين، فيشعران بحميمية الحياة وبجديتها، وكذلك بمسؤوليتهما عن هذا الكائن الصغير الذي شكّل عائلةً بوجوده. إن الأب لا يريد لأحد أن ينازعه عن مكانه، وعن مكانته، بأيّ شكل من الأشكال، ويمكنه أن يصارع العالم في سبيل الحفاظ على ما حقّقه خلال رحلة كفاحه في الحياة، بيد أنه من تلقاء نفسه يعدّ ابنه لينصّبه مكانه، ويقدّم إليه كلّ ما يملك من إمكانات مادية ومعنوية، إنه على استعداد تام ليسافر إلى أقصى بقاع الأرض في سبيل الحصول على علاج لطفله إذا ألمّ به داء.

لذلك وُلدت فكرة مخاطبة الطفل، وإعداده إعداداً أوّلياً بأساليب أدبية وفنية، وتنوّعت أجناس هذه الخطابات التربوية والأدبية وألوانها؛ من قصة، ورواية، ومسرح، وشعر، وترانيم غنائية تترنم بها الأم لمولودها وهي تهزهزه حتى يعتاد سمعه على الإيقاع، ثم بعد ذلك على تلقّي الكلمات التي تكون على شكل قصة أو أغنية.

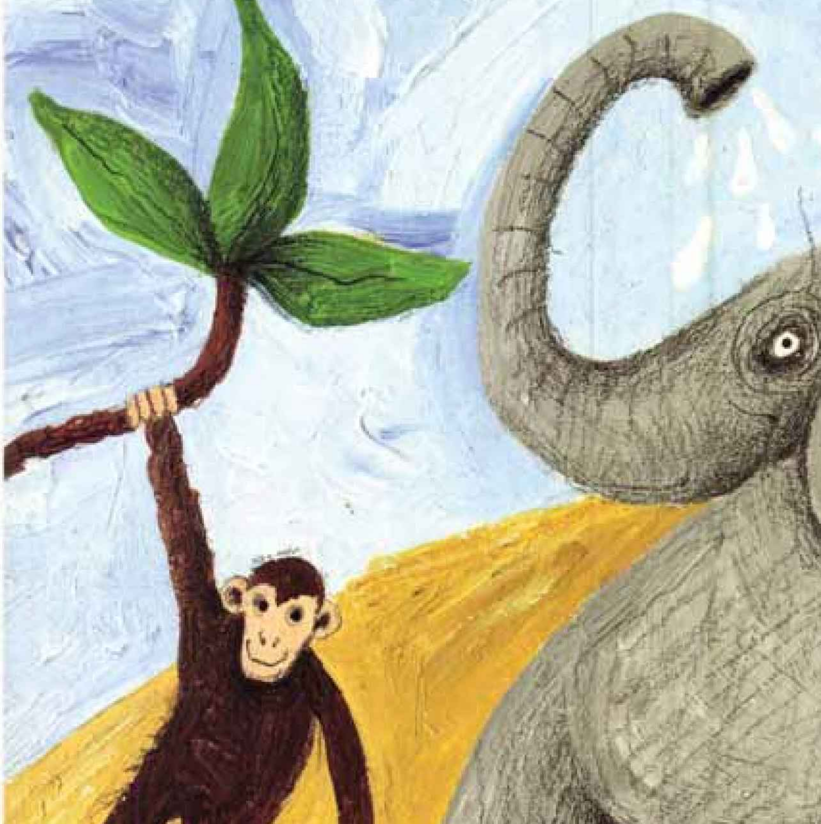
لقد تحوّل أدب الأطفال إلى جنس مستقلّ يتمتّع بخصائصه، ومقوّماته، وتخصّص أدبائه. وكغيرها من بلاد العالم اهتمّ العرب بأدب الطفل منذ القدم؛ فقد بدأ هذا الاهتمام يأخذ الصدارة عند بدء رسالة الإسلام الذي دعا الأبوين إلى العناية بالطفل، وكذلك حرّم بعض التصرّفات السلبية التي كان يمارسها الآباء مع البنات، خصوصاً في وأدهنّ، وكذلك بيعهنّ، أو المتاجرة بهنّ. ومع مرور الزمن، أخذ أدب الطفل شكله الفني، واستقلاله الأدبي بين سائر الأجناس الأدبية. ولعل رفاعة الطهطاوي كان من أوّل الداعين إلى هذا الجنس من الأدب الطفلي من خلال ترجمته



الكتابة الأدبية مهمة بالنسبة إلى مستقبل الطفل، وهي تعدّه ليكون رجل المستقبل، وقد انتشرت المكتبات العامة المخصّصة للأطفال؛ لتيسّر لهم انتقاء الكتب التي تلائم أعمارهم. تقول هاريت لونج: إن المكتبة الطفلية ترشد الطفل إلى انتقاء الكتب المختارة، وهي تيسير استخدام الأطفال مجموعةً كبيرةً ومتنوعةً من الكتب والمواد المكتبية، كما أنها تشجّع الأطفال على القراءة، وغرس عادة القراءة ومتعتها لديهم، وتساعده على تنمية قدراته الشخصية، ووعيه الاجتماعي. كما أن أهمية وجود مكتبة الطفل هي قوة اجتماعية تتعاون مع المؤسسات الأخرى المعنية بالأطفال. وترى جمعية المكتبات الأمريكية (ALA) أن الخدمات التي يجب أن تقدمها مكتبة الأطفال هي: المطالعة الداخلية، والإعارة، وقراءة القصص وسماعها، وعرض الأفلام، وإقامة المعارض، وإعداد برامج استخدام المواد السمعية والبصرية؛ كالراديو والتلفاز والفيديو، وإعداد برامج قرائية في أثناء العطلة الصيفية.

بعض القصص في أدب الطفل، مثل: حكايات الأطفال. وقد أدخل الطهطاوي أول مرة أدب الأطفال في المنهاج الدراسي والتربوي عندما كان مسؤولاً عن التربية والتعليم في مصر. ثم بعد ذلك ظهر اهتمام أمير الشعراء أحمد شوقي بأدب الطفل خلال وجوده في فرنسا، واطّلاعه على الآداب العالمية التي خاطبت الطفل، خصوصاً قراءته كتابات لافونتين الموجّهة إلى الطفل، ولدى عودته إلى مصر ظهرت كتاباته القصصية الشعرية الموجّهة إلى الطفل، التي أوردها على لسان الحيوانات، ومن ذلك: الدجاج البلدي، والديك الهندي، والصياد والعصفورة. وكانت هذه القصائد القصصية هادفةً توجّه الطفل إلى القيم، والأخلاق، والكرم، وطاعة الأبوين، والصدق، والأمانة. يقول أحمد شوقي في قصيدته (الجدة) على لسان الطفل:

اهتمت الإمبراطورية الفارسية بأدب الطفل، وتركت تراثاً جيداً، كما في كتاب (أصل الخليقة)، وخاطبت حضارة وادي الرافدين الطفل في ملحمة جلجامش



لي جدة ترأف بي
أحنّ عليّ من أبي
وكلّ شيء سرّني
تذهب فيه مذهبي
إن غضب الأهل عليّ
كلهم لم تغضب
مشى أبي إليّ
مشية المؤدّب
غضبان قد هدّد
بالضرب وإن لم يضرب
فلم أجد لي منه
غير جدتي من مهرب
فجعلتني خلفها
أنجو بها وأختبي
وهي تقول لأبي
بلهجة المؤنّب:
ويح له، ويح لهـ
ـذا الولد المعذّب
ألم تكن تصنع ما
يصنع إذ أنت صبي؟!

الريادة في أدب الطفل

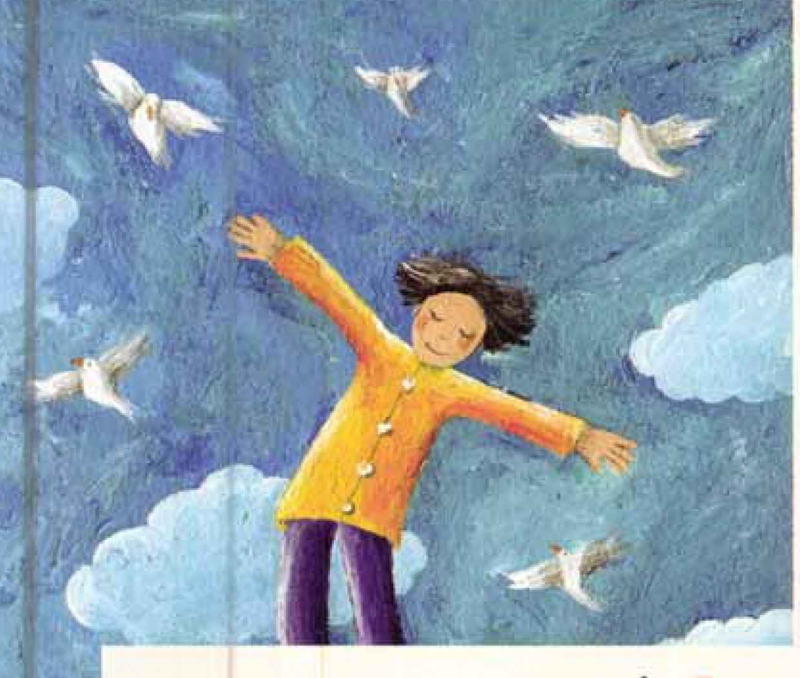
إن تأليف تشارلز بيرو كتابه (حكايات أمي الأوزة) عام ١٦٩٧م جعله رائداً ومؤسّساً لأدب الطفل في العالم؛ فهو أوّل كتاب أدبي يحاكي عالم الطفولة، ويتضمن نماذج من الحكايات الشعبية التي تلائم الطفل، وتحاور معالم مخيّلته. احتوى هذا الكتاب على إحدى عشرة قصة، منها: الجمال النائم، وسندريلا، والفتاة ذات القبعة الحمراء. ويمكن عدّ هذا الكتاب دافعاً لكثير من الأدباء إلى التخصّص في أدب الطفل، وقد ترك أثراً في أغلبية الأدباء الذين كتبوا للطفل من بعده. في عام ١٧٢٦م كتب جوناثان سويفت روايته (رحلات جليفر)، وهي أربع رحلات إلى أمكنة خيالية تقدّم إلى الطفل شيئاً من الفكاهة، وتحفز خياله. واشتهر الأخوان يعقوب ووليم جريم في ألمانيا بقصصهما، خصوصاً في كتابهما (حكايات الأطفال والبيوت)، وقد اشتهرت قصصهما، مثل قصة (الأميرة النائمة)، التي تنام ألف عام، ولا تستيقظ إلا بعد أن يراها أمير جميل ويقبّلها، فتستيقظ على أثر القبلة. وكذلك قصص: الساحرة

الشريرة، وبيضاء كالثلج، وليلى والذئب. وفي الدانمارك اشتهر اسم هانز أندرسون، الذي يعدّ رائد أدب الطفل في بلاده، وله تأثير في أدب الطفل في العالم، وقد تُرجمت كتبه الأربعة إلى كثير من لغات العالم، وهي: قصص رائعة للأطفال، وقصص الجنّ الدانماركية وحكاياتهم، وكتاب القصص الدانماركية، والبلبل وقصص أخرى. ثم اشتهر لافونتين في فرنسا بقصصه للأطفال، ونال لقب (أمير الحكاية الخرافية في الأدب العالمي)، ثم ظهرت روايتا لويس كارول: أليس في بلاد العجائب (١٨٦٢م)، وعبر المرآة (١٨٧١م).

ويرى سيث ليرر في كتابه (أدب الأطفال من إيسوب إلى هاري بوتر)[١] أن الطفل نشأ في حضارة اليونان والرومان من خلال النصوص والحكايات من المراجع الموجودة في حياتهم ومكتباتهم، وكان الرومان يحتفلون بالأطفال، وكان أدب الأطفال في هذه العصور يرتكز على تكوين الطفل بوصفه مواطناً. هؤلاء النشئ الرومان يتعلّمون فنّهم من قراءة الآثار الأدبية الشهيرة، مثل: هوميروس، وهيزيود، ويوربيدوس، وفرجيل، وهوراس. كما أن العبيد أدوا دوراً مهماً بوصفهم مربّين ومعلّمين.

إن الكلمة التي يستخدمها اليونانيون للطفل هي (neption)[٢]، وكان الصغار يرغمون على دراسة هوميروس بوصفه نموذجاً للأسلوب، وموئلاً للقصص الخرافية، وموسوعةً ثقافيةً، والشاعر المميّز للعالم الكلاسيكي، وحين يذهب الطفل إلى المدرسة يحيّي المعلمين بحرارة، فيردّون له التحية، ثم يطلب كتابه وألواحه، ويعدّد جميع مفردات القراءة والكتابة والحساب والتسميع، كما يعدّد كلّ أنواع الكلام، وكلّ مكوّنات الكلمات، وكلّ النصوص التي يقرؤها.

ارتبط اسم إيسوب بأدب الأطفال تاريخياً، ونال القبول في قراءات الأطفال وتعليمهم منذ أفلاطون إلى العصر الحديث، ونقلت قصصه تحت اسم (الإيسوبيات). كتب إيسوب خرافياته باللغة العامية؛ لأن إيسوب كان عبداً. وأثر إيسوب في التربية اليونانية، فإلى جانب أعمال هوميروس، والمسرحيات، والأمثال، كانت الخرافات تقع في قلب ما يقرؤه الأطفال ويكتبونه. وفي المسيحية تتحوّل الخرافة الكلاسيكية إلى مجاز مسيحي؛ فعلاقة الأب والابن هنا تتّخذ هالةً دينيةً إضافيةً. هكذا تحتلّ خرافات إيسوب مكانةً فريدةً في تربية الطفل المسيحي. وفي القرون الوسطى ظهر جيل جديد من المربّين والشعراء يكتب الخرافات للأطفال، من أمثال: أفيانوس، وروموليوس، اللذين زوّدا الطفل بسياق استهلالي مختلف لدراسته الإيسوبيات. وفي القرن الخامس عشر، جرى تحويل الخرافة إلى نثر لاتيني لتوضيح حكمتها الخلقية، وكانت الخرافات من أوائل الأعمال الأدبية الكلاسيكية التي تُرجمت إلى اللغات العامية الأوربية.



إن أطفال الماء، وفتيان الغابات، والرجال القردة، ملؤوا المخيّلات خلال الحقبة الممتدة من طباعة (أصل الأنواع) لداروين إلى تأسيس الحركة الكشفية

اهتمام عالمي

اهتـم العالم برمّته بأدب الطفل، والقصة هي أقرب أسـاليب التربية إلـى مخيّلة الطفل، وأكثرها قرباً من الطفـل؛ لأن الطفل يترعرع على سماع الحكايات في البيت من أمه، أو من جدته، ويغفو وهو يستمع إلى القصص والحكايات حتى يترسّخ ذلك في نفسه. ومنذ عام ١٩٦٧م يحتفـل العالـم كلّه فـي الثاني من شـهر إبريل من كلّ عـام باليوم العالمي لكتاب الطفل، وفي كلّ عام يتم اختيار إحدى الدول الأعضاء لرعايـة الاحتفاليـة، وتقرير شـعارها، ويوجّـه أدباء الأطفـال في تلك الدولة رسالة إلى الأطفال بهذه المناسبة.

الهوامش والمراجع

(١) أدب الأطفال من إيسوب إلى هاري بوتر، سيث ليرر، ترجمة: ملكة أبيض، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ٢٠١٠م.

(٢) أي: الكائن الذي يتكلم.

- الأدب في الدين، الإمام محمد الغزالي، دار الحكمة، دمشق.
- التربية الأساسية للنخبة، جون فريمان، ترجمة: صالحة سنقر، المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر، دمشق، ١٩٩٨م.
- إمام الحكمة (رواية)، عبدالباقي يوسف، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ٢٠١٠م.
- عالم الكتابة القصصية للطفل، عبدالباقي يوسف، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، ضمن سلسلة كتاب المجلة العربية، الرياض، ٢٠١٠م.
- حساسية الروائي وذائقة المتلقّي، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، الرياض، ٢٠١٢م.
- عيون الأخبار، أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق: محمد الإسكندراني، دار الكتاب العربي، بيروت.
- زاد المسير في علم التفسير، عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، بيروت، ١٤٠٤هـ.
- الموهوبون، رومي شوفان، ترجمة: وجيه أسعد، وزارة الثقافة السورية، دمشق، ١٩٨٦م.
- مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، دار الإرشاد للشؤون الجامعية، حمص، ١٩٨٩م.
- إحياء علوم الدين، الإمام محمد الغزالي، دار المعرفة، بيروت.
- قصة الإنسان، كارلتون كوون، ترجمة: محمد توفيق حسين، وعبدالمطلب الأمين، بغداد، ١٩٦٥م.
- نظرية الأدب، رينيه ويلك، وأوستن وارين، ترجمة: محيي الدين صبحي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٥م.
- المرشد الأمين للبنات والبنين، رفاعة الطهطاوي، ضمن الأعمال الكاملة، جمع وتقديم: محمد عمارة.
- عودة إلى خطاب الحكاية، جيرار جنيت، ترجمة: محمد معتصم، المركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠٠٠م.

نبوءة وطن

سنلتقي هناكْ

نعانقُ المنايا والمنونْ

ونلتقي بظلّها

بحرّها

لأننا ......

بكونها نكونْ

يعانقُ الفراتُ نيلَنا

بأرضِها

وعند ساحةِ (الخليل) نلتقي

نكحّلُ العيونْ

سنلتقي هناكْ

تشعُّ في (الرباط)نا

وفجرُنا

وترقى للخلودِ (مصرُنا)

وأنتِ يا (عراقُ)

يا خليجُ

سوف ترقبُ السّنا

وترقصُ (الرياضُ)

في (الحجونْ)

تمرُّ يا (سودانُ)

تعبرُ البحارَ والمدى

تحطُّ في (بيروت) زهرةً

وتجمعُ الندى

لتزرعَ (الصومالَ) وردةً

جميلةً

وتغرسُ الزيتونْ

وتسألين يا بنيّتي

متى ...؟!

تحطُّ يا أبي

وتعبرُ (السودانُ) بحرَنا

وترقى للخلودِ (مصرُنا)

وترقصُ (الرياضُ)

و(الخليجُ) يسبقُ الخُطى

ونعبرُ التاريخَ والمدى

ونغرسُ الزيتونَ؟!

أُجيبُها: بنيّتي..

أتسألين كيف يشرقُ الصباحُ؟!

وترحلُ المآسي عن بلادي

والجراحَ؟!

بل كيف يحملُ الوليدُ بسمةً

رقيقةً ....

يسارعُ الزمنْ

وشارةُ الخلودِ يا بنيّتي الوطنْ؟!

فاستبشري بنيتي (صباحْ)

تاريخنا يبدّد الظنونْ

ولتعبر المدارَ يا (عراقُ)

يا (دمشقُ) يا (يمنْ)

ونلتقي هناكْ

عند قبّةِ الصخورِ يا (عدنْ)

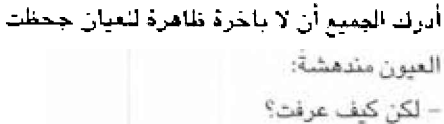
ستذكرون ما أقولُ، إنها

نبوءةُ الوطنْ

بأننا

سنعبرُ التاريخَ .....

قادمونْ



الثانية عشرة إلا دقيقة

خلدون تانر

كيف؟ ومتى بدأت؟ لا أستطيع أن أتذكّر. لكن الأعراض الأولى ظهرت عندما كنتُ في سنّ التاسعة. كنا نجلس مع عدد من الضيوف في الحديقة عندما سأل رجل مسنّ عن الوقت. ومن المصادفة، ما كان أحد منا يحمل ساعةً، فانطلق زوج أختي إلى الداخل؛ لينظر إلى ساعة الحائط في غرفة الجلوس، وقلتُ على الفور:

- الساعة الثالثة وعشرون دقيقة.

هذه المداخلة لم تفاجئ أحداً في بداية الأمر؛ إذ يتمكّن المرء من تحديد الوقت بدقة من خلال متابعة البواخر المارة عبر البوسفور، لكن عندما أدرك الجميع أن لا باخرة ظاهرة للعيان جحظت العيون مندهشةً:

- لكن كيف عرفت؟

وأجبت:

- لست أدري، انطلقت من طرف لساني من دون أدنى تفكير.

وقالت المرحومة عمتي:

- مجرّد مصادفة يا عزيزي، رمية من غير رام فأصابت، ألا يمكن حدوث ذلك؟

وأضاف الآخرون قائلين:

- أجل، مجرّد مصادفة، لكن أبهذه الدقة؟

يعزو الناس الأحداث التي لا تنسجم مع التدفّق الطبيعي للمنطق إلى هذا التفسير المؤلّف من كلمتين: مجرّد مصادفة، وهو ما اتّفق عليه الحاضرون بالإجماع من أن تنبّئي ليس سوى مجرد مصادفة، حتى أنا أيضاً كدتُ أقتنع.

لم يكد يمرّ أكثر من أسبوعين على تلك الحادثة حتى استيقظتُ من سريري ذات ليلة وأنا غارق في العرق، أقول وأهذي:

- الواحدة إلا خمس دقائق، الواحدة إلا خمس.

نهضتُ، ثم أضأت المصباح، كانت ساعة الجدار التي تعود إلى إرث جدي تشير إلى الواحدة إلا خمس دقائق. لماذا استيقظت؟ لماذا هذا الهذيان؟ أشاهدتُ في المنام أن الساعة تشير إلى الواحدة إلا خمس دقائق، أم لعله وليد ما بين الصحوة والغفوة؟. بعد ذلك بقليل، وعندما دقّت الساعة معلنةً تمام الواحدة، أفقتُ كأنني تلقّيتُ صفعةً على وجهي. كلا، من المستحيل



حدوث الشيء نفسه مرتين لمجرد المصادفة. رأسي يدور. طنين يدوّي في أذنيّ. وخوف يعجز عنه الوصف يعصف بكياني. كانت «تكتكة» الساعة المختبئة في داخلي حتى ذلك اليوم غير شغّالة. وبتُّ في تلك اللحظة كأني أسمعها للمرة الأولى. ما كنت لأندهش لو كانت «التكتكة» هذه تتوافق وإيقاع نبضات قلبي. لكنها ليست كذلك. كما أنها ليست كساعة تدور بسرعة. بدت مثل بندول برأس ثقيل جداً، وأكثر عنفاً. في بداية الأمر ظننتُ أنني أعيش لحظات كابوس ثقيل. نهضت وغسلت يديّ ووجهي. ذاك الإيقاع لا يزال ينبض ويطنّ في أذني. أغلقت على نفسي إحدى غرف القصر الفارغة. لكن من دون جدوى. خرجت إلى الحديقة بلباس النوم. كان إيقاع موجات البحر الضاربة للشاطئ يتناغم مع الإيقاع الذي في داخلي بشكل يدعو إلى الدهشة. وقعت في حيص بيص. تكوّمت وأنا أتصبّب عرقاً. جاؤوا وأنعشوني من إغماءتي. ثم مدّدوني على الفراش. سألوني عن سبب خروجي إلى الحديقة. وماذا كنتُ أفعل في غرفة فارغة. لم أستطع قول ما حدث؛ فقد أصبت بالفزع من المرض والأطباء. اعتقدتُ أن ذلك بداية جنون؛ فلم أرغب في الإفصاح عما حدث، على أمل أن ينصلح الحال من تلقاء نفسه. يبدو أنني لم أفعل الصواب عندما كتمتُ الأمر عن الأهل. ربما كانوا سيجدون حلاً. وتم تجاوزي هذه المشكلة.

بعدما هدأت مخاوفي الأولى بتُّ أتبجّح وأتباهى بمقدرتي تلك. حتى انتشرت بين أصدقائي في المدرسة مقدرتي على معرفة الوقت من دون النظر إلى الساعة. أصبح من كان يملك ساعة يطلب مني ضبط توقيت ساعته. ومن كان لا يملك ساعة يطلب مني معرفة الزمن الباقي لنهاية الدرس. بل وصل الأمر إلى أن الخبثاء منهم كانوا يكسبون المال من دون علمي. وذلك بمراهنة من لا يعرفون مقدرتي هذه.

عندما دخلت الجامعة ترسّخت ملكتي تلك. وتطورت مقدرتي. ليس بتحديد عقربي الساعات والدقائق فحسب. بل إلى تحديد موضع عقرب الثواني أيضاً. ذات مرة نشرت الصحف ما حدث في أثناء إحدى المباريات الرياضية. عندما تمكّنتُ من معرفة الزمن المنقضي في سباق الثماني مئة متر قبل إعلان الموقّت النتيجة. على إثر ذلك بحث عني أحد أكثر الأطباء النفسيين شهرة؛ ليدرس حالتي. وجّه لي عدداً من الأسئلة. وامتحن مقدرتي على التنبّؤ بالوقت. ثم قدّم بحثاً عني إلى جمعية الأطباء. لن أنسى أبداً ما ذكره عني في مقدمة بحثه. الذي يقول فيه: «تمّت مشاهدة مرتبة متطوّرة وسامية جداً في الحاسة السادسة، في ذاكرة هذا الشخص موضوع الدراسة».

من جهتي. كنت أميل إلى وجود علاقة وراثية خاصة بالعائلة؛ لذا بحثتُ في شجرة العائلة إن كان أحد أفرادها في الماضي البعيد مولعاً - إلى حدّ كبير - بالساعات. أو ربما كان ساعاتياً. أو موقّتاً «الرجل الذي كان يتابع في الماضي ميل الشمس لمعرفة أوقات الصلاة». لكنني لم أجد ما يؤكّد صحة اعتقادي. وكان قول الدكتور، إن ذلك مرتبط بشكل أساسي بوجود ساعة الحائط التي في غرفتي. يبدو لي تفسيرا أحاديّ الجانب.

ساعة غرفتي ساعة حائط من إرث أجدادي. عُلّقت في مواجهتي تماماً. بين لوحة كُتبت بخط أحد أجدادي الأولين وصورة لجدي الأخير في الزيّ العسكري، بوصفها إرثاً توارثته الأجيال. يبدو أن «تكتكتها» كان أول صوت طرق مسامعي عندما أتيتُ إلى هذه الدنيا. لقد شكّلت «تكتكتها» ليس أيام طفولتي ولياليها فحسب. بل أيام شبابي ولياليه أيضاً. «تكتكة» البندول الذي في داخلي يعمل تماماً بإيقاع بندولها نفسه؛ فالثقل نفسه، والشدة عينها.

فرضية بحث الدكتور تقول: «لأن حاسة السمع عندي فوق المعدل الطبيعي فإن اللاوعي عندي تمثّل - على نحو وثيق - بإيقاع البندول، تماما مثل أسطوانة موسيقية تمّت معايرتها لهذه الغاية. وهكذا. فقد أصبحت أسمع إيقاعه. وأديم صداه، على الرغم من عدمه. بناء عليه. يبدو أنني ساعة حيّة تعمل بالتزامن معه».

في هذه الحالة ليس لي إلا أن أسأل:

- لماذا -إذاً- لا أدقّ عند تمام كلّ ساعة. ونصف الساعة. وربع الساعة؟! أمر فظيع. بل مريع جداً. فماذا لو وصل بي الأمر إلى أن أعلن الوقت من دون توقّف كلما مرّت دقيقة، ودونما استعلام من أحد عن الوقت؟! تماما مثل الساعة الناطقة في مركز الهاتف. هذا الأمر عاديّ بالنسبة إلى طبيب؛ فالطبيب النفسي يرى أن الإنسان الساعة عارض عادي. وينظر إليه النظرة نفسها التي ينظر بها إلى الإنسان الذي يظنّ نفسه حصانا أو قطارا أو حتى إجاصة ناضجة. العلة تبدأ من هنا؛ إذ لا يوجد طبيب يقول لمريضه بشكل مباشر: «قُضي عليك يا صديقي»؛ فلن يشفيني لا الدكتور. ولا العلاج. ولا الإيحاء. ما لم أقهر العلة بإرادتي.

اتخذت على الفور قراراً لا رجعة فيه: «بدءاً من هذه اللحظة لا تنبؤ بالوقت أبداً»؛ لذا فقد اشتريت ساعة أول مرة تُظهر اليوم والشهر. ومن الأكثر حداثة. بعد أن كنتُ حتى ذلك الوقت أرى أن لا لزوم لها. ولم يسبق أن استعملتها مطلقا. كنت أجيب السائلين عن الوقت من دون النظر إلى الساعة. لم أشغّلها مطلقا أكثر من ثلاثة أسابيع أو أربعة. لم يقولوا عبثاً: إن الطبع غلب التطبّع؛ فإذا ما سُئلت عن الوقت في أثناء العمل في المكتب كنت أنسى أحيانا وأجيب على الفور من دون النظر إلى الساعة. لكن الشك بدأ يساورني مع مرور الوقت: ماذا سيحصل لو فقدتُ هذه الملكة؟! لذلك أصبحت، من حين إلى آخر، أمرّر بضعا من تنبؤاتي. مرة أو مرتين في اليوم؛ فأنا فخور بساعتي البيولوجية. ولا حاجة إلى أن أثني كوعي. وأفرد ذراعي؛ لأنظر إلى الساعة. لكن. ماذا حلّ بقراري المنهجي الذي اتّخذته؟! ومع ذلك. فلا يمكن للمرء إلا أن تتّجه عينه لا إراديا إلى أعلى في أثناء المرور بجوار ساعة الميدان. حصل أكثر من مرة أن امتحنتُ مقدرتي على معرفة الوقت؛ خوفا من أن أكون مخطئا. فكنتُ أردّد مثلا: الثامنة وخمس عشرة دقيقة. وعندما أنظر إلى الساعة إذا هي بالفعل الثامنة وخمس عشرة دقيقة. ومع كلّ محاولاتي ما زلتُ أعرف الوقت الصحيح. لكن لن أنسى أبداً ما حصل عندما تنبّأت بالوقت كعادتي في أثناء مروري في صباح ذات يوم بجوار ساعة بلدية كاديكوي «أحد أحياء إستانبول الشرقية». ما تنبؤتُ به كان السابعة وإحدى عشرة دقيقة. لكن عندما نظرتُ إلى ساعة البلدية كانت

السابعة واحدى وعشرين دقيقة. أجل: إحدى وعشرين. لم أستطع أن أصدّق عيني. كما لم أتمالك نفسي من الفرحة كأنني قد ملكتُ الدنيا كلها. حدّثتُ نفسي قائلاً: «خُذ القلم وسجّل في دفترك تاريخ هذا اليوم. إنه يوم تاريخي وسعيد لدخولك في عداد الناس الطبيعيين». لكن فرحتي لم تكتمل؛ إذ في تلك اللحظة قام عامل بسند سُلّم على الساعة. كانوا يقومون بإصلاحها؛ لأنها تقدّم عشر دقائق.

كم طبيب راجعتُ. لكنهم جميعاً كانوا يقسمون قائلين: «لا شيء يدعو إلى الخوف». ليتهم صادقون بمشيئة الله. وعندما أسألهم: «هل سأشفى؟!»، يجيبون: «لا يمكن التنبّؤ»، أو «وما الضرر الذي سيصيبك منه يا عزيزي؟! على العكس، فتلك خاصية متميزة». صحيح ذلك. ولماذا أحاول إنكار تلك الميزة؟! فأنا - على سبيل المثال- لم أتأخر قطّ عن أيّ موعد لقطار أو باخرة، ومهما تأخرتُ في النوم ليلاً ففي استطاعتي الاستيقاظ صباحاً في الساعة التي أريد. كما لا أستطيع إخفاء إحساسي بالتفاخر. أعمل كساعة بمنتهى الدقة؛ إذ لم يصادف في أيّ يوم من الأيام أن اختلف توقيتي عن ساعة المذياع. هذا جيّد، ولا اعتراض عليه. يبدو أن ذهني، وكياني، ولاوعيي، يعملون مثل هوائي مذياع حساس. ولاستكمال عملية الالتقاط يجب أن يكونوا في حالة يقظة وعمل دائمين. لكن يا ترى ألن تنفد (بطاريات) ذاتي المذياعية؟!.

يقول الطبيب: «دعك من الوقت. ولا تقلق. لتكن الساعة ما تكون. وما شأنك أنت يا أخي؟». حسن جداً. لكن الأمر لا يتوقف عند معرفة الوقت فحسب يا أخي. فالأدهى من ذلك مشكلة الإيقاع. لنقل: إننا قطعنا علاقتنا بالساعة. كيف يمكن التخلص من الإيقاع الذي في داخلي؟ من سيمنع سماعي كلّ لحظة ذلك الإيقاع؟ وكيف؟ إضافة إلى انشغالي أيضاً بمدى ملاءمة إيقاعات أخرى ذلك الإيقاع أو عدم ملاءمتها؛ فأنا معجب بكلّ ما يتلاءم وإيقاع بندول الساعة. وكاره لكلّ ما لا يتلاءم معه. هناك أصوات تريحني إذا ما كنت مرهقاً. وتبهجني إذا ما كنت مكتئباً: كمخر المراكب ببطء. أو صوت نخر السوس لخشب الأثاث. وتساقط قطرات الماء من صنبور تالف. وجلجلة عجلات القطار في أثناء انسيابه على السكة. ووقع حافر الحصان. وخطوات عجوز أعرج يسير في الليل على شارع أسفلتي. على العكس من ذلك. فالأصوات غير المتلائمة مع ذلك الإيقاع تزعجني جداً. كالبواخر مثلاً؛ فأنا أشعر بالحنق من البواخر؛ لأنها تبلبل إيقاع موجات البحر التي تلطم الشاطئ؛ فعند مرورها تشتد حركة الموج. وتتسارع وتيرته. فأشعر بالاضطراب والانزعاج. فإذا ما كنت أعمل أتوقف عن الحركة. وإذا ما كنت أفكر يتوقّف دماغي عن التفكير. وإذا ما كنت جالساً أقف. وإذا ما كنت نائماً أصحو. مختصر الكلام: أتشوّش. ولا أعد أشعر بالراحة.

جريان النهر بسرعة يشوّش إيقاع ساعة المرء؛ فعندما سكنت على مدى ثلاث سنوات في مدينة تقع على نهر كان ينتابني عند حلول الربيع، وعندما يبدأ النهر بالفيضان هادراً، شعور بالانزعاج والاضطراب كساعة لا تعمل بشكل سليم. لقد سيطر إيقاع ذلك البندول عليّ إلى درجة أصبحت في أثناء سيري في الشارع أخطو خطواتي على ذلك الإيقاع. لا أسرع ولا أبطئ؛ ذلك سبب امتناعي عن السير في الطرقات مع أحد. كما كان عدم موالفة هذا الإيقاع السبب الوحيد لانفصالي عن خطيبتي. كان بالإمكان أن نتوافق لو خطت خطوتين أو ثلاثاً مقابل كلّ خطوة من خطواتي. لكن خطواتها كانت كسرية؛ أي: خطوتان ونصف الخطوة مقابل كلّ خطوة من خطواتي. ما كان لإيقاع رُوحينا في هذه الحالة أن يتوالفا.

ما جعلني أهوى الموسيقا الغربية هو إحساسي بالتناغم الموجود في حركاتها الإيقاعية. منذ مدة وجيزة كنت أستمع إلى السيمفونية الثامنة لبيتهوفن من إحدى إذاعات البلقان. وكلما سمعت الحركة الثانية من هذه المؤلفة الموسيقية يجعلني إيقاعها التناغمي السريع أحلّق في سماوات بعيدة. لكنهم عندما عزفوها بإيقاع حرّ أصابني الجنون حتى كدت أقذف المذياع على الأرض.

الساعات غير العاطلة هي من أكثر الأشياء التي تسبّب لي ضيقاً في التنفس؛ فكلما ذهبت إلى متحف توبكابي لابد أن أعرّج على جناح الساعات. لكنني دائماً أشعر بالاختناق؛ فأسرع بالانطلاق خارجاً. الساعة الواقفة، مع أنها نفيسة، ومتقنة الصنع، وبجودة عالية، لكنها كالفنار المطفأ. ومع ذلك، فالساعة الواقفة تتميّز بكونها تظهر الوقت الصحيح مرّتين في اليوم. أصل الجودة في الساعة هو مجموعة الحركة؛ أي: نابضها، والنابض لا يخصّ الساعة وحدها، بل هو جوهر الحياة؛ فلو قمنا بالمقارنة أليس كلّ واحد منا ساعة بنابض؟! أليست الحياة سوى شدّ وحلّ، ملء وتفريغ؟ ألا يمكن تشبيه من يموت نتيجة كبره في السن بأن شدّ نابضه قد انتهى، وأن من يموت في عنفوان شبابه بأن نابضه قد تعطّل؟ ألا يشبه نظام التعليم والثقافة إلى حدّ ما آلية شدّ النابض؟! يشدّون نابضنا فنتحدث ونتصرف ونتحرك كيفما تمّ شدّه. منا مازال يعمل حسب توقيت الساعة القديم، ومنا من يعتمد توقيت جرينتش، ومنا من يعتمد توقيت سان فرانسيسكو. بعضنا يتقدّم بسرعة، وبعضنا يتأخر عن الركب. وإذا ما تقدّمنا أسرع من ساعة الدولة، أو ما يُدعى بالعيار القياسي، يمسك بنا رئيس الموقّتين المدعو قانوناً، ويعيدنا إلى الخلف. وإذا ما فقد عياره فقد يتوقف كلّ شيء. وإذا ما تأخرنا كنت سأقول إنه: قد يُدفع بنا. لكن لا أحد يبالي بالمتأخرين. في وطننا، وعلى جدران جوامعنا الحديثة، مازالت هناك ساعات تعمل حسب التوقيت القديم.

أنا لا أقول هذا لمجرّد الكلام؛ فالناس يُشبهون الساعة من جميع النواحي. قد تسخرون مني. لكن تشبيه الآخرين بالساعة أحبّ تسلية إلى نفسي في أوقات فراغي: أي ساعة كان يمكن أن يكون فلان؟! أو تلك الساعة كيف ستتصرف لو كانت إنساناً؟!

لنأخذ ساعة الحائط التي في غرفتي على سبيل المثال: فأنا في حضورها لا أستطيع الاستماع إلى موسيقا المامبو. ولا أستطيع معانقة فتاة. يتهيأ لي كأن جدي ينظر إليّ من خلف زجاجها. لو أذاع المذياع بعضاً من أغاني أيام جدي لشعرتْ هذه الساعة بالاطمئنان. وأنها في بيتها ليست غريبة. على العكس فيما لو أذاع المذياع بعضاً من أغاني هذه الأيام، أستشف من دقّاتها



وأداتها ازدراءً واحتقاراً لنا. من يعلم كيف كانت دقات الساعات في الماضي. لابد أنها كانت وقورةً ومهذبةً وواعيةً وناضجة التفكير. والآن فهي تنزعج من ساعات أيامنا هذه التافهة والعديمة القيمة والصبيانية والسفيهة. لو أن هذه الساعة تنطق لتحدثت بلغة الأدب القديم، حتى ضرباتها كأنها تقرأ شعراً موزوناً، تشارك الشاعر العظيم ضياء باشا بتأنيبنا:

لا تظنن أن الساعة تدقّ

اعلم أن مضرباً على رأسك يقرع

الساعة ذات الناقوس الزجاجي، الموضوعة على الكونسولة في مدخل البيت، هي من جهاز عرس جدتي. لو كانت جدتي ساعة لكانت ساعة أنيقةً ورشيقةً وسيدة مجتمع مهذبة. هل تعلمون بماذا أشبّه رجال السياسة؟ إنهم يشبهون الساعات القديمة في متحف توبكابي التي تعزف حسب الطلب، أحياناً على مقام نهاوند، أو على مقام عجم في أحيان أخرى. وجباة الضرائب لو كانوا ساعات لاشتغلوا مثل العداد الميكانيكي.

ذات يوم، في الدائرة حيث أعمل، لفت نظري أن ساعة الحائط الكهربائية التي فوق رأس رئيس قسمنا تعمل من دون صوت. أجزم أن رئيس القسم لو يصبح ساعةً فسيعمل مثلها تماماً.

بمنتهى الهدوء ومن دون صوت. قد تشاهد عقرب الدقائق لوهلة واقفاً من دون حراك، لكنك تراه يقفز فجأةً دقيقةً واحدةً.

عندما يتعلق الأمر بالموسيقيين، فأنا أعتقد أيضاً أنهم يعملون كالمؤقتة. أما قادة الأوركسترا، فيظنّون أنهم قد وصلوا إلى القمة. حتى بات أحدهم يظنّ نفسه توسكانيني. وآخر يظنّ نفسه كارايان، وثالث يظنّ نفسه فورتفانجلر. ألا تعتقدون معي أن كلّ واحد منهم ليس سوى مؤقتة بحساسية عالية؟!.

للمؤقتة بالمقارنة مع الساعات الأخرى ميزة المقدرة على تسريع وتبطيء إيقاعها، تسحب الثقل لأعلى، فيتباطأ الإيقاع: تك، تاك، تك، تاك. تسحب الثقل لأسفل فيتسارع: تكتاك، تكتاك. ماذا لو كان للساعات العادية ثقل مثله؟!. فاتحت في أحد الأيام صديقنا الطبيب بهذه الفكرة، فضحك وقال:

- ما هذا؟! أتريد إبطاء الزمن؟!

في الماضي، لم يكن لديّ مع الزمن أيّ مشكلة. لكنّ مؤخراً أفكاراً حوله بدأت تراودني: تلك الساعة التي في داخلي لابد أن تنتهي تعبئتها. قد

المؤلف في سطور

خلدون تانر: كاتب ومسرحي وصحفي تركي (١٩١٥-١٩٨٦م)، أنهى دراسته الثانوية في إستانبول عام ١٩٣٥م، والتحق بكلية العلوم السياسية والاقتصاد في جامعة هايدلبرغ، ثم درس آداب اللغة الألمانية في جامعة إستانبول، وعمل معيداً في الجامعة نفسها بعد تخرّجه، ثم درس علم المسرح في أكاديمية ماكس راينهارت في فيينا؛ ليعود إلى إستانبول ويدرّس فنّ التأليف والتمثيل المسرحي في كلية الآداب والمعهد العالي للصحافة. ثم عضواً في الهيئة التدريسية في أكاديمية الفنون الجميلة (جامعة المعمار سنان)؛ ليدرّس فنّ المسرح حتى وفاته. عمل في الصحافة كاتب زاوية في عدد من الصحف الواسعة الانتشار، واختارته نقابة صحفيي أنقرة أفضل صحفي عام ١٩٧٣م، وهو أول من أسّس مسرح المطعم، وأصدر مجلةً أدبيةً بعنوان: (المجلة الصغيرة). نالت مسرحيته (ملحمة علي القاشاني) شهرةً عالميةً واسعةً، وترجمت إلى عدد من اللغات، وأُنتجت سينمائياً عام ١٩٦٤م. نال عام ١٩٥٣م المرتبة الأولى في مسابقة القصة العالمية لصحيفة نيويورك هيرالد تريبيون عن قصته (المطر كان ينهمر على حيّ شيشانة)، ونال عام ١٩٥٥م جائزة سعيد فائق للقصة القصيرة عن هذه القصة (الثانية عشرة إلا دقيقة)، ونال عام ١٩٥٦م جائزة مجلة (الوجود) لأفضل كاتب، ونال عام ١٩٧٢م جائزة المجمع اللغوي التركي للمسرح عن مسرحيته (الزوجة الداهية والزوج الأحمق)، ونال جائزة مهرجان بورديجيرا الإيطالية للأدب الأوربي الساخر، وجائزة سدات سماوي، وجائزة نقابة أصدقاء القلم التركي.

يتعطّل نابضها قبل انتهاء عبوتها. إيقاف عجلة الزمن أو تبطيئها. السعي إلى الهروب من القدر، مع أن حجم الجزء منه يعادل حجم الإيمان به.

كنتُ دائماً -ومازلت- أخشى العمر القصير، والموت المبكر، لكنني لستُ وحدي: فالكل مثلي يخشى الموت. لكن هل هذا سبب وجيه؟!. لقد فكرتُ وتوصّلتُ إلى أن الحياة ليست مديدة. الحب أن تُحب الانغماس في الملذات. عيش كلّ يوم بيومه، أم العمل بلا توقف - مثل النمل - في جمع المال، أم تكوين أسرة وذرية كبيرة؟! كلّ هذا كلام فارغ. أنا أفهم من العمر المديد الإحساس بمرور الزمن: فمع أننا نسبح داخل الزمن لكن يجب ألاّ نتوقف عند مروره فحسب، ألاّ ندركه من خلال الشيب فقط عندما يظهر على الصدغين، أو من ظهور التجاعيد على جبيننا، من آلام الظهر، ومن المرض أو الموت، بل يجب أن نكون قادرين على الإحساس به. لكن في اليوم الذي نصبح فيه قادرين على الشعور بالزمن قبل مروره وفي أثنائه، وعلى رؤيته بشكل واعٍ ويقظ كأننا نراه بعيوننا، أعتقد أننا عندئذ سنكون قادرين على تجنّب كلّ ما تخلقه لنا مفاجآته من آلام، في حال كان مروره من دون علمنا.

هل تعلمون أين توصّلتُ إلى كشفي هذا؟!.

في إحدى ليالي رأس السنة، على ظهر باخرة كاديكوي (وسيلة للتنقل بين إستانبول الشرقية والغربية)، جلستُ في أقصى مقدّمة الباخرة متدثراً بمعطفي، غفوتُ مدةً من الوقت، وفجأةً صحوتُ وأنا أردّد: «الثانية عشرة إلا دقيقة». أشعلتُ الولاعة، ونظرتُ إلى الساعة: صحيح. ودار عقرب الثواني حتى وصل فوق الستين؛ أي: بعدما كانت الساعة الحادية عشرة وتسعاً وخمسين دقيقة، أصبحت الثانية عشرة تماماً. لقد أخلى الأربعاء مكانه في خانة الأيام للخميس، وانسحب الحادي والثلاثون من ديسمبر/ كانون الأول ليترك مكانه للأول من يناير/ كانون الثاني. الساعة لا تُظهر السنة، لكنّ السنة الثانية والخمسين والتسعمئة وألف انتهت، وبدأت السنة الثالثة والخمسون والتسعمئة وألف. كلّ ما حصل هو إبداع لحظة بسيطة؛ فكلّ ذلك يحصل بتكّة واحدة من ذلك النابض الصغير.

اللحظة تطارد اللحظة، واللحظات تتلاشى في اللانهاية. الأربعاء يتقهقر أمام الخميس، والخميس أمام الجمعة. نوفمبر/ تشرين الثاني أصبح ديسمبر/ كانون الأول، وديسمبر/ كانون الأول بات يناير/ كانون الثاني، ويناير/ كانون الثاني سيصبح فبراير/ شباط، وفبراير/ شباط سيصبح مارس/ آذار، ونحن في الظلمات نمخر مثل هذه الباخرة عبر الزمن نحو جرف مجهول. إلى أين؟! نحو عالم بلا زمن. بان الشاطئ أمامي: ظلام، وغموض، وكلما نتقدّم يقترب. آه لو تقف هذه الباخرة، بل ليتها تعود القهقرى. لو يضلّ عقرب الدقائق طريقه، ويبدأ بالدوران في الاتجاه المعاكس. لو تدور خانة الأيام من الخميس إلى الأربعاء، لو تعود الأشهر من نهاياتها إلى بداياتها، لو نتجاوز الأحداث، من جديدها إلى قديمها. لو ينطلق المسار باتجاه معاكس، من النتيجة إلى السبب، لو بدأت الأمور بالحركة عكسياً. ماذا سيحصل يا ترى؟! لو رجعت الباخرة القهقرى ألن يكون الشاطئ الذي سنصل إليه - في تلك الحالة - هو من حيث انطلقنا أول مرة؟! أهو عالم بلا زمن؟! سواء تحرّكنا إلى الأمام أم إلى الخلف ستنتهي بحار الدنيا يا عزيزي.

ما دام سيل الزمن سيتدفّق دائماً، ولا مجال لإيقافه، فلندرك - على الأقل - مروره. تمخر الباخرة عبر المياه المحيطة ببرج الفتاة. ها نحن أولاء نقترب من سالاجاك. هناك السليمية. ذاك الضياء الأخضر المشعّ من كاسر الأمواج في مرسى حيدرباشا. تلك الإنارات الزرقاء لفندق الكوردون. أليس كذلك؟!. الباخرة تدور حتى يلاصق جانبها رصيف المرسى. وهاهو ذا رصيف مرسى كاديكوي. من جهة، الوصول إلى غاياتنا يتحقق عند التوصّل إلى معرفة مرور الزمن خطوةً خطوة. ومن جهة أخرى سنقرأ الصحيفة في قمرة الطابق السفلي للباخرة، ونبدي دهشتنا بقولنا: «آه، لقد وصلنا!».

كم تتشبه لحظات عمرنا إلى حدّ بعيد لحظات عمر المسافر قارئ الصحيفة في القمرة السفلية. نحن لا ندرك قيمة الدقائق إلا في ليلة رأس السنة فقط. نتابع مرورها في تلك الليلة باهتمام، ومن الحادية عشرة وخمس وخمسين دقيقة حتى الثانية عشرة فقط؛ فالأمر في أذهاننا هو انقضاء سنة مضت، وبداية سنة مقبلة. بعد مرور رأس السنة سنهبط من جديد إلى القمرة السفلية، ونغرق في صحيفتنا، وننسى أن كلّ دقيقة في أيّ يوم من أيام السنة الجديدة تحلّ محلّ شبيهتها من السنة التي انقضت. لماذا لا نُولي كلّ دقيقة من كلّ ساعة من كلّ أيام السنة الجديدة الاهتمام نفسه؟! عاذا ما تجاهلنا الزمن المارّ كسيل جارف، ولم نُعر كل ثانية منه اهتمامنا، سيتحوّل إلى نهر كسول ينساب متلوياً بهدوء في سهل منبسط. إذاً. فجلّ الأمر يكون بتكثيف اهتمامنا بمرور كلّ الثواني.

حسن جداً. وكيف لنا فعل ذلك؟!. الأمر غاية في البساطة: فقد وجدت أن الوصول إلى الشعور بالوجود مرتبط بالإحساس بالزمن، وخير وسيلة لذلك هي العيش بين الساعات. أنتم أيضاً جرّبوا ذلك لتروا النتيجة: أغلقوا باب إحدى الغرف ونوافذها بإحكام. استلقوا على ظهوركم، واعصبوا عيونكم بعلالة سوداء، ركّزوا انتباهكم في تكتكة الساعة، واطردوا كلّ الأفكار التي في رأسكم. ولا تفكّروا إلا في مرور الزمن. ثم فكّروا في وجودكم، تخيّلوا أنفسكم مركباً يتقدم ويمخر عبر الزمن. فكّروا في أن الثواني التي تمضي إن هي إلا ثوانٍ تنقضي من أعماركم تتلاشى وتضيع.

ثم انتابني هوس جمع الساعات. وشرعتُ في اقتناء كلّ ما تقع عليه يداي من ساعات على اختلاف أنواعها، من المزادات المفتوحة، ومن بائعي التحف الأثرية. ساعات جامع ذات تعبئة بنابض مزدوج، وساعات كهربائية، وساعات سيركيزوف الأثرية المطلية بالفضة، بل وصل بي الأمر إلى شراء ساعة ميدان كبيرة ألقيت في مستودع إدارة الترامواي لعدم صلاحيتها، وأحضرتها إلى البيت.

كلّ صباح أجدّد تعبئة الساعات الخمس والثلاثين التي أملكها. وعند عودتي إلى البيت في المساء أستلقي على ظهري، أصغي إليها، حتى أصل إلى الشعور بكلّ دقيقة وكل ثانية وكل جزء من الثانية. عندئذ أحسّ بأهمية وجودي، مثلما يصبح المكان غير متناه في قاعة مغطاة بالمرايا من جهاتها الأربع كذلك يشعر المرء بأن

الزمن قد توقف إذا ما أحيط من جهاته الأربع بتكتكة الساعات. ذلك الزمن الذي ينقضي عادة كانسياب طبقة رقيقة من الماء من بين أصابعنا من دون إدراك منا، عندئذ سنشعر بوجوده بقوة كأننا نقبض عليه بكلتا يدينا.

كلّ ساعة لها ميزتها الخاصة. وتعمل وفقها. بعضها يعمل بسرعة ونشاط، وبعضها يعمل ببطء ووقار. بعضها يحجل برشاقة امرأة شابة، وبعضها يعدو بزهو فرس. إيقاع إحداها كحلاج يندف قطناً. وإيقاع أخرى كحداد يطرق قطعة حديد بمطرقته على السندان. هكذا هي غرفتي، مملوءة بتكتكات مختلفة لخمس وثلاثين ساعة. وأنا أردّد: ها قد مرّت دقيقة واحدة، مرّت دقيقتان، ثم مرّت ثلاث دقائق، أربع، خمس، ستّ، ربع ساعة. وها هي ذي الآن ساعتي الجدارية القاسية القلب تحتفل بانقضاء ربع ساعة من عمري بعزف سيمفوني.

ثم تعاود من جديد: تكتاك. تكتاك. تكتاك. تكتاك. تكتاك. تكتاك. تكتاك. مرّت عشرون دقيقة. ثلاث وعشرون. خمس وعشرون. ثلاثون. وتعزف لحنها الثاني احتفالاً بانقضاء نصف ساعة من عمري.

عند مرور ثلاثين دقيقة أخرى لا أحد ينكر مدى سعادة ساعة الحائط لالتهامها ساعة كبيرة من عمري، ولشدة فرحتها تدمج الألحان التي عزفتها منذ قليل بشكل متقطع، وتعزفها في آنٍ واحد معاً. ثم تنطلق كأنها تضرب رأسي بمطرقة: «دان. دان. دان. دان. دان. دان». وما إن تنطلق أول (دان) حتى تشرع بقية الساعات، الكبيرة منها والصغيرة، بإطلاق نغماتها كأنها تلقت أمراً من قائد الأوركسترا، صوت بعضها مثل صوت جرس الحريق: «تيرن. تيرن. تيرن». وصوت بعضها كأنه جرس الباب برنّ: «زرررت». بعضها مهذب، ومؤدّب، وهادئ. وبعضها وقح، وشرير، وزعوق، وعصفور ساعة (الكوكو) أيضاً لا يتأخر عن الركب فيصيح: كوكو. كوكو. كوكو. وبعد كلّ هذه الجلبة يعاود الهدوء من جديد: تكتاك. تكتاك. تكتاك. تكتاك. ومرّت دقيقة واحدة أخرى، ثم مرّت ثلاث دقائق أخرى، ثم خمس دقائق، ثم ربع ساعة. فتنطلق الألحان والأصوات من جديد.

في النهاية، إما أن أفقد عقلي، وإما أن أصل إلى ما أسعى إليه: الوصول إلى الشعور بالزمن. عندئذ أكون قد وصلتُ إلى حدّ الإشباع من الحياة، وسأدرك عيشي بعمق أكثر من الآخرين. سأتخلص من رهبة الموت، ومن مخاوف انتهاء الملء، أو تعطّل النابض. لكن ظهر احتمال ثالث لم أفكّر فيه مطلقاً: في بداية الأمر بدا لي أن الاحتمال الثاني هو الأقوى: فتمضية ساعة إلى ساعتين كلّ مساء بعد عودتي من العمل في سماع تكتكة الساعات سيوصلني مع الأيام إلى الشعور بتدفّق الزمن وما أبحث عنه من السكينة الكونية، التي ستقودني في اتجاه الإشباع الكوني: لذا قرّرت خلال إجازتي السنوية من العمل رفع مدة جلسة الشعور بالزمن من ساعتين إلى اثنتي عشرة ساعة يومياً. اعتزلتُ عشرين يوماً متتالية في غرفتي، مواصلاً جلسات معالجتي بعناد، لم أخرج خلالها إلى أيّ مكان. وفي آخر يوم من تلك الإجازة، وكانت الساعة تقترب من الثانية عشرة، غفوتُ. ومال رأسي جانباً وأنا جالس على الأريكة. في العادة، عندما كنت أصحو من مثل هذه الحالة كان الوقت أول شيء يخطر على بالي. لكن ما حصل هذه المرة كان أمراً لا يُصدّق: لم يخطر الوقت على بالي، كيف حصل ذلك؟ نظرتُ إلى كلّ الساعات. جميعها تشير إلى الثانية عشرة إلا دقيقة. لكنني لم أسمع تكتكتها. اعتقدتُ -في بادئ الأمر- أنها تعطّلت جميعها، لكنها كانت تعمل. كان بندول ساعة الحائط يتأرجح بين اليمين واليسار. الحداد يلوح بالمطرقة بلا توقّف. أصبحت الساعة تمام الثانية عشرة، وكأن هناك اتفاقاً بينها؛ إذ لم تعلن أيّ واحدة ضربات تمام الساعة. من المحتمل أنها قد دقّت، لكنني لم أسمعها، لا شك أنها تدقّ. كنت أرى بكلّ وضوح حركة المطارق نحو الأجراس، واندفاع العصفور الصغير من قفصه وزعيقه، لكن أصواتهم لا تُسمع. أغلقت عيني، وأصخت السمع إلى داخلي. يا لفداحة الأمر، لم أعُد أسمع إيقاع البندول في داخلي. كدتُ أجنّ. قد يكون أول ما يتبادر إلى ذهن الإنسان الطبيعي في هذه الحالة أن أذنيه قد أصابهما صمم، أو أن جنوناً قد مسّه. لكن بالنسبة إليّ فقد أدركت أنني متُّ في هذه اللحظة. ويقول الدكتور: «لكنك لم تمُتْ؛ لأنك لو متّ لما استطعت كتابة هذه القصة».

منذ ذلك الحين فقدتُ الثقة بالأطباء. لم أعد قادراً على سماع أصوات الساعات. كما أنني لم أعد قادراً أيضاً على سماع إيقاع البندول الذي في داخلي. ليقولوا ما يشاؤون: فأنا لم أعد سوى ساعة معطّلة، لكن من يعلم، فقد أكون أنا الآن أدقّ ساعة في الكون تشير إلى الوقت الصحيح.



هوامش المترجم

(١) برج الفتاة: يقع على جزيرة صغيرة جداً في مضيق البوسفور.

(٢) صالاجاك، والسليمية، ومرسى حيدر باشا، ومرسى كاديكوي: أحياء من إسطنبول الشرقية تطلّ على مضيق البوسفور.

(٣) قبل إنشاء الجسور المعلّقة كانت البواخر هي الوسيلة الوحيدة للانتقال عبر مضيق البوسفور بين إسطنبول الشرقية والغربية، وكانت تلك البواخر تنطلق في مواعيد ثابتة بين طرفي المضيق، وتتألف من ثلاثة طوابق. والركاب الذين يختارون الجلوس في الطابق السفلي، الذي يقع في جزء الباخرة المغمور بالماء، غالبا هم من لا يرغبون في الاحتكاك بأحد، ولا يعنيهم متابعة الرحلة، بل يمضون الوقت في قراءة الصحف والمجلات. ويريد الكاتب أن يبين أن مثل هؤلاء الناس من لا يعنيهم الزمن، ولا يدركون لحظة الوصول إلا حين ارتطام جسم الباخرة بالرصيف وتوقّفها، فيُسمع عندئذ في ذلك الطابق أصوات مندهشة تقول: «آه، لقد وصلنا!»

عبد الله الكويليت

تفاصيل

- الدموع: ثلم ينزّ من رغبة أربكت.
- الكتابة: محاولة يائسة وعبثية للالتفاف على طريق مغلق سلفاً.
- اليأس: حزن مستسلم.
- الرقص: رياح الروح حين تتنزّه في الجسد.
- الفنّ: أعظم تجلّيات الإنسان في مواجهة العدم.
- الغيوم: ملابس السماء.
- الأمل: رشوة يقبلها الجميع.
- الأصدقاء: أشخاص اتّفقوا على الركض معك في ماراثون الحياة، كلّ بحسب جهده وطاقته.
- الحُبّ: فرشاة تلوّن سقوف الفجيعة وجدرانها.
- الصبر: مقياس لطول المدة قبل أن تبدأ بالصراخ.
- الفلسفة: سلسلة مفاتيح لبابٍ لا ثقب له.
- الغيب: منازل افتراضية لجيران لم يرهم أحد.
- الجغرافيا: مساحة للعراك بين السياسة والطبيعة.
- القُبلة: سعي حميم لمعرفة تخوم تلك الابتسامة المتواطئة.
- الأسئلة: ماء القلق.
- الوحدة: هي الإمعان بالنظر إلى ذاتك عبر عدسة مُكبّرة.
- الحزن: كلب مسعور، لا ييأس من مطاردة الوعي.
- لا أحد يطلب منك أن تكسر السائد، بل حاول حين تلمسه أن تخدشه قليلاً؛ لتعرف نوعية هذا الجدار الذي يحيط بك ويحاصرك.
- العمر: ساعة رملية لا نستطيع قلْبها.
- كلّ سقوط له جاذبية مختلفة.
- الفرح لا تذاكر له.
- الابتسامة فمٌ يلوّح.
- الروح لا تملك مظلةً حين تمطر الذاكرة.
- أصعب المفاوضات تلك التي تكون مع الحزن.
- الحرية حتى كفكرة لا تستطيع الحديث عنها باستحياء أو موارية.
- من دون الحرية أنت رقم ناتئ على الرف.
- كلما سافرتُ ازداد إيماني بالحرية أكثر.. من دون الحرية نحن محض قطيع.
- الخيبة: ظلّ الحزن.
- الخلود: محاولة دؤوب وسعي غبي للبقاء طافياً فوق مستنقع الحياة أطول مدة ممكنة.
- واقعياً، الحزن كالسعادة مسألة عابرة مهما طالت.. المشكلة أننا ننظر إليه بكثافة وتركيز أكثر مما ينبغي.
- العنصريون لا يستطيعون كره الماء الذي تشرب منه الأعراق والديانات الأخرى.
- السفر: مجادلة شرسة مع الواقع.
- اللذة: كائن ملول عصيّ على الترويض.
- المغفرة: قرار بتحمّلك وحدك نفقة أخطاء الآخرين.
- الذاكرة تنفذ إلينا، ولا ننفذ إليها.
- كأس الأمل مثقوب، لكننا لا نيأس من ملئه بالأماني.
- الذاكرة التي تسكننا ليست كائناً واحداً، بل مجموعة كائنات مختلفة، أسوأها كائن وقوده القلق.
- من منهما يستضيف الآخر: الشاطئ أم الموج؟!
- الرغبة سرج الإثم.
- بعض الأرواح كالجياد البرّيّة التي استعصت على الترويض وإن وُلدت في قفص، وبعض الأرواح مدجّنة خانعة وإن وُلدت وعاشت في سهول شاسعة.
- سأرحل عني قليلاً، عن غيمة تنازعني وسادتي. سأرحل كيلا يُلام نخيلي، أو تلام العصافير التي آوت الريح عندي وقت ارتباك النهار.
- كلّ الأسئلة، حتى العملاقة منها، تتواضع عند قدمَي سؤال النهاية.
- الألم لا حاسد له إلا من تمرّغ في وحل الكراهية؛ لأن عمى الكراهية أكبر منه.
- استعينوا على ذاكرتكم بالأمل.
- ثمة كلمات كثيرة نكتبها في حروب الكتابة، القليل منها ما يستدير ليكتبنا.
- سقطت قطرة الماء على فم الوردة، فارتعشت خجلاً.
- الندى عرق طازج في جبين الصباحات البكر.
- تخيفهم الفلسفة؛ لأن أبوابها عصيّة على مفتاح واحد.
- كلّ هذا الجمال، وكلّ هذا العطاء، ومجدك في الحياة يوم أو بعض يوم؟!.. كم أشاطرك الأسى وقسوة الظلم أيتها الوردة.



الجمعية السعودية الخيرية للتوحد



تنظم

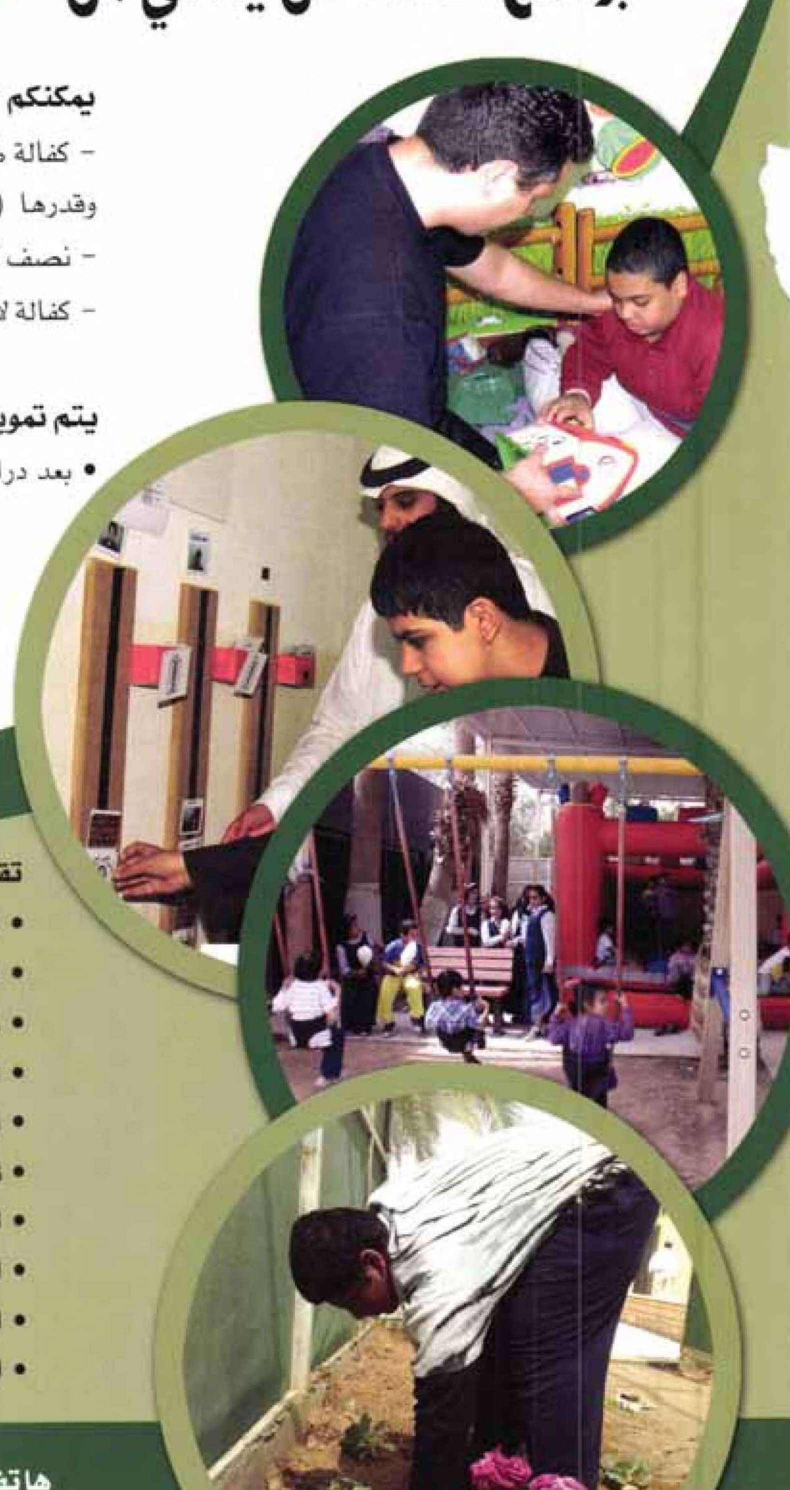
برنامج كفالة طفل يعاني من التوحد للأسر المحتاجة

يمكنكم تخفيف معاناتهم عن طريق :

- كفالة طفل مصاب بالتوحد لكي يلتحق بمركز الجمعية السعودية الخيرية للتوحد وقدرها (١٨,٠٠٠) ريال سنوياً.
- نصف كفالة (٩٠٠٠) ريال .
- كفالة لأكثر من حالة (تحدد حسب العدد) .

يتم تمويل البرنامج بدعمكم عن طريق التبرعات والهبات والزكاة

- بعد دراسة الحالة الاقتصادية والاجتماعية للأسرة المحتاجة من قبل المختصين.



تقدم الجمعية السعودية الخيرية للتوحد:

- التشخيص والتقييم للقدرات ومستوى الأداء.
- الخدمات التربوية المتخصصة.
- الخدمات التأهيلية المتخصصة.
- الخدمات الاجتماعية.
- التدريب على التواصل.
- تعديل السلوك.
- التدريب على الاستقلالية.
- الرحلات والزيارات الترفيهية والتعليمية.
- المواصلات من المنزل إلى المراكز والعكس (قدر الإمكان).
- التوعية والتدريب للأسر حول الكيفية المثلى للتعامل مع الحالات في المنزل والمدرسة.

هاتف : ٢١٢٠٠٥٠ - ٤٤١٣٠١٠ فاكس : ٢١٢١٠٠٨
ص ب ٦٩٢٩٦ الرياض ١١٥٤٧ P.O Box 69296 Riyadh11547
Tel ٤٤١٣٠١٠ - ٢١٢٠٠٥٠ Fax ٢١٢١٠٠٨


جمعية
الأطفال
المعوقين
Disabled Children's Association


جمعية وطن

